جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

جامعة بيرزيت: قصة مؤسسة وطنية

تحرير: عايدة عودة

جامعة بيرزيت: قصة مؤسسة وطنية
تحرير: عايدة عودة

جامعة بيرزيت: قصة مؤسسة وطنية

تحرير: عايدة عودة

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

جميع الحقوق محفوظة، ٢٠١٠
منشورات جامعة بيرزيت

جامعة بيرزيت: قصة مؤسسة وطنية

تحرير: عايدة عودة
الترجمة للعربية: جمانة كيالي
منسق التصوير: ياسر درويش

تصميم: باليترا
الصور: أرشيف جامعة بيرزيت
طباعة: ستوديو ألفا

الرقم المعياري الدولي للكتاب
ISBN 978-9950-316-50-8

طبع في فلسطين، ٢٠١٠
مكتب العلاقات العامة
ص. ب ١٤
بيرزيت، فلسطين
هاتف: ٢٩٨٢٠٥٩ ٢ ٩٧٠+
فاكس: ٢٩٨٢٠٥٩ ٢ ٩٧٠+
بريد إلكتروني: PR@birzeit.edu
موقع إلكتروني: www.birzeit.edu

المحتويات

توطئة
نبيل قسيس..... VII

تمهيد
حنا ناصر..... IX

عرفان وتقدير
عايدة عودة..... XI

أهم الأحداث وفق التسلسل الزمني..... XII

القسم الأول. من مدرسة ابتدائية إلى جامعة

الفصل الأول. البدايات: الفكرة – البذرة
ريما ترزي وسامية خوري ٣

ذكريات من السنوات الأولى:
سهام الشوا..... ١١
إيمي عرنكي..... ١٢
حفيظ موسى غنام..... ١٢
هدى فراج..... ١٢
سميرة غندور حداد ١٣
إدوارد كركر ١٣

الفصل الثاني. تطوير الكلية المتوسطة: من الرؤية إلى الواقع
جابي برامكي، وسامية خوري وريما ترزي ١٥

الحج إلى مزار الشيخ قطرواني، سليم تماري..... ٢٠
تنشئة وصقل شخصيات الطلاب، سامي عطا الله ٢١
بيتي الثاني، فريال ارشيد ٢٢
طالب في أواخر الستينات، ألبرت أغازريان ٢٣

الفصل الثالث. الإبحار في المجهول: من كلية إلى جامعة
رمزي ريحان ٢٥

الخطوات الأولى، سامية خوري..... ٢٦
الحصول على الاعتماد، حنا ناصر ٣٠
العلاقة الحميمة بين بيرزيت ومحيطها، منير فاشة..... ٣٠

الفصل الرابع. جامعة بيرزيت – سيرة أكاديمية
سامي الصيرفي ٣٥

استكشاف المشهد الفلسطيني، كمال عبد الفتاح ٤٠
«الماضي قائم في الحاضر» علم الآثار في جامعة بيرزيت،
لويس جلوك ٤٠
أيامي في بيرزيت، ثوماس م. ريكس..... ٤٢

الفصل الخامس. الدراسات العليا في بيرزيت
جورج جقمان..... ٤٥

نبذة عن بعض برامج الدراسات العليا المختارة ٤٨

القسم الثاني. التحدي والتصدي

الفصل السادس. كيف تدير جامعة تحت الاحتلال العسكري الإسرائيلي
جابي برامكي..... ٥٣

الاعتقال الإداري والإبعاد: محنة أحد أعضاء الهيئة التدريسية،
تيسير عاروري..... ٥٦
ذكريات الأيام الأولى للاحتلال، عيسى مصرية..... ٥٩
عندما يصبح التعليم نشاطاً غير قانوني، جهاد مسعود ٥٩
قصر الحمراء، خالد فراج..... ٥٩
فن الانتظار: لجنة الأسرى في بيرزيت خلال الثمانينات،
بيني جونسون ٦٠
اللجوء إلى حرم الجامعة، ابتسام بركات..... ٦١
أحداث ٤ كانون الأول ١٩٨٦، محمد أبو عرف..... ٦٢

الفصل السابع. تجنيد الأموال لبناء حرم جديد
حنا ناصر ٦٥

الفصل الثامن. بيرزيت والمجتمع الدولي
روجر هيكوك ٧٣

الرعيل الأول من المساندين، ألبرت أغازريان ٧٨
مجتمع يصنع مصيره بيده، محمود إبراهيم ٧٩
أصدقاء بيرزيت في بريطانيا: مذكرات شخصية، دنكان ماكفيرسون ٨٠

الفصل التاسع. ومضات من تاريخ الحركة الطلابية
غسان الخطيب ٨٣

بيرزيت في أواخر السبعينات، حسن اشـتيوي ٨٨
ما تمثله بيرزيت، بسام الصالحي ٨٩
جامعة بيرزيت نموذج مصغر للشعب الفلسطيني، مروان البرغوثي ٨٩

الفصل العاشر. الطريق نحو المستقبل
رمزي ريحان ٩١

الجامعة والمجتمع ٩٩

القسم الثالث. الجامعة والمجتمع

الفصل الحادي عشر. الصحة العامة والمجتمعية
ريتا جقمان ١٠١

الفصل الثاني عشر. نسيم منعش من الثقافة الحية
فيرا تماري ١٠٧

إنتاج الفن، سامية حلبي ١١٣

الفصل الثالث عشر. البرامج والمبادرات الموجهة نحو المجتمع ١١٥
المعاهد والمراكز ١١٦
مركز الأبحاث، خليل محشي ١١٨
برنامج محو الأمية وتعليم الكبار، هيام أبو غزالة ١١٩
برنامج العمل التعاوني، خالد فراج ١١٩
جريدة الحال، عارف الحجاوي ١٢٠
حملة الحق في التعليم، عنان قزمار ١٢٠

الفصل الرابع عشر. أن لا نكون هامشيين!
نبيل قسيس ١٢٣

محمود درويش، مقتطفات من الخطاب الذي قام بإلقائه خلال احتفال تسليمه شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة بيرزيت، ٧ تموز ١٩٩٦ ..... ١٢٨

المصادر والتنويه ١٣٠
المشاركون في تأليف الكتاب ١٣٣

توطئة

في عام ٢٠٠٤، عندما أصبحت رئيساً لجامعة بيرزيت، لاحظت عدم وجود كتاب يعرف الضيوف والزوار من الشخصيات مثل رؤساء الدول والوزراء والعلماء المرموقين ورجال الأعمال وممثلي الهيئات المانحة وغيرهم برسالة الجامعة وتاريخها الممتد على مدى ثمانين عاماً. تأسست بيرزيت كمدرسة للبنات في قرية صغيرة، ثم تطورت مع مرور الزمن بحيث أصبحت أول جامعة فلسطينية ومؤسسة التعليم العالي الأولى في فلسطين. وقد شكل تعييني رئيساً للجامعة بعد تنحي الرئيس المؤسس حنا ناصر عن المنصب بداية التغيير في القيادة العليا. فهي المرة الأولى التي يقود فيها المؤسسة شخص من غير أفراد العائلة المؤسسة. وقد بدت الفرصة سانحة لتدوين تاريخ الجامعة، وهي عملية تستند بدرجة كبيرة إلى تجارب (وذكريات) العاملين والخريجين، حيث إن التوثيق الذي تركه الأشخاص الذين لعبوا أدواراً رئيسية أثناء الفترة المبكرة للمؤسسة كان أقل من المتوقع.

كانت هناك لجنة شكلها مجلس الأمناء وأوكل إليها مهمة تنظيم بعض الأنشطة للاحتفال بالذكرى الثمانين للجامعة، فطلبت منها وضع المفهوم والمخطط للكتاب، وقمت بالمشاركة في جهود اللجنة من أجل إعطاء زخم للعملية. وقررنا أن يتكون الكتاب من فصول مستقلة يقوم بكتابتها أشخاص مطلعون عن قرب على مراحل ومنعطفات تطور المؤسسة. أردنا أن نمكّن القراء من اختيار الفصول التي تهمهم، و أن يستجمعوا الأفكار الرئيسية من دون قراءة جميع الفصول بالتسلسل. وارتأينا أن سرد قصة بيرزيت يتطلب المزج بين النص والصورة، وأن الشكل المناسب هو مجلد جذاب يحتوي على الكثير من الصور التي تساعد النص. وأخيراً، اتفقت اللجنة على مسودة قائمة المحتويات وعلى الكتّاب المقترحين الذين استقر الرأي على أنهم الأكثر اطلاعاً على مراحل التطور المختلفة وطبيعتها.

وبهذا، بات العمل على الكتاب جاهزاً للانطلاق. لكن عام ٢٠٠٤ انتهى دون إحراز أي تقدم في الكتاب أو في أنشطة الاحتفال بالذكرى الثمانين. وتم إغفال المشروع بشكل مؤقت ولكن لم يتم نسيانه. ورغم أن الكتاب لم يعد مرتبطاً بالذكرى، إلا أن كتابته ليست أقل أهمية اليوم في نظري. ففي غياب التدوين الموثق، لا بد من الاعتماد على ذاكرة المشاركين للحديث عن السنين الأولى، وهي ذاكرة تخبو مع مرور السنين. في عام ٢٠٠٩، قررت أن أعطي المشروع دفعة جديدة. وفي نفس الوقت تقريباً، التقيت بعايدة عودة التي كانت في زيارة من الولايات المتحدة. وهي محررة كانت قد تابعت دراستها في بيرزيت لمدة قصيرة في أواسط السبعينات، وتعرف العديد من المؤلفين المقترحين. وطلبت منها القيام بتحرير الكتاب وتنشيط عملية كتابته. ثم قدمت لها المخطط وشرحت لها الفكرة، طالباً منها العمل مع الكتّاب من أجل تحرير النسخة النهائية. وقد لاقى المشروع استحسانها، فبدأت العمل، على أن يعطى الكتّاب حق اختيار اللغة التي يفضلون استخدامها في الكتابة، إما العربية أو الإنجليزية، ثم يتم نشر الكتاب باللغتين. قامت عايدة بالاتصال بالكتّاب المرشحين الذين كانوا أكثر استجابة هذه المرة بفضل إصرارها. إلا أن المهمة لم تكن سهلة على الإطلاق، حتى إنها قد ترغب يوماً في الكتابة عن تجربتها في هذا الكتاب.

لا تختلف قائمة المحتويات وأسماء المؤلفين كثيراً عن المخطط الأصلي الذي وضعته اللجنة التي تولت المهمة في عام ٢٠٠٤. تقع مواضيع الكتاب في ثلاثة أقسام. تتناول فصول القسم الأول مختلف مراحل تطور المؤسسة، من مدرسة ابتدائية للبنات، إلى ثانوية مختلطة، ثم إلى كلية متوسطة، ثم كلية جامعية تدرس أربع سنوات، وأخيراً جامعة كاملة. وقد امتدت هذه التطورات على مدى أربع حقب سياسية: حقبة الانتداب البريطاني، والحكم الأردني، والاحتلال الإسرائيلي والسلطة الوطنية الفلسطينية (مع تقاطع الحقبتين الأخيرتين). وقد عانت المؤسسة من الأيام العاصفة التي زعزعت المنطقة، بدءاً من المقاومة الفلسطينية للانتداب البريطاني والمشروع الصهيوني، إلى نكبة عام ١٩٤٨ وطرد الفلسطينيين من ديارهم التي أصبحت لاحقاً إسرائيل، والاضطرابات السياسية التي أثّرت على الضفة الغربية والضفة الشرقية للمملكة الأردنية الهاشمية، ثم حرب حزيران عام ١٩٦٧، والاحتلال الإسرائيلي، والانتفاضة الأولى، وإقامة السلطة الوطنية الفلسطينية، ثم الانتفاضة الثانية وعودة السيطرة العسكرية الإسرائيلية شبه الكاملة على الأراضي الفلسطينية.

أما الفصول الواردة في القسم الثاني فهي تناقش بعض التحديات التي واجهتها وتواجهها الجامعة، وهي في معظمها نتيجة مباشرة للإجراءات القمعية للاحتلال الإسرائيلي التي تهدف إلى إخماد معارضة الهيئة التدريسية، والعاملين، والطلاب

لمحاولات فرض الهيمنة الإسرائيلية على الجامعة. ويتضمن القسم الثالث فصولاً تصف الدور القيادي الذي تلعبه الجامعة في المجتمع الفلسطيني.

وفيما أتأمل السنوات الست التي عملت فيها رئيساً لجامعة بيرزيت، يسرني ملاحظة الإنجازات العديدة التي حصلت أثناءها، ومن بينها نشر هذا الكتاب. فقد نمت الجامعة واتسعت أكاديمياً، حيث انطلقت العديد من البرامج الأكاديمية الجديدة على مستويي البكالوريوس والماجستير، كما تم تأسيس ثلاث كليات جديدة (كلية تكنولوجيا المعلومات وكلية التمريض والمهن الصحية المساندة وكلية التربية)، بينما تم اعتماد برنامج «دكتور صيدلي»، وهو نواة كلية الصيدلة، خلال إعداد النسخة العربية من الكتاب. وأصبحت الوحدات والبرامج المجتمعية مدمجة بشكل أفضل في مجريات العمليات الأكاديمية، والإدارية والمالية في الجامعة. كما تم إنشاء مركز للتميز في تكنولوجيا المعلومات ونواة لمركز للتميز في الرياضيات والفيزياء النظرية على هيئة كرسي مدعوم من منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو). أما الحرم الجامعي فازداد خضرة وجمالاً. يوجد الآن ٨,٨٠٠ طالب مسجل بالمقارنة مع ٧,٢٠٠ طالب قبل ست سنوات، وذلك بفضل البرامج الجديدة وتوسع مرافق الجامعة، حيث جرى تشييد سبعة مبانٍ جديدة، إضافة إلى مبنيين من المأمول أن ينتهي العمل في تشييدهما في نهاية عام ٢٠١٠، وتعيين المزيد من أعضاء الهيئة التدريسية المتفرغين، مما مكننا من المحافظة على مستوى جيد لنسبة الأساتذة إلى الطلاب.

ورغم النقص المزمن في الموارد المالية الذي ما يزال قائماً، كما هو الحال مع جميع الجامعات الفلسطينية، إلا أن الجهود الإضافية التي بذلت في مجال تطوير الموارد وتنويع جهود جمع الأموال بمشاركة عدد من المسؤولين، ساهم في إضفاء أجواء مالية مريحة نسبياً، وإن كانت متقشفة. من هنا، تمكنت الجامعة من تعيين عدد أكبر من الأساتذة المتفرغين، وتأسيس وتحديث عدة مختبرات، وتطوير المكتبة، وإدخال المزيد من أحدث التكنولوجيا، وتوسيع نطاق الدعم للأبحاث والأنشطة ذات الصلة. في الوقت الحالي على الأقل، لم تعد الصعوبات المرتبطة بدفع الرواتب تشكل تحدياً كبيراً، كما أن المشاكل المتعلقة بتحصيل الأقساط انخفضت بشكل ملحوظ. ويشهد هذا التقدم للجهد الذي بذله كل المعنيين: مجلس الأمناء، الذي يهتم بالمباني والأراضي، ومجلس الجامعة الذي يساعد رئيس الجامعة في الإشراف على أعمال الجامعة، بما فيها الشؤون الأكاديمية، والإدارية، والمالية والمجتمعية، بالإضافة إلى التخطيط والتطوير وضبط الجودة، وكذلك أعضاء الهيئة التدريسية، والعاملين، والطلاب الحاليين والسابقين، فإليهم أيضاً يعود الفضل في استمرارية وتطور هذه المؤسسة الفريدة.

وإنه ليثلج الصدر أننا تمكنّا من حشد هذا العدد الكبير من الأشخاص الذين تربطهم علاقة بالمؤسسة، والتي بلغت الآن ستاً وثمانين سنة من العمر، للمساهمة في هذا الكتاب. إن القصص التي يتضمنها الكتاب هي حكايات شخصية، والمسؤولية عن محتواها شخصية كذلك. ومن حسن حظنا أن المساهمين (كتاب الفصول والخريجين وأعضاء الهيئة التدريسية وطاقم العمل السابقين) ما زالوا يتذكرون بيرزيت وهي مدرسة ثانوية تنتشر صفوفها في بيوت العائلة، التي تمكن أفرادها من سرد حكاياتهم عن تلك الفترة بتفاصيلها الحية. كذلك من الممتع قراءة حكايات الذين عاصروا أو لعبوا أدواراً رئيسية في المراحل الأولى لتطور المؤسسة، والتي شهدت المنعطفات الكبرى في تاريخها. لقد بذلنا ما في وسعنا حتى يتضمن الكتاب أكبر عدد ممكن من الشهادات والمساهمات ضمن المساحة والوقت المتاحين: إلا أننا ندرك أن هذا الكتاب لن يكون الأخير، وأن هناك المزيد من القصص التي تستحق الجمع والتوثيق. وإنني آمل أن يكون هذا الكتاب الأول ضمن سلسلة من الكتب التي تسبر أغوار هذه الخبرة الغنية التي منحتها جامعة بيرزيت لكل من دخل أبوابها بعقل منفتح.

يدور هذا الكتاب حول المؤسسة وليس حول الأشخاص الذين أقاموها، رغم أنهم يشكلون جزءاً لا يتجزأ من القصة. إن جامعة بيرزيت هي قصة نجاح للشعب الفلسطيني. إن مجتمع جامعة بيرزيت المصغر إنما هو تعبير عن شعب بأكمله في أروع لحظاته. إنه مركز للتميز شكل، وما زال يشكل فارقاً في حياة أجيال من الطلاب والمجتمع الأوسع، ويسهم في رفاه ونماء الشعب الفلسطيني، ويشكل تعبيراً حياً عن قدرة هذا الشعب على التكيف والصمود وتفانيه في سبيل قضيته. إنها ليست قصة ما كان، بل إنها قصة ما هو كائن وما سوف يكون، ويستمر ويزدهر. يؤرخ هذا الكتاب لجزء هام من رواية الشعب الفلسطيني، ولذا، ينبغي إهداؤه لكل من ساهم في جعل بيرزيت على ما هي عليه – إلى المؤسسين، والهيئة التدريسية، والعاملين، وطلاب السنوات المتعاقبة، ولأجيال المستقبل، من أساتذة وعاملين وطلاب، التي ما يزال يتعين عليها تقديم إسهاماتها.

نبيل قسيس
رئيس الجامعة

تمهيد

هذا كتاب عن جامعة بيرزيت، ونشأتها وتطورها منذ عام ١٩٢٤، عندما تأسست كمدرسة صغيرة للبنات تملكها عائلة في قلب قرية بيرزيت. لم يكن عدد الطالبات يزيد في ذلك الوقت عن المائة طالبة. وبعد أكثر من ثمانين عاماً، أصبحت في عام ٢٠٠٩/٢٠١٠ جامعة تحتل إحدى التلال المطلة على بيرزيت، وتضم حوالي ٩,٠٠٠ طالب يتخصصون في أكثر من ٧٥ برنامجاً أكاديمياً، كما تضم أكثر من ٨٥٠ من الموظفين وأعضاء الهيئة التدريسية.

إنها قصة مليئة بالتحديات والنجاحات، وبالإخلاص والصدق. إنها قصة التفاني من أجل جودة التعليم والالتزام بالقيم النبيلة لتعدد الآراء. هذه هي القيم التي نشأت بيرزيت عليها منذ تأسيسها. ويتذكر المئات ممن تخرجوا في تلك السنوات بكل شغف وحنين «روح» بيرزيت، تلك الروح التي ما زالت توجهها حتى يومنا هذا.

عاصرت بيرزيت خلال فترة تطورها تغييرات سياسية كبرى، كان أولها نكبة عام ١٩٤٨ وما نتج عنها من خسارة لجزء كبير من أرض فلسطين التاريخية. غير أن المؤسسة استمرت في العمل وفي توفير فرص التعليم للفلسطينيين، بمن فيهم اللاجئون الذين تدفقوا إلى الضفة الغربية والبلدان العربية الأخرى كنتيجة للنكبة. في حزيران ١٩٦٧، شهدت المؤسسة (التي أمست آنذاك كلية متوسطة) الحدث المزلزل الثاني في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، وهو احتلال إسرائيل لباقي أراضي فلسطين ووضعها تحت الحكم العسكري الإسرائيلي الوحشي.

غير أن المؤسسة لم تفقد رؤيتها أو سبب وجودها. ففي عام ١٩٧٢، جرى الإعلان عن قرار التطور نحو كلية تدرس أربع سنوات جامعية، وبهذا أصبحت أول جامعة عربية معتمدة في فلسطين. وقد شجع قرار بيرزيت المؤسسات التعليمية الأخرى (التي كانت تدرس المراحل ما قبل الجامعية) على أن تحذو حذوها في تجربة التطوير، وبالتالي إقامة شبكة مستقلة للجامعات المحلية. وقد قطع هذا التعاون الطريق على محاولات الاحتلال الدؤوبة لإقامة جامعة للفلسطينيين، الأمر الذي كان من شأنه وضع التعليم العالي تحت السيطرة المباشرة للاحتلال. وقد شكلت بيرزيت ومؤسسات التعليم العالي الفلسطينية الأخرى نموذجاً لقدرة الفلسطينيين على إدارة تعليمهم العالي بأنفسهم.

وقامت العائلة المؤسسة بخطوتين قانونيتين رئيسيتين استعداداً لنمو بيرزيت. أولاً، أدركت عائلة ناصر في وقت مبكر أن استمرارية المؤسسة تحتم تغيير بنيتها القانونية، بحيث تصبح مؤسسة خيرية عامة مملوكة لمجلس الأمناء. ثانياً، أدركت العائلة أن المباني العائلية القديمة لن تكون صالحة للنمو المتوقع للمؤسسة، فقررت أن تمنح مجلس الأمناء الجديد أرضاً كانت تملكها في محيط قرية بيرزيت من أجل بناء حرم جامعي جديد.

لو أن العائلة لم تتخذ هاتين الخطوتين الرئيسيتين، لما كان بإمكان بيرزيت أن تنمو وتصبح مؤسسة تحكمها معايير المؤسسات الخيرية، وأن تحصل بالتالي على الاعتراف الوطني والدولي، وتتمكن في نفس الوقت من جمع الأموال من مصادر خاصة وعامة، وهي ضرورية لتطورها ونموها.

طالما ادعت سلطات الاحتلال أن بيرزيت والجامعات الفلسطينية الأخرى تأسست تحت ما تطلق عليه إسرائيل صفة الاحتلال الحميد. وهذا أمر خاطئ طبعاً. فالاحتلال لم يكن يوماً حميداً، كما أن بيرزيت والجامعات الفلسطينية الأخرى تأسست رغم أنف الاحتلال، وبالتأكيد دون مباركته. في الواقع، يمكن القول إن السمة الأساسية لسياسة الاحتلال الرسمية تجاه التعليم العالي هي القمع المتواصل.

وبالحديث عن القمع، لا يسعني إلا أن أذكر الرد الإسرائيلي الوحشي على المظاهرات الطلابية السلمية بإطلاق النار على الطلاب وقتلهم داخل حرم الجامعة وفي محيطه. لقد فقد خمس وعشرون طالباً حياتهم، وهم في ريعان الشباب وفي أوج حيويتهم وطاقتهم. كما أن مئات الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية إما جرحوا، أو اعتقلوا أو تم إبعادهم، وذلك لسبب واحد هو رفضهم للاحتلال، مما يظهر ويؤكد التكلفة البشرية الباهظة للاحتلال العسكري الإسرائيلي غير الشرعي.

وكذلك، من الصعب أن أنسى الأمر العسكري رقم ٨٥٤، الصادر في عام ١٩٨٠، والذي يفرض على جميع الأعضاء الأجانب في الهيئات التدريسية التوقيع على بيان ضد منظمة التحرير الفلسطينية كشرط للحصول على إذن للعمل. ورفض

أعضاء الهيئة التدريسية التوقيع على هذا البيان لأنهم لم يكونوا يريدون الوقوع في فخ محاولات إسرائيل السيطرة على الشؤون الجامعية، وهم بذلك يستحقون التقدير على موقفهم المبدئي. وكان ثمن عدم الانصياع كبيراً، حيث تم إبعاد عدد من أعضاء الهيئة التدريسية كما منعوا من العودة. إلا أن الجامعات حاربت هذا القانون بضراوة، وأثارت القضية في العديد من المحافل الدولية بما فيها منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، وفي النهاية تحقق النصر؛ ورغم عدم إلغاء الأمر ٨٥٤ بشكل رسمي، إلا أنه تم إلغاء العمل به عملياً وبشكل هادئ. إن أي نجاح في ظل الاحتلال، مهما كان صغيراً كان يعني الكثير لمعنويات الشعب.

وكجزء من سياسة القمع، قامت إسرائيل بإغلاق جامعة بيرزيت ومؤسسات تعليمية أخرى في عام ١٩٨٨ رداً على انطلاق الانتفاضة الأولى. وكانت بيرزيت قد تعرضت لما لا يقل عن أربعة عشر أمر إغلاق على فترات تراوحت بين الأسبوعين والشهرين. إلا أن الإغلاق الخامس عشر في عام ١٩٨٧ استمر لأكثر من أربع سنوات متواصلة، مما يعكس بوضوح مدى قلق الاحتلال من التعليم العالي في فلسطين. وعلى الرغم من الإغلاق، واصل الطلاب والأساتذة التفاعل ضمن نظام تعليم «سري»، حيث كانت الدروس تعطى في البيوت وفي أماكن تم استئجارها، مما شكل نموذجاً آخر للطرق الإبداعية والسلمية التي واجه فيها المجتمع الأكاديمي الفلسطيني التحديات.

وعلى الرغم من اعتزازي بكيفية تعامل بيرزيت مع تحديات الاحتلال وإجراءاته، إلا أن مواجهة التحديات لا يمكن أن تكون هدفاً قائماً بذاته. فلكي ينمو الجسم الطلابي في بيئة تجسد مبادئ الجامعة وقيمها، ولكي يحصل الشعب بأسره على حريته، يجب أن يزول الاحتلال. ويجب أن يشكل زواله بداية حقبة جديدة للفلسطينيين عموماً ولبيرزيت خصوصاً. ورغم كل الصعوبات والتعقيدات، فإنني آمل أن يبزغ فجر هذه الحقبة قريباً.

لا يكتمل هذا التمهيد دون التنويه بالمؤسسين والمؤسسين المشاركين، الذين تركوا بصماتهم على بيرزيت وساهموا في جعلها على ما هي عليه اليوم: نبيهة ناصر، وموسى ناصر، ونعمة ناصر فارس. أهدي هذا الكتاب بكل تواضع إلى هذا الرعيل الأول من قيادة بيرزيت. كما أهديه إلى الفتيان والفتيات الذين درسوا في بيرزيت منذ تأسيسها، وخصوصاً أولئك الأبطال الذين واجهوا قوات الاحتلال. أهديه إلى شرف الطيبي، أول طالب من جامعة بيرزيت سقط برصاص الجيش الإسرائيلي في تشرين الثاني ١٩٨٤ قرب الحرم الجامعي. كما أهديه إلى زملائه الذين سقطوا في أوقات لاحقة خلال مقاومتهم السلمية للاحتلال. وأهديه إلى الهيئة التدريسية، والعاملين، والإداريين الذين حافظوا على حياة بيرزيت رغم كل الصعاب. أهديه إلى بلدة بيرزيت وأهلها، الذين طالما أعربوا عن اعتزازهم بالمؤسسة التي تحمل اسم بلدتهم. كما أهدي هذا الكتاب إلى مئات الداعمين الذين تبرعوا بسخاء لبيرزيت، مجسدين بذلك حبهم والتزامهم بفلسطين. وأخيراً، أهدي هذا الكتاب إلى أجيال المستقبل في فلسطين التي آمل أن تحافظ على روح بيرزيت– روح التعليم المنفتح، والتسامح، واحترام الرأي الآخر، والنزاهة، والسعي في نفس الوقت نحو التفوق، والثقافة والعلم الأصيلين.

حنا ناصر
رئيس مجلس الأمناء

عرفان وتقدير

يصف هذا الكتاب مسار تطور بيرزيت من مدرسة للبنات إلى جامعة ومؤسسة وطنية. ويسعدني أن أكون جزءاً من هذا العمل الجماعي، وإنني أتوجه بالشكر إلى نبيل قسيس الذي منحني هذه الفرصة. لقد كانت هذه التجربة غنية على الصعيد الشخصي وبطرق لم أكن أتوقعها عند توقيعي على اتفاقية العمل. والآن، وبعد أن عملت معه بشكل وثيق خلال الثلاثة عشر شهراً الماضية، فإنني أود التعبير عن امتناني له لتقديمه المشورة، ولمراجعته البالغة الدقة للمحتوى ولإشرافه على عملية الترجمة إلى اللغة العربية. لقد أثمرت جهوده الدؤوبة من البداية وحتى النهاية عن منتج نهائي أفضل مما كان بإمكاني تحقيقه وحدي. وإنني أشكره على هذه التجربة الممتعة في التعاون.

كان العمل ممتعاً مع المشاركين الذين شكلت مقالاتهم لبّ الكتاب. وإنني أشكرهم على صبرهم، وعلى روحهم الطيبة خلال عملية التحرير والمراجعة، والتي كان يبدو وكأنها لن تنتهي. تلي معظم المقالات حكايات أو خواطر شخصية قام بكتابتها خريجون وأعضاء سابقون في الهيئة التدريسية وتعطي فكرة عن حياة الطلاب والعاملين في بيرزيت في أوقات وظروف شتى. لقد عمل الكثيرون منا على استدراج الحكايات والخواطر، وذلك من أجل عرض أوسع جملة ممكنة من الخبرات. ويتضمن الكتاب معظم الردود التي تلقيناها، باستثناء القليل منها. وقمت في معظم هذه الحالات باختيار مقتطفات من النصوص التي وردتني، وفيما عدا ذلك تجنبت تحريرها. وإنني آمل أن يشعر الكتّاب أنني حافظت على تميز أساليبهم وخصوصية وجهات نظرهم. ما من شك في أن هناك الكثير من الأفكار الأخرى التي يجب استكشافها والكثير من الحكايات التي تستحق السرد. وكلي أمل في أن يشجع هذا الكتاب مبادرات أخرى مشابهة.

لقد أمضى أعضاء لجنة اختيار الصور– رلى الحلواني (رئيسة اللجنة)، وياسر درويش، وعيسى مصرية، ورمزي ريحان، وكمال شمشوم، وفيرا تماري، وريما ترزي ساعات طويلة في تحديد مجموعات الصور التي تم اختيارها بهدف تشكيل صورة بصرية عن نشوء المؤسسة وتطورها على مدى أكثر من ثمانية عقود. يعود الفضل في توفر مجموعة رائعة من صور السنوات الأولى إلى ياسر درويش، الذي تمكن من تحديد مكان وجود المجموعات الشخصية من الصور والوصول إليها، ثم قام بمسحها وتحويلها إلى صور رقمية لكي نتمكن من استخدامها في الكتاب. وقد حال النقص في أرشيف الجامعة دون إضافة صور لأشخاص لعبوا أدواراً هامة خلال السبعينات والثمانينات.

لقد ساعدني الكثير من العاملين في بيرزيت في إيجاد المراجع، والمتابعة مع المشاركين في الكتابة وفي تدقيق المعلومات. وإنه لمن دواعي سروري أن أعرب عن امتناني للمساعدة القيمة التي قدمها كل من ياسر درويش، وحنا قريطم، ولبيب عيد وعيسى مصرية. خلال الشهور الطويلة التي استغرقها هذا المشروع، كانت بيني جونسون معطاءة إلى أبعد حدود، فقدمت الوقت والنصيحة، وبذلت الجهود للتمكن من الوصول إلى المعلومات والأشخاص. أما سليم تماري، فقدم اقتراحات حول مواضيع تستحق أن يغطيها الكتاب وأشخاص يجدر الاتصال بهم، ومن ناحيتها زودتني ليزا تراكي بالنصائح القيّمة. كما قدمت جودي بارسالو Judy Barsalou من مؤسسة فورد المعلومات حول المساعدات المالية التي قدمت لبيرزيت على مدى السنين. عُينت جمانة كيالي عباس لترجمة النص إلى اللغة العربية وقامت بذلك حتى عندما كان النص ما يزال في طور المراجعة النهائية قبل إرساله للمصمم. وقد تمكنت من تأدية العمل الشبيه بمحاولة إصابة هدف متحرك (وخصوصاً مع التغييرات الكثيرة التي كانت تتم في اللحظات الأخيرة) بكياسة وروح طيبة. وقام عارف الحجاوي بتحرير المواد التي تم تسليمها باللغة العربية، كما ترجم فصلين، ثم قام بتحرير الترجمة بأكملها. وإنني أثمّن النقاشات التي دارت بيننا حول المادة، حيث استفدت من نظرته إليها كخريج وموظف سابق في بيرزيت. وقامت لبنى عبد الهادي بإدارة إنتاج النسخة العربية. كما أتوجه بالشكر إلى إيلين دَن Elaine Dunn وجينيفر هيث Jennifer Heath للتدقيق الإملائي الدقيق بسرعة قياسية، وإلى لينا صبح من مؤسسة باليترا على التصميم والإخراج الجذابين وعلى جهودها الفائقة لتنفيذ العمل وفق جدولنا الزمني.

لقد قام العديد من ذوي الدراية بالمواضيع المختلفة بمراجعة المادة عدة مرات، مما ساعد في جعلها أكثر تركيزاً، وجعل الكتاب أكثر شمولاً وسلاسة. وقد رحّب عضو الهيئة التدريسية السابق توميس كابيتان Tomis Kapitan بالقيام بقراءة أخيرة للنص خلال الأسابيع القليلة التي سبقت إرساله إلى المطبعة. كل هذه الجهود أثمرت كتاباً أفضل بكثير.

عايدة عودة
المحررة

أهم الأحداث وفق التسلسل الزمني

١٩٢٠ الانتداب البريطاني على فلسطين

المجلس الوطني الفلسطيني (الذي تأسس في القدس عام ١٩١٩) يعقد ثالث اجتماعاته وينتخب اللجنة التنفيذية التي تقود الحركة الوطنية الفلسطينية من عام ١٩٢٠ وحتى ١٩٣٥.

النزاعات المتقطعة تندلع بين السكان الأصليين، أي الفلسطينيين العرب، وبين الأعداد المتزايدة من اليهود المهاجرين الذين ينوون إقامة دولة لليهود فوق أرض فلسطين. كان السير هنري مكماهون، المندوب السامي البريطاني في مصر، قد عبر في مراسلاته مع الشريف حسين أمير مكة بين العامين ١٩١٥ و١٩١٦، عن دعم بريطانيا لاستقلال العرب بعد الحرب إذا قام العرب بدعمٍ بريطانيا ضد الإمبراطورية العثمانية. إلا أن بريطانيا أصدرت أيضاً في عام ١٩١٧ وعد بلفور الذي قدم دعم الحكومة البريطانية لإقامة وطن يهودي في فلسطين.

١٩٢٤ **نبيهة ناصر ورتيبة شقير تؤسسان مدرسة بيرزيت للبنات.**

١٩٣٠ **مدرسة بيرزيت تصبح ثانوية مختلطة، ويتغير اسمها بعد سنتين إلى ثانوية بيرزيت.**

١٩٣٦ الفلسطينيون يثورون لمدة ثلاث سنوات (ومن بينها إضراب الستة أشهر) ضد الهجرة اليهودية المتصاعدة إلى فلسطين.

١٩٤٢ **ثانوية بيرزيت يصبح اسمها كلية بيرزيت.**

١٩٤٧ منظمة الأمم المتحدة تصوت على قرار تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية وأخرى عربية (٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر) والصدامات المسلحة تندلع.

١٩٤٨ الإعلان عن إقامة دولة إسرائيل في ١٤ أيار/مايو، قبل يوم واحد من انتهاء الانتداب البريطاني. الدول العربية ترسل الجيوش إلى فلسطين في اليوم التالي في محاولة لإنقاذ المناطق التي حددتها الأمم المتحدة كجزءٍ من الدولة العربية. تفريغ ما لا يقل عن ٤١٨ قرية وبلدة فلسطينية من سكانها وطرد أو هرب ٧٥٠,٠٠٠ فلسطيني من الأراضي التي أصبحت الدولة اليهودية. في السنة اللاحقة، إسرائيل توقع اتفاقية الهدنة مع الدول العربية.

١٩٥٣ **بيرزيت تبدأ بتدريس مساقات السنة الأولى من مستوى الكلية.**

١٩٥٦ العدوان الثلاثي (إسرائيل، فرنسا، بريطانيا) على مصر في أعقاب تأميمها لشركة قناة السويس.

١٩٦١ **كلية بيرزيت تضيف مساقات السنة الثانية للكلية إلى منهاجها وتمنح شهادة الدبلوم المتوسط في السنة التالية. خلال السنوات الستة التالية، يتم إلغاء الصفوف الابتدائية والإعدادية والثانوية تدريجياً بحيث تصبح بيرزيت كلية متوسطة فقط.**

١٩٦٤ المجلس الوطني الفلسطيني يجتمع في القدس. تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية.

١٩٦٧ إسرائيل تشن حربها الثالثة خلال عقدين، وتنتهي باحتلال الضفة الغربية (بما فيها القدس الشرقية) وقطاع غزة (بالإضافة إلى شبه جزيرة سيناء المصرية ومرتفعات الجولان السورية)، وتضع أكثر من ١,٣ مليون فلسطيني تحت حكمها. أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ فلسطيني ينزحون إلى الأردن (كثيرون منهم لاجئون للمرة الثانية).

١٩٧٢ إسرائيل تشن خلال السبعينات حملة اغتيالٍ للشخصيات السياسية الفلسطينية في لبنان و أوروبا، وتستهدف أيضاً الكتّاب، والأدباء، والنقاد، فتغتال غسان كنفاني، الناطق باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بيروت. وفي السنة التالية، تقوم باغتيال «القادة الثلاثة»، ومن بينهم الشاعر كمال ناصر، الناطق باسم منظمة التحرير الفلسطينية.

كلية بيرزيت تطلق برنامجها الدراسي المكون من أربع سنوات لمنح شهادتي البكالوريوس في الآداب والعلوم.

١٩٧٣ **تشكيل مجلس أمناء يتولى مسؤولية كلية بيرزيت. سلطات الاحتلال الإسرائيلي تقوم بإغلاق الحرم الجامعي بأمر عسكري لمدة أسبوعين (١٥-٣١ كانون الأول). الإغلاق يفرض خمس عشرة مرة خلال العقدين التاليين.**

١٩٧٤ الدول العربية تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.) ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني.

إبعاد رئيس الجامعة الدكتور حنا ناصر إلى لبنان (٢١ تشرين الثاني/نوفمبر).

١٩٧٥ الجمعية العامة للأمم المتحدة تصدر القرار رقم ٣٣٧٩ الذي يعتبر الصهيونية أحد أشكال العنصرية (ونتيجة الضغط الأميركي المكثف، يتم إلغاء القرار بعد ست عشرة سنة). الحرب الأهلية تندلع في لبنان.

تغيير اسم كلية بيرزيت ليصبح جامعة بيرزيت خلال السنة الدراسية ١٩٧٥-٧٦.

١٩٧٦ إجراء أول انتخابات بلدية في الضفة الغربية، والمرشحون الوطنيون يكتسحون المقاعد.

في ٣٠ آذار/مارس، يُقتل ستة فلسطينيين، ويُجرح حوالي مئة ويعتقل المئات على أيدي الجيش والشرطة الإسرائيليين خلال مظاهرات احتجاج على إعلان الحكومة الإسرائيلية نيتها مصادرة ٢٠,٠٠٠ دونم من الأراضي في الجليل. يطلق على هذا الحدث اسم يوم الأرض ويتم الاحتفال به سنوياً.

قبول جامعة بيرزيت في اتحاد الجامعات العربية في شهر نيسان/أبريل، والاحتفال بعد ثلاثة أشهر بتخرّج الفوج الأول من خريجي البكالوريوس (١١ تموز/يوليو).

١٩٧٧ الرئيس المصري أنور السادات يخطب في الكنيست الإسرائيلي.

قبول جامعة بيرزيت في الاتحاد العالمي للجامعات. الطلاب يلتحقون في برنامج الدراسات العليا في التربية. بدء أعمال لجنة الأسرى من أجل الدفاع عن حقوق أبناء الجامعة الأسرى لدى سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

١٩٧٨ إسرائيل تجتاح جنوب لبنان.

تأسيس كلية التجارة والاقتصاد ومعهد الصحة العامة والمجتمعية. مع حلول عام ٢٠١٠، تتم إضافة كل من كليات الهندسة، والقانون والإدارة العامة، والتمريض والمهن الصحية المساندة، والدراسات العليا، والتربية وتكنولوجيا المعلومات.

١٩٧٩ التوقيع على اتفاقيات كامب دافيد بين مصر وإسرائيل (٢٦ آذار/مارس).

١٩٨٠ الأمم المتحدة تدعو إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة (٢٧ تموز/يوليو). خلال الثمانينات، تجمد إسرائيل نشاط البلديات في الضفة الغربية وتقوم بإبعاد، أو طرد، أو محاولات اغتيال ضد رؤساء البلديات البارزين.

الاحتلال الإسرائيلي يصدر الأمر العسكري رقم ٨٥٤ الذي يضع مؤسسات التعليم العالي تحت إمرة الحاكم العسكري الإسرائيلي ويمكنه من التحكم في عمليتي تسجيل الطلاب وتعيين الموظفين.

جامعة بيرزيت تفتتح الحرم الجديد.

١٩٨١ **إنجاز مبنى كلية العلوم. على مدى العقود الثلاث التالية، يضاف الكثير من المباني الأخرى إلى الحرم الجامعي لاستيعاب البرامج والكليات الجديدة التي يجري استحداثها.**

١٩٨٢ إسرائيل تجتاح لبنان (٤ حزيران). قتل ما بين ٣٠,٠٠٠ و٤٠,٠٠٠ لبناني وفلسطيني، وجرح أكثر من ١٠,٠٠٠، وتشريد أكثر من ٥٠,٠٠٠، وسجن حوالي ٥,٠٠٠ في معسكر أنصار. مجازر صبرا وشاتيلا (١٦–١٨ أيلول/سبتمبر) تعقبها مغادرة م.ت.ف. للبنان.

١٩٨٣ إسرائيل تطرد ثلاثة وأربعين أكاديمياً من جامعات الضفة الغربية بسبب رفضهم التوقيع على تعهد ضد م.ت.ف.

١٩٨٤ **سلطات الاحتلال الإسرائيلي تغلق الجامعة لمدة شهر واحد. الجيش الإسرائيلي يطلق النار ويقتل شرف الطيبي (٢١ تشرين الثاني/نوفمبر)، وهو أول طلاب جامعة بيرزيت الخمسة وعشرين الذين يقتلهم الجيش بين الأعوام ١٩٨٤ و٢٠٠٨.**

١٩٨٥–٨٦
إسرائيل تعلن في آب/أغسطس ١٩٨٥ عن اتباع سياسة «القبضة الحديدية» لإخماد المقاومة ومظاهر العصيان في الأراضي الفلسطينية المحتلة. تتضمن هذه السياسة السجن، والاعتقال الإداري، وهدم المنازل وإغلاق المؤسسات.

سلطات الاحتلال الإسرائيلي تغلق الجامعة مرتين لمدد يبلغ مجموعها ثلاثة أشهر.

١٩٨٧ شاحنة إسرائيلية تصدم (٩ كانون الأول/ديسمبر) سيارة ركاب فلسطينية فتقتل أربعة وتجرح سبعة أشخاص فيما يعتبر الشرارة التي أطلقت الانتفاضة الأولى.

سلطات الاحتلال الإسرائيلي تغلق الجامعة ثلاث مرات لمدد يزيد مجموعها على الأربعة أشهر.

١٩٨٨ خلال اجتماعه في الجزائر، المجلس الوطني الفلسطيني يعلن قيام دولة فلسطين فوق الأرض الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف (وثيقة إعلان الاستقلال، ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر).

إغلاق جامعة بيرزيت للمرة الخامسة عشرة (٨ كانون الثاني/يناير) خلال موجة من عمليات الإغلاق للمدارس تجعل إسرائيل فيها التعليم عملاً غير قانوني فعلياً. الإغلاق يستمر لواحد وخمسين شهراً (لغاية ٢٩ نيسان/أبريل ١٩٩٢). خلال هذا الإغلاق الطويل، تستمر الجامعة بالعمل بشكل سري في مجموعات دراسية مصغرة وضمن ترتيبات مؤقتة خارج الجامعة. في ظل هذه الظروف، يضطر الكثير من الطلاب للبقاء عشر سنوات على مقاعد الدراسة لكي ينهوا متطلبات شهادة جامعية تحتاج في العادة أربع سنوات.

١٩٩١ مؤتمر السلام في الشرق الأوسط ينعقد في مدريد. الوفد الفلسطيني يتضمن الكثير من أعضاء الهيئة التدريسية والموظفين من جامعة بيرزيت كأعضاء في لجنة المتابعة، وفي الوفد المفاوض وكخبراء فنيين.

تأسيس مركز التعليم المستمر في بيرزيت. تأسيس العديد من المراكز والمعاهد الأخرى لتوفير الخدمات المجتمعية وإجراء الأبحاث المتعلقة بالسياسات خلال التسعينات وبداية الألفية الثالثة.

١٩٩٣ التوقيع على اتفاقية أوسلو (١٣ أيلول/سبتمبر)

رئيس الجامعة الدكتور حنا ناصر يعود إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة (٣٠ نيسان/أبريل) بعد أن أمضى أكثر من ثماني عشرة سنة في المنفى.

١٩٩٤ إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية.

٢٠٠٠ اندلاع الانتفاضة الثانية في أعقاب اقتحام زعيم حزب الليكود آرييل شارون (في ٢٨ أيلول/سبتمبر) وحرسه الحرم القدسي الشريف، حيث يقتل أربعة فلسطينيين ويجرح كثيرون.

٢٠٠١ **الجيش الإسرائيلي يقيم حاجزاً قرب سردا على طريق رام الله-بيرزيت يظل قائماً لغاية عام ٢٠٠٣، مما يضع الجامعة تحت الحصار الفعلي لمدة تقارب الثلاث سنوات.**

٢٠٠٢ إسرائيل تبدأ ببناء جدار (يسميه الفلسطينيون جدار الفصل العنصري) عقب فرض حصار على البلدات والقرى الفلسطينية في كل أنحاء الأراضي الفلسطينية المحتلة في الربيع، وذلك بذريعة تحقيق الأمن للإسرائيليين، ولكنها تشير في بعض الأوساط إلى أن هذا الجدار سيشكل الحدود بين إسرائيل و«كيان» فلسطيني.

الجامعة تطلق حملة الحق في التعليم (التي انبثقت عن لجنة الأسرى ومشروع العمل من أجل حقوق الإنسان في السبعينات والثمانينات) من أجل توفير المساعدة القانونية لموظفي وطلاب الجامعة الذين تقوم سلطات الاحتلال الإسرائيلي بقمعهم واعتقالهم، وإطلاع الرأي العام العالمي على هذه الانتهاكات لحقوق الإنسان الأساسية.

٢٠٠٣ راشيل كوري تقتل بجرافة لدى محاولتها منع هدم أحد البيوت الفلسطينية، وبهذا تكون أول ناشطة دولية لحقوق الإنسان تُقتل على أيدي الاحتلال الإسرائيلي.

٢٠٠٤ محكمة العدل الدولية تعلن أن مسار جدار الفصل العنصري غير قانوني (٩ تموز/يوليو). استشهاد ياسر عرفات (١١ تشرين الثاني/نوفمبر) فيما يبدو أنه عملية اغتيال.

تعيين د. نبيل قسيس رئيسا لجامعة بيرزيت، (١ أيلول/سبتمبر)، وهو الرئيس الثاني في تاريخ الجامعة.

٢٠٠٥ إخلاء حوالي ٨,٠٠٠ مستوطن من قطاع غزة. القوات العسكرية الإسرائيلية تعيد انتشارها على الحدود.

٢٠٠٦ إسرائيل تفرض حصاراً اقتصادياً محكماً على قطاع غزة.

٢٠٠٨ إسرائيل تشن (٢٧ كانون الثاني/يناير) عدواناً واسع النطاق على قطاع غزة، يتسبب في مقتل ١,٤١٧ فلسطينياً. يخلص تحقيق أجرته منظمة الأمم المتحدة (تقرير غولدستون) إلى أن إسرائيل ارتكبت أعمالاً تبلغ حد جرائم الحرب، ومن المحتمل أن تبلغ حد الجرائم ضد الإنسانية.

الجيش الإسرائيلي يطلق النار على الطالب في جامعة بيرزيت عبد اللطيف علي محمد الحروب (٣١ آذار/مارس)، وهو الطالب الخامس والعشرون الذي يستشهد منذ عام ١٩٨٤.

٢٠١٠ **حتى شهر نيسان/أبريل، يوجد بين الأسرى ٨٢ طالباً وعضواً في الهيئة التدريسية لجامعة بيرزيت.**

1

من مدرسة ابتدائية إلى جامعة

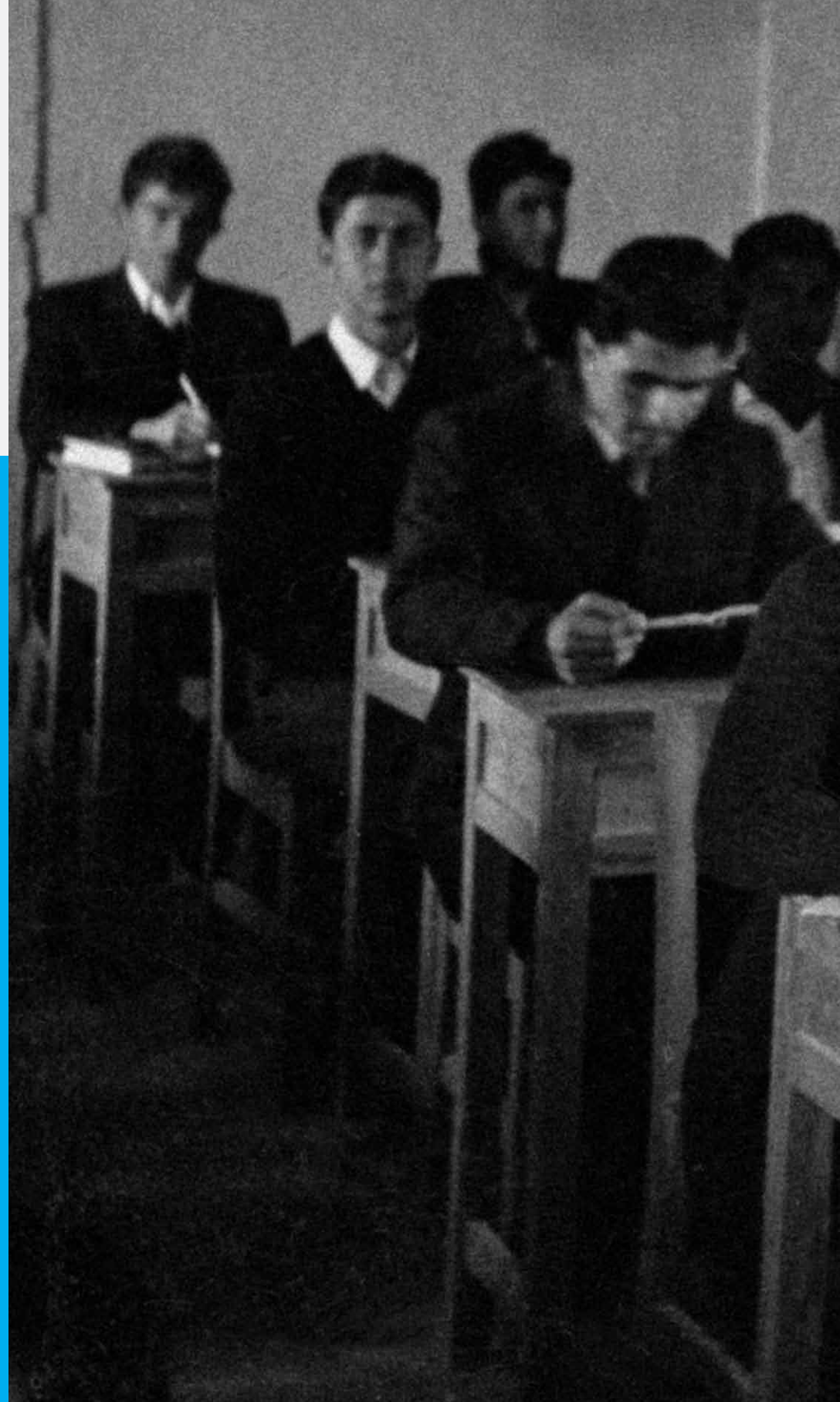

الرسالة

«جامعة بيرزيت مؤسسة عربية فلسطينية يشرف عليها مجلس أمناء مستقل يقرر سياستها ويتحمل مسؤولياتها.

وتلتزم الجامعة بقيم التميز وتشجيع الابتكار والتجربة والإبداع والإتقان، والعمل الجماعي، والديمقراطية المبنية على التعددية وحرية الرأي واحترام الآخر.

وتسعى الجامعة إلى التميز في مجالات التعليم العالي، والبحث العلمي، وخدمة المجتمع. والتزمت الجامعة منذ تأسيسها بتوفير الفرص التعليمية دون تمييز، وتهيئة الطلبة ليكونوا مواطنين صالحين فعالين في مجتمعهم ومنتمين له. وتهيئ الجامعة المناخ المناسب لتنمية الطلاب وبلورة شخصياتهم وصقل مواهبهم في جو ليبرالي منفتح ومرتكز على التراث العربي الإسلامي».

مدرسة بيرزيت: بريشة جورج عليف.

الفصل الأول

البدايات: الفكرة – البذرة

ريما ترزي وسامية خوري

كانت بيرزيت دائماً محور حياة أفراد عائلتنا. فيها نشأنا تحت الأعين الراعية والحانية، وأحياناً الحازمة والعابسة، لنساء الأسرة؛ وفيها تلقينا تعليمنا، واكتسبنا قيمنا ومواقفنا، ونمينا تطلعاتنا ومواهبنا.

جدنا هو القس حنا ناصر ذو الروح العطوفة الكريمة الذي رزق بثماني بنات وولد واحد هو والدنا موسى، وجدتنا هي سعدة شطارة من رام الله التي كانت معلمة قبل زواجها. وقد ربت كل أولئك الأطفال ودبرت شؤون المنزل بالراتب المحدود لزوجها رجل الدين الذي كان فاتحاً بيته للأضياف. ونذكرهما هنا لما لما كان لهما من كبير الأثر على والدنا وعماتنا. وكانت كبرى بناتهما، عمتنا نبيهة، هي القوة المحركة وراء المدرسة.

كان أن طلبت المعلمة رتيبة شقير (وهي من لبنان) من نبيهة، تلميذتها السابقة، أن تُعِينها في تأسيس مدرسة بنات في لبنان؛ ولكن عمتنا اقترحت إنشاء مدرسة في بيرزيت، حيث الحاجة ماسة. وقد استأذنت والدها في استخدام بيته الواسع للمشروع؛ ولأنه رجل دين يتنقل بين المدن والبلدات في فلسطين والأردن، سُرَّ بتخصيص منزله الصيفي في بيرزيت لمشروع أثير إلى قلبه.

منزل آل ناصر الذي أصبح مدرسة بيرزيت

وأنشئت المدرسة في عام ١٩٢٤ باسم مدرسة بيرزيت للبنات، وكانت رتيبة شقير المديرة. (ورغم اسمها فالمدرسة استقبلت الصبيان تحت إلحاح الأهالي.)

شهد عام ١٩٣٢ عدة نقاط تحول في تاريخ المدرسة، ففيه انتقلت رتيبة إلى بيت جالا لإنشاء مدرسة الراعي الصالح هناك (تعرف اليوم باسم مدرسة الراعي الصالح السويدية)، وأصبحت نبيهة المديرة في بيرزيت. وكان هذا أيضاً العام الذي أنشئت فيه مدرسة مستقلة للصبيان تولى إدارتها وديع ترزي. ومع إنشائها غدا الاسم بحاجة إلى تغيير فأصبح: مدرسة بيرزيت الثانوية التي تضم قسماً للبنات وآخر للصبيان.

وفي عام ١٩٤٢ أطلق على المدرسة اسم كلية بيرزيت. لم يعكس تغيير الاسم تغييراً في المنهاج أو في بنية المدرسة. ففي ذلك الوقت، كان إطلاق اسم كلية على المدارس أمراً شائعاً توقف بعد بضعة سنوات، أصبحت خلالها بيرزيت كلية بالمعنى المعاصر للكلمة، وهكذا احتفظت باسمها.

مرافق المدرسة

كانت كلية بيرزيت تتكون من مدرستين منفصلتين، واحدة للبنات وأخرى للصبيان. كانت مدرسة البنات في بيت جدنا الذي كان يحتوي على الصفوف، وسكن الطالبات، وسكن المدرسات والمديرة، بالإضافة إلى مكاتب الإدارة. وكانت مدرسة الصبيان تتكون من بيوت مستأجرة في الحي. استُخدم أحد البيوت للصفوف وسكن المدرسين، واستُخدم مبنى مستأجر آخر كسكن للصبيان وقاعة طعام للمدرسين والطلاب. كما استخدمت كلتا المدرستين مبنى ثالثاً كان ملكاً للعائلة للمحاضرات العامة، والمسرحيات، والمناظرات والأنشطة الأخرى.

لم يكن في بيرزيت كهرباء، حيث تم ربطها بالتيار في عام ١٩٥١. وكانت المدرسة تعتمد على عدد من مصابيح الكاز عندما تحتاج إلى الإضاءة. ولم تكن ثمة خدمات للمياه الجارية، بل كان الاعتماد على آبار لتجميع مياه الأمطار التي كانت تضخ يومياً بشكل يدوي إلى خزانات المياه على السطح. ولم تكن هناك تدفئة، بل إن الحياة كانت متقشفة، لكننا كنا معتادين على هذه الحياة التي صلّبت من عودنا. نتذكر تلك الأيام أحياناً، فتقشعر أبداننا، ولكن نشعر الآن بالفخر.

باكورة خريجي مدرسة بيرزيت، عشرينات القرن الماضي، ومؤسستا المدرسة نبيهة ناصر (جلوساً إلى اليمين) ورتيبة شقير (جلوساً الثالثة من اليمين). الخريجات (بالملابس البيضاء) لم يتم التعرف إلى شخصياتهن، باستثناء وردة مسلم، التي تجلس بين ناصر وشقير. وقوفاً من اليمين إلى اليسار: سامي ناصر ورشيد عرنكي

فقرة راقصة (من تصميم ماري ناصر) خلال حفل التخرج عام ١٩٤٢. كان يتم تدريس الرقص الشعبي والكلاسيكي كجزء من مادة التربية البدنية وكان نشاطاً يحظى بشعبية كبيرة. خلال احتفالات التخرج، كانت الطالبات يرقصن الباليه على أنغام الموسيقى الكلاسيكية.

الطاقم

قبل عام ١٩٤٧ كان الطاقم التعليمي يضم أفراداً متميزين من فلسطين ولبنان وأقطار أخرى. فالدكتورة سلوى نصار، الفيزيائية اللبنانية المعروفة التي أصبحت فيما بعد بروفسورة في الجامعة الأميركية في بيروت ثم رئيسة لكلية بيروت للبنات (الجامعة اللبنانية الأميركية اليوم) بدأت رحلتها المهنية في بيرزيت؛ ووديع ديب اللبناني كتب كلمات نشيد المدرسة الذي لحنه معلم الموسيقى الفلسطيني سلفادور عرنيطة؛ والفنان الروسي جورج عليف صمم الزيتونة التي أصبحت شعار بيرزيت؛ والشاعر سعيد العيسى كان يدرس اللغة العربية قبل أن يغادر للعمل في هيئة الإذاعة البريطانية؛ وميشيل كركر، الذي لجأ من اللد، أدخل تعليم اللغة الفرنسية إلى المنهاج في العام الدراسي ١٩٤٨–١٩٤٩. وفي هذة الفترة، أضيفت المحاسبة والطباعة إلى المنهاج عندما نقلت جميعة الشبان المسيحية آلاتها الطابعة بصحبة المعلم بيتر سحار إلى بيرزيت (فقد أجبرت الجمعية على إغلاق موقعها في القدس الغربية).

مشاركة العائلة

علاوة على إدارة المدرسة كانت نبيهة، المتخرجة من المدرسة الإنجيلية في بيت لحم، تعلم التاريخ وقواعد اللغة العربية، وتقوم بأشغال الحديقة والتسوق، وترافقنا على البيانو في الغناء، وتعالج الأمور في الدوائر الرسمية. وبوصفها مديرة المدرسة قامت بدور مهم في الحركة النسائية، وحملت بقوة لواء الدفاع عن حقوق شعبها وبلدها في عدة محافل.

كان لوالدنا موسى دور نشط في المدرسة. فقد شاطر شقيقته في التزامها القوي بفتح وتوسيع فرص التعليم للبنات، وسعى حثيثاً لجعل بيرزيت معهداً يزود طلبته بما يكفل لهم مواجهة تحديات ذلك الزمن. وقد أثرى بأفكاره ومبادراته الخلاقة البرامج التعليمية في المدرسة.

عملت ثلاث من عماتنا مع أختهن نبيهة في المدرسة. فقد درست نعمة فارس، التي ترملت صغيرة، اللغة الإنجليزية سنوات طوالاً في مدرسة الصبيان ومدرسة البنات. كانت شخصية آسرة وخطيبة مفوهة (رغم ميلها لتجنب الحشود)،

أعداد الطلبة
في ١٩٢٢-١٩٢٣ كان نحو ٢٠٪ فقط ممن هم في سن التعليم من أطفال فلسطين في المدارس؛ وعام ١٩٤٧ كان ٤٤,٥٪ في المدارس الحكومية والخاصة.

١٩٢٥-١٩٢٦
عدد المدارس الحكومية للصبيان: ٢٨٣
عدد التلاميذ: ١٦,١٤٦
عدد المدارس الحكومية للبنات: ٣١
عدد التلميذات: ٣,٥٩١
عدد التلامذة في المدارس الخاصة: ١٩,٣٢٨

١٩٤٤-١٩٤٥
عدد المدارس الحكومية للصبيان: ٣٩٨
عدد التلاميذ: ٥٦,٣٥٩
عدد المدارس الحكومية للبنات: ٨٠
عدد التلميذات: ١٥,٣٠٣
عدد التلامذة في المدارس الخاصة. ١٩٤٥-١٩٤٦ : ٤٣,٨٨٥

أعداد الطلبة في كلية بيرزيت، ١٩٤٢-١٩٤٧
١٩٤٢: ١٣٨ (٥٨ من الذكور، و٨٠ من الإناث)
١٩٤٣: ١٣٩ (٥٨ من الذكور، و٨١ من الإناث)
١٩٤٤: ١٨٤ (١٠٨ من الذكور، و ٧٦ من الإناث)
١٩٤٥: ٢١٨ (١٤١ من الذكور، ٧٧ من الإناث)
١٩٤٦: ٢٢٢ (١٤٥ من الذكور، و٧٧ من الإناث)
١٩٤٧: ١٨٢ (١٠٦ من الذكور، و٧٦ من الإناث)

قائمة مجتزأة باسماء المعلمين في بيرزيت، ١٩٢٤-١٩٥٠

فيما يلي أسماء أشخاص علموا في بيرزيت في السنوات التي سبقت تحول المدرسة إلى كلية متوسطة. أسماء المعلمين اللبنانيين بالخط الممال:

غالب أبو السعود • إيمي عرنكي • نصوحي البرغوثي • طلعت البرغوثي • زاهية البيبي • رشيد الدجاني • كامل ديب • ناجي ديب • نخلة ديب • وديع ديب • سعيد العيسى • أسامة فارس • لولو غطاس • نعيمة حبيب • إميل حبيبي • جورجيت هدبا • عبد الرحيم خضر • علي خلف • محمد الخياط • إيليا خوري • أديب خوري • جورج خوري • جبران خوري • فهمي الجيوسي • فيرا جريديني • فريد مجج • شاكر مينا • إيلين ناصر • كمال ناصر • لوريس ناصر • ليلى ناصر • ناصر ناصر • ريما ناصر • سلوى ناصر • فؤاد نخو • نجيب عودة • ماري باول • شاهينة رحال • أسعد رحال • حسن صباح • نهيل سلامة • سلوى سلامة • يوسف شديد • سلوى شحادة • أديلا سيمونز إيفري • ديفيد ترزي • شوقي ترزي • هيلدا ويلسون • ليلى زايد

ويتذكرها طلبتها كأحد أفضل المدرسين. وقامت أنيسة بالتدريس في المدرسة الابتدائية. وتولت ماري، الأخت الصغرى، المسؤولية عن "المرشدات" بعض الوقت إلى أن جرى حل هذه الحركة؛ وأصبحت معلمة الرياضة البدنية وكانت تدرب فريق الكرة الطائرة الذي حاز على العديد من الكؤوس.

وكانت الأخوات الأخريات يقدمن ما يلزم بين الفينة والأخرى. كانت فكتوريا على أهبة الاستعداد دوماً لتقديم العون المالي والمعنوي، وتوأمها ليزي قامت بالتدريس لبعض الوقت، وفي عام ١٩٤٤ انضمت نجلاء لطاقم التدريس كمعلمة للغة الإنجليزية.

في عام ١٩٤٨ كان على والدينا اللذين كانا يسكنان في القدس مغادرتها بسبب الحرب، فانتقلا للعيش في بيرزيت وانغمسا مع باقي أفراد العائلة في الإدارة والتخطيط للمدرسة.

بالإضافة لمشاركة والدنا النشطة في إدارة المدرسة فقد قام، وهو المتخصص في الفيزياء، بتدريس هذا العلم بعض الوقت، وابتدع طرقاً لتبسيط المنهج الجاف الصعب وجعله محبباً. وما زلنا نذكر النوادر التي رواها طلبته عن استخدامه طنجرة الضغط (التي كانت إحدى أواني المطبخ الحديثة في ذلك الوقت) لشرح النظريات الفيزيائية.

أما والدتنا، فقد تولت مهمة الإشراف على تدبير الشؤون المنزلية والطعام. وكانت إنسانة بارعة، وعطوفة وحانية يحبها ويقدرها الجميع، التلاميذ، والهيئة التدريسية وأهالي بيرزيت عموماً.

غادر الكثيرون من المعلمين المؤهلين فلسطين بعد عام ١٩٤٨، وكان علينا أن نهب للمساعدة. قطعت ريما دراستها للموسيقى في باريس قبيل وفاة نبيهة، وعادت إلى بيرزيت لتعليم الموسيقى واللغة الإنجليزية، وتصدرت النشاطات الثقافية. وأخونا حنا قام بالتدريس سنة بعد تخرجه من الثانوية؛ وفي الوقت نفسه كان ملتحقاً بالبرنامج الخاص لما بعد الثانوي والذي كان قد بدأ في السنة نفسها، والذي تضمن مساقات في العلوم السياسية والاقتصاد والرياضيات المتقدمة. ودعي عدد من أبناء العمومة للتدريس. أحدهم كان الشاعر كمال ناصر الذي درَّس اللغة العربية في السنة المدرسية ١٩٤٨–١٩٤٩ ثم انضم بعد رحلة

نبيهة ناصر (١٨٩١-١٩٥١)

كانت نبيهة ناصر، المؤسسة المشاركة لمدرسة بيرزيت، ناشطة بارزة في التحرك من أجل حقوق المرأة (شأنها في ذلك شأن الكثيرات من نساء الشرائح العليا والوسطى في فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين). في تشرين الأول ١٩٣٨ ألقت كلمة أمام المؤتمر النسائي الشرقي في القاهرة دافعت فيها عن الوحدة العربية كطريق لمواجهة التهديدات التي تواجهها فلسطين: «يجب ألا تقف الصعوبات في وجه اتحاد أمة واحدة كالأمة العربية مرتبطة مع بعضها في اللغة وفي العادات والدين. يجب أن نستغل كنوزنا الطبيعية لمنفعتنا وليس لمنفعة غيرنا، ونسن شرائعنا وأنظمتنا لمصلحتنا وليس لمصلحة الأجنبي، ونعلم أولادنا كما نريد لا كما يريد الآخرون. نقاوة الدم ليست أمراً ضرورياً، وما ضرنا أن نطلق كلمة عربي على كل من يستعمل اللغة العربية كلغته البيتية. أنا هنا بالنيابة عن فلسطين لأبث شكوى هذا البلد العربي المسكين الذي ناضل كثيراً، وأشعر أن لا حياة لأهل فلسطين إلا كجزء من الأمة العربية، وأعتقد أن الأمة كلها سوف تهب لمعاضدة فلسطين الدامية.» وكانت هدى شعراوي النسوية المصرية البارزة قد أرسلت خطاباً بتاريخ ٢٨ شباط فبراير ١٩٤٦ إلى نبيهة ناصر تقترح فيها أن يتراسلا بشأن قضايا حقوق المرأة التي تلتزم بها كلتاهما.

الهيئة التدريسية والعاملون في ثانوية بيرزيت: جلوساً من اليمين إلى اليسار: سعيد العيسى، وديع ديب، موسى ناصر، ليندا ناصر، وديع ترزي، رشيد الدجاني. وقوفاً من اليمين إلى اليسار: عيسى عقال، فؤاد نخّو، فهمي الجيوسي، أديب خوري.

مضطربة مع السياسة والصحافة إلى منظمة التحرير الفلسطينية؛ وقد كان أحد القادة الفلسطينيين الثلاثة الذين اغتالتهم فرق الكوماندوز الإسرائيلية المتسللة إلى بيروت في نيسان إبريل ١٩٧٣.

النكبة وأثرها

كانت سنة ١٩٤٨ حاسمة في تاريخ كلية بيرزيت. مع حلول فصل الربيع، كانت الأوضاع السياسية تبدو متدهورة، وشعرت إدارة الكلية بالقلق حيال احتمال انقطاع السنة الدراسية (التي تنتهي عادة في شهر حزيران) عند انسحاب القوات البريطانية لانتهاء الانتداب الذي كان قد بدأ عام ١٩١٧، فقررت إتمام منهاج الفصل بحلول شهر نيسان.

كان احتفال التخرج مقرراً في ٣٠ نيسان، على أن يجري تحت رعاية عبد القادر الحسيني، قائد «جيش الجهاد المقدس». إلا أن هذا لم يتم، ففي الثامن من نيسان استشهد الحسيني على يد الميليشيات اليهودية المنظمة المسلحة (الهاغاناه)، في معركة القسطل مدافعاً عن تلك التلة على مشارف القدس.

كان الحسيني محبوباً جداً ويتمتع بشعبية كبيرة، كما كانت تربطه ببيرزيت علاقة من نوع خاص، حيث إنها كانت إحدى مقراته. نتذكر كيف كانت الطالبات تنسجن الألبسة الصوفية لقواته، الأمر الذي كان أحد أشكال التعبير عن اعتزازهن بالقضية النبيلة التي كان يدافع عنها بكل قوته.

تسلم طلبة الصف الرابع الثانوي شهاداتهم في ٣٠ نيسان أبريل في احتفال مقتضب أقيم في القاعة عند مدخل المبنى الرئيسي، وتصدره إميل الغوري أمين اللجنة العربية العليا وأحد نواب الحسيني.

عند انتهاء السنة الدراسية في نيسان، غادر المدرسة الكثيرون من الطلبة الداخليين، ولا سيما من أبناء المدن الساحلية كيافا وحيفا بهدف العودة إلى بيوتهم فوراً. جرى الإعلان عن إقامة دولة إسرائيل في ١٥ أيار، أي بعد يوم واحد من انتهاء الانتداب البريطاني. استضافت قرية بيرزيت عدداً كبيراً من اللاجئين الذين شردوا تحت تهديد السلاح وقطعوا المسافة مشياً من الرملة واللد في قيظ تموز إلى أن وجدوا المأوى في بيرزيت. وقد فتحت المدرسة، أسوة بكنائس بيرزيت ومسجدها، أبوابها وآوت اللاجئين إلى أن غدا في مقدورهم الانتقال إلى الخيام أو مواصلة رحلتهم البطيئة المريرة باتجاه رام الله والمدن الأخرى عبر نهر الأردن.

موسى ناصر (١٨٩٥-١٩٧١)

نال موسى ناصر شهادة في الفيزياء من الجامعة الأميركية في بيروت في عام ١٩١٤. وقد فتح مدرسة لتدريس الإدارة العامة في بيته بالقدس اضطر لإغلاقها بعد عام ١٩٤٨. وقد انغمس بعد النكبة في دعم وإدارة وتطوير مدرسة العائلة في بيرزيت. في الخمسينات أدخل مفهوم «السنة التجريبية» للطلبة بعد سنتهم الأخيرة في المدرسة الثانوية. كان يؤمن بقوة بأن بالتعليم المتخصص في حقول معينة بالجامعات كثيراً ما يعني أن الطلبة يتخرجون ولمَّا يكوِّنوا نظرة ناضجة وشاملة عن العالم والحياة. وقد تلا هذه السنة التجريبية تأسيس الصف الجامعي الأول في الكلية.

في الخمسينات انتخب مرتين لمجلس النواب الأردني وتولى مناصب وزارية في الحكومة الأردنية. وفي عامي ١٩٥٩ و١٩٦٠ وبوصفه وزيراً للخارجية، ألقى كلمتين مؤثرتين أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن فلسطين وقضية اللاجئين. وقد تقاعد من العمل السياسي عام ١٩٦١ بعد أن خاب أمله من الوضع السياسي القائم. وكرس وقته وطاقته لتطوير كلية بيرزيت والتعليم بشكل عام، وللدفاع عن قضية فلسطين في المحافل المختلفة، مركزاً باستمرار على البعد الأخلاقي في القضية.

كان رئيساً لكلية بيرزيت من عام ١٩٤٧ حتى وفاته عام ١٩٧١.

مديرات مدرسة البنات
رتيبة شقير، ١٩٢٤-١٩٣٢ • نبيهة ناصر، ١٩٣٢-١٩٥١ • نعمة فارس، ١٩٥١-١٩٦٧

مديرو مدرسة الصبيان
وديع ترزي، ١٩٣٢-١٩٤٢ • القس بطرس ناصر، ١٩٤٢-١٩٤٣ • ديفيد ترزي، ١٩٤٣-١٩٥١ • إيليا خوري، ١٩٥١-١٩٥٣

رئيس الكلية (المدرستين)
موسى ناصر ١٩٤٧-١٩٧١

في ذلك الصيف لجأ إلى بيرزيت عماتنا وخالاتنا وأخوالنا الذين كانوا يعيشون في الجزء الغربي من القدس، هذا بعد مذبحة دير ياسين المريعة. كانت منازل الطلبة خالية تقريباً آنذاك؛ ولذا كان من الممكن استضافة الكثيرين من أبناء العائلة في مباني المدرسة.

ومع وصول آلاف اللاجئين إلى بيرزيت، أدرك والدنا أهمية توثيق عملية تشريدهم، فبادر إلى إجراء تعداد أولي للاجئين. وبمساعدة الطلاب والأقارب القاطنين في بيرزيت، قام بجمع البيانات حول اللاجئين، التي تتضمن البلدات الأصلية، حيث تم تقديمها لاحقاً إلى الصليب الأحمر الدولي للمساهمة في توفير المساعدات لهم. وقد جلب هذا التعداد المبكر، الذي شكل أول عملية لجمع مثل هذه البيانات، لوالدنا شهادة تقدير من الصليب الأحمر.

في أيلول ١٩٤٨، استأنفت المدرسة أعمالها، لكن الجسم الطلابي تغير. فمع حلول فصل الخريف، بات الطلاب إما من بيرزيت أو من اللاجئين الذين كانوا شبه معدمين، مما فرض على المدرسة مواجهة تحدي الاستمرار رغم الصعوبات المالية.

ادى انخفاض عدد الطلاب المسجلين إلى دمج مدرستي الصبيان والبنات في مدرسة واحدة مختلطة. وأزيلت جميع الصفوف من المبنى الرئيسي (بيت جدنا). واستخدم مبنى جديد كسكن للمعلمين وكمبنى سكني. واقام جميع الصبيان الذين تقل أعمارهم عن اثنتي عشرة سنة في المبنى الرئيسي في جناح تم توسيعه خصيصاً لهذا الغرض.

في آذار مارس عام ١٩٥١ توفيت نبيهة ناصر عقب مرض قصير. كانت محبوبة جداً وقد فجع لوفاتها الكثيرون. (كان أهل القرية يسمون المدرسة بمدرسة «الست نبيهة»، تعبيراً عن مكانتها وتفانيها). وتبعتها في إدارة المدرسة نعمة فارس التي أثبتت جدارة ومهارة لا تقلان عن أختها. كما واصل والدنا مساندتها مثلما كان يساند نبيهة، مواصلاً في نفس الوقت نشاطه السياسي بشكل منفصل.

جورج عليف. الفنان الروسي. والمدرّس ومصمّم شعار المدرسة. شجرة الزيتون مع بعض طالباته. ١٩٤٣.

نشيد المدرسة (والكلية والجامعة لاحقاً)

اللازمة	معهد العلم المفدى	دم بعز وسلام
	أنت بالأرواح تفدى	أيها السامي المقام
	**** ****	****
١	لم نكن ننساك يوماً	لا ولن ننسى هواك
	سوف نرعى العهد دوماً	ونباهي في سناك
	بيرزيت قد غدوت	منهلاً للظامئين
	والى العليا سموت	ببنيك المخلصين
	**** (اللازمة)	****
٢	أنت للنشء منار	وعماد للوطن
	أنت للعُرْب فخار	خالد مر الزمن
	فاغرسن ما شئت فينا	من مباديك الحسان
	واجعل التوحيد فينا	فلنعش عيش الأمان
	**** (اللازمة)	****

كلمات: وديع ديب/لبنان
ألحان: سلفادور عرنيطة/فلسطين

روح بيرزيت

من الصعب تحديد المقصود بما يسميه الكثيرون من الخريجين «روح بيرزيت». لقد أوجد الجو العائلي للمدرسة روابط قوية بين الطلبة والهيئة التدريسية والإدارية التي توافد أفرادها على بيرزيت من كل أنحاء فلسطين ومن شرق الأردن، ولبنان. كان جواً ليبرالياً وطنياً؛ كان كثيرون من المعلمين قوميين متحفزين، وقد أثروا عميقاً في طلبتهم. ومن أهم القيم التي بثوها تقديم الصالح العام على المصالح والاحتياجات الشخصية، والسعي لخدمة البلاد والمجتمع. ويعكس القسم الجامعي الذي بدأه والدنا كي يؤديه خريجو الكلية المتوسطة في أواخر الخمسينات هذه القيم؛ وكذا الأمر بالنسبة للتجمع الصباحي حيث كان يؤدى نشيد وطني بعد كلمة المديرة. كانت قيم الصدق والإخلاص والتواضع والشجاعة تزرع باستمرار في نفوس الطلبة. وعلى نفس الدرجة من الأهمية كان التركيز على توسيع الأفق الثقافي وعلى النشاطات التي تبني الشخصية.

ولا شك في أن جانبا من «روح بيرزيت» ينعكس في نظامها الأكاديمي وتخصصاتها. فخلافاً للمدارس الخاصة كانت العربية لغة التدريس، مما يعكس روح القومية العربية التي كانت المدرسة تنميها. على أن مهارات الطلبة في اللغة الإنجليزية كانت تشحذ عبر التعليم من قبل نعمة فارس، وعبر التشجيع على التخاطب بالإنجليزية، وإعطاء مساقات إضافية في العلوم أو التاريخ باللغة الإنجليزية (وكانت تسمى المساقات الاختيارية).

الحياة الثقافية في بيرزيت

عندما يتذكر طلبة ما قبل النكبة أيامهم في بيرزيت يذكرون بحنين النشاطات اللاصفية التي تركت أثراً في قوة وحجم التعليم الراقي الذي يشعرون بالامتنان لأنهم تلقوه.

ركزت بيرزيت على الموسيقى، ووظفت أساتذة موسيقى ممتازين. وفي حفل التخرج كانت الجوقة تؤدي تشكيلة من الأغنيات العربية والأناشيد الوطنية التي يكتبها ويلحنها الموسيقيون العاملون في بيرزيت.

حفل التخرج، ٢٨ حزيران ١٩٤١، سلفادور عرنيطة يقود جوقة بيرزيت وأعضاء فرقة دار الإذاعة الفلسطينية. قبل النكبة كانت معظم احتفالات التخرج تجري في باحة الحرم القديم. وكانت الشخصيات المعروفة في المجتمع تدعى لتسليم الشهادات للخريجين. إلا أن حفل التخرج الأخير قبل النكبة جرى في حزيران ١٩٤٧ في مقر جمعية الشابات المسيحية في القدس، وهو مركز ثقافي ورياضي كبير.

الموسيقى في بيرزيت

كان الموسيقيون وأساتذة الموسيقى في بيرزيت يلحنون قصائد الشعراء العرب والفلسطينيين (وبعضهم كان معلماً في المدرسة). كان سلفادور عرنيطة قائد فرقة جمعية الشبان المسيحية في القدس من عام ١٩٣٥ حتى ١٩٤٨ وقام بتدريس البيانو وتدريب الجوقة في بيرزيت بين ١٩٣٩ و١٩٤٦. وقد وضع الألحان للأغنيات الوطنية، بحيث تؤديها الفرقة الموسيقية مع فرقة الإنشاد، وخصوصاً في حفل التخريج. بعد عام ١٩٤٨ انتقل عرنيطة إلى بيروت مع زوجته المتخصصة في الدراسات الموسيقية يسرى جوهرية حيث أسس وترأس دائرة الموسيقى في الجامعة الأميركية في بيروت. وكان حنا خشادوريان (أوهان دوريان نارك) مدرساً للموسيقى في كلية بيرزيت من عام ١٩٤٤ إلى ١٩٤٦. وقد لحن أول نشيد من كلمات كمال ناصر، وجمع طائفة صالحة من الأغاني الأرمينية. وكان المؤلف الموسيقي المعروف يوسف بتروني من أوائل الموسيقيين الذين عملوا في القسم الموسيقي في محطة الإذاعة الفلسطينية، وقد انضم لبيرزيت في عام ١٩٥٤ وظل فيها حتى وفاته عام ١٩٥٧، وخلف مجموعة كبيرة من الأناشيد والأغنيات التي كانت ترددها فرقة الكلية. وممن وضع موسيقى أصيلة لفرقة بيرزيت أمين ناصر وريما ناصر ترزي.

ربح فريق كرة الشبكة في الكلية البطولة أربع سنوات متتالية (١٩٤٢-١٩٤٦).جلوساً من اليسار إلى اليمين: روز قرة، هيام غندور، إنعام الدجاني. وقوفاً من اليسار إلى اليمين: عايدة خوري، نينا موسى، كلير دلال وسلوى سعادة.

وقد شجعت إدارة كلية بيرزيت العروض المسرحية، وكانت تخرجها نعمة فارس ثم ريما ناصر لتؤدى في المدرسة ثم في مناطق أخرى في فلسطين والأردن. فيما يلي قائمة مجتزأة ببعض المسرحيات التي عرضها طلبة بيرزيت بين عامي ١٩٤٣ و١٩٥٢: لشكسبير "عطيل"، و"مكبث"، و"تاجر البندقية" (بالإنجليزية)؛ و"الزاوية الضيقة" لفرانسيس هاريس (مثلت على خشبة جمعية الشبان المسيحية في القدس)؛ والمسرحيات العربية "الهادي" و"آخر الأمويين" (ومثلتا في يافا وعمان)؛ و"أدونيس" لفريد مدور، ونسخة معربة من رواية تشارلز ديكنز "قصة مدينتين" (ومثلت في نابلس، ورام الله، وعمان)؛ و"حفنة ريح" وهي كوميديا لسعيد تقي الدين مثلها طلبة مدرسة الصبيان.

كان الطلبة يتلقون دروس الفن على أيدي معلمين ذوي باع طويل مثل جورج علييف وأليس هيرابيديان التي كانت أيضاً تصمم الملابس لتمثيليات المدرسة. وكانت البنات يتعملن الخياطة والتطريز؛ وكان الرقص من الأنشطة المحببة إليهن.

كان الطلبة جميعاً يترقبون بشغف المسابقة الشعرية السنوية «سوق عكاظ»، وهي إحياء لتقليد عربي قديم. لسنوات طويلة كانت سوق عكاظ حكراً على الصبيان حيث تنطلق مواهبهم الشعرية. كان الارتجال يقيل الكثيرين عثراتهم! وكانت تعقد المناظرات التي تشجع التفكير والتعبير بجلاء عن الحجج.

كانت بيرزيت حريصة على الرياضة. ومن بين الألعاب المحببة للجنسين كانت الكرة الطائرة، وكرة القدم، وكرة الطاولة، والقفز العالي؛ كذا كان الجمباز والتزلج على العجلات.

في اليوم الميداني السنوي، في أواخر العام الدراسي، كان الصبيان ينقسمون إلى أربع فرق للتنافس في الألعاب. وقد سميت الفرق بأسماء قادة عرب مشهورين قادوا الجيوش في الحقبة الباكرة من الفتوح الإسلامية: أسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، والمثنى بن حارثة. واتخذت فرق البنات أسماء نساء عربيات شهيرات: الخنساء، وخولة بنت الأزور، والزهراء، والزرقاء. وكانت المباريات تنتهي بعروض بهيجة يحضرها الآباء والأهل وكبار الضيوف وتقام في ملعب كرة القدم في جفنا وفي الملعب القريب من الحرم القديم، وكان وجهاء المجتمع يسلمون الميداليات والكؤوس للفائزين.

وبنظرة إلى الوراء، إلى تلك السنوات الحافلة بالتحديات والإنجازات نشعر بالامتنان للمؤسسين على ما تركوه لنا، ونشعر بأننا محظوظتان لأننا شهدنا نمو مؤسسة تعليمية عظيمة، ولأننا أسهمنا بعض المساهمة، في هذه المأثرة.

ذكريات من السنوات الأولى

كنت في الثامنة وأختي لمياء في السابعة عندما التحقنا بالقسم الداخلي بمدرسة بيرزيت عام ١٩٣٤، وقد أرسلنا الأهل لعدم وجود مدارس جيدة في غزة وخصوصاً للبنات.

كانت نبيهة ناصر المديرة، والسيدة فارس مديرة المنزل. يدخل المرء من الطريق الرئيسي إلى الحديقة الأمامية ثم إلى بهو المبنى الرئيسي المبلط بحجارة جميلة يتم تنظيفها كل يوم سبت. كنت في موقع الدفاع في الكرة الطائرة إذ كنت طويلة وقوية البنية. وعندما كان الصبيان يسافرون إلى رام الله أو القدس لمباراة كرة قدم كنا ننتظر بفارغ الصبر عودتهم لنهتف لهم.

كنا أحياناً نخوض مسابقات مع مدارس من رام الله والقدس في جمع الأزهار البرية من الوديان والجبال، والجائزة من نصيب من يجمع تشكيلة أجمل.

كانت مدرسة جيدة وخرجنا منها بأصدقاء العمر.

وفي أيام الثورة بين عامي ١٩٣٨-١٩٣٩ أحس والدنا بالخوف علينا حيث كان الثوار يختبئون في الجبال القريبة، فقام بنقلنا إلى كلية القدس للبنات.

سهام الشوا (طالبة بين عامي ١٩٣٤-١٩٣٩).

أنا من بيرزيت، وقد بدأت في المدرسة من سن صغيرة جداً. كانت نبيهة ناصر المديرة، ورتيبة شقير كانت معها. أتذكر رتيبة شقير. لا أدري ما الذي حدث بينهما، ولكن رتيبة غادرت إلى بيت لحم، وأسست هناك مدرسة الراعي الصالح في منطقة اسمها قصر جاسر.

تخرجت في زمن نبيهة ناصر وكان الانتداب البريطاني موجوداً آنذاك. أدينا امتحان المترك الفلسطيني. جلسنا جميعاً في القاعة نفسها، اليهود مع الفلسطينيين العرب مع الطلبة البريطانيين.

كان فريق الكرة الطائرة في بيرزيت قوياً جداً. كنا نلعب ضد مدرسة الفرندز برام الله، والمأمونية بالقدس، ومعهد المعلمات في القدس، والمدرسة الثانوية البريطانية، ومدسة داخلية لليهود. وكثيراً ما ظفرنا بالكأس.

كانت السيدة نعمة فارس تعلمنا اللغة الإنجليزية، وكانت إنجليزيتها عالية. حتى إن المعلمين البريطانيين كانوا يطلبون منا أن نسألها عن أمور يعجزون عنها. درسنا معها شكسبير؛ كان

خريجو سنة ١٩٤٢. الصف الأول، من اليسار إلى اليمين: بديعة ناصر، وأليس غاوي. الصف الثاني، من اليسار إلى اليمين: إيمي عرنكي (خطيبة الخريجين)، نهيل سلامة، وداد أبو رحمة،نبيهة ناصر، أليس بشارات، أرجنتين سعادة، بديعة سابا. الصف الثالث، من اليسار إلى اليمين: طالب لم نتعرف على شخصيته، قسطندي سفري (خطيب الخريجين)، زكي سعادة، وديع ترزي، مصطفى نسيبة، جورج خوري، فريد مجج، فؤاد فراج

مقرراً للصف الختامي "تاجر البندقية" و"عطيل" و"مكبث". ماري ناصر ترزي، صغرى الأخوات، كانت مسؤولة عن كرة السلة. كانت تطلق صافرتها في الساعة الخامسة عصراً لتجمعنا.

كنا نحب المدرسة، النشاطات كانت تشدنا كثيراً. كنا نؤدي الرقصات التقليدية الإنجليزية بإشراف المس باول، وهي قريبة اللورد روبرت بادن-باول منشيء الحركة الكشفية. وجاءت خلال الانتداب أيضاً مس ولكنسون، ومس بوب لتدريس الإنجليزية.

كانت مدرسة رائعة. ينعقد سوق عطاظ في وقته وتصدح الفرقة، وكان سلفادور عرنيطة يدرس البيانو للطلبة المهتمين. وفي يوم تخرجنا عزفت فرقة كبيرة فيها عرب ويهود بقيادة عرنيطة.

كنت في موقع وسط الوسط في فريق كرة السلة، وكانت أرجنتين الهدافة. وكذلك وداد. بديعة سابا من القسم الداخلي كانت الدفاع. كان هناك نظام العريفة بحيث تقود إحدى الطالبات الصف. هدى فراج كانت قائدة صفي. والعريفة كانت تنظم الفتيات للقيام بأعمال مثل التنظيف والترتيب في المدرسة. في صف التخرج كان هناك معي سبع أو ثماني فتيات: أنا، وأرجنتين سعادة، وبديعة ناصر، وأليس غاوي، وأليس بشارات، ووداد أبو رحمة. وكان

خريجو سنة ١٩٤٣: الصف الأول من اليسار إلى اليمين: نهى غندور، نعمة حبيب. الصف الثاني من اليسار إلى اليمين: إيميرانس سعادة، ليلي غندور، سلوى صلاح، ليلي ناصر، أسماء ناصر، هدى فراج سلوى شحادة. الصف الثالث من اليسار إلى اليمين: ناصر سليم ناصر، رؤوف سلفيتي، حفيظ غنام، طالب غير معروف، فؤاد خوري، طالبان غير معروفين، نصار سليمان نصار. الصف الثالث إلى أقصى اليمين: جورج فاشو كرم. الآخرون غير معروفين.

صف الصبيان مكوناً من عدد مقارب. أظن أن أحمد سامح الخالدي سلم الصبيان شهاداتهم. وشخص آخر سلم صفي الشهادات. كنت الأولى على صف البنات وألقيت الكلمة. وكوستا السفري كان أول الصبيان.

لبيرزيت سمعة طيبة، وكان طلبتها من أرقى العائلات، من يافا واللد والرملة وحيفا. وكان كثيرون من الطلبة والمعلمين من غزة. عائلة ترزي من هناك. ولفترة معينة جاءنا طلبة من الكويت من عائلة الملا. لقد أحببت التدريس، ليس هذا فقط بل أحببت تعويد الطالبات على الانضباط، وكيف يعتنين بصحتهن، وكيف ينتفعن بوقتهن. وقد كنت مديرة مدرسة تابعة لوكالة غوث اللاجئين، وعملت على تطبيق ما تعلمته في بيرزيت في مدرستي.

إيمي عرنكي (خريجة ١٩٤٢)، مديرة متقاعدة لمدرسة تابعة لوكالة الغوث.

التحقت بكلية بيرزيت سنة ١٩٣٩ وفيها أتممت دراستي الابتدائية والثانوية. يتوسط الطريق بين بلدتي جفنا وبين بيرزيت ملعب واسع لكرة القدم تقام عليه المباريات الدورية، حيث كان فريق بيرزيت يتغلب على منافسيه من المدارس الأخرى كمدرسة الفرندز في رام الله ومدرسة المطران في القدس. تبوأت كلية بيرزيت مركزاً مرموقاً وسمعة فائقة بين المدارس والكليات سواء حكومية أم الأهلية. كان يؤم الكلية بفرعيها البنين والبنات، طلاب من مختلف مدن فلسطين: يافا، اللد، الرملة، غزة، وغيرها، ومن شرق الاردن كالسلط والحصن وعمان، إضافة إلى طلاب بيرزيت وجفنا والقرى المجاورة. وما زلت أذكر المرحومين فؤاد خوري عضو محكمة التمييز، ومحفوظ غنام الرائد في عالم التجارة، وخضر نصار محرر رويتر، وغريغور عوض. هذا وقد تخرجت في كلية بيرزيت عام ١٩٤٣ على يدي رئيس الكلية وصاحبها المرحوم موسى ناصر في حفل تخرج ترأسه آنذاك المرحوم سليمان سكر وزير المالية في حكومة شرق الأردن وكان يرتدي طربوشاً أحمر. ما زلت أذكر بالخير والاحترام المرحوم وديع ترزي لحصافته وحسن شمائله وحسن إدارته لكلية بيرزيت للبنين، والمرحوم سعيد العيسى أستاذ اللغة العربية، وما زلت أحتفظ بأربعة دواوين من شعره أطالعها بين الحين والحين. وأذكر مس ولكنسون التي كانت تفتتح اليوم الدراسي بالعزف على الكمان والترتيل، وكذلك مس بول أستاذة اللغة الإنجليزية.

حفيظ موسى غنام (خريج ١٩٤٣).

من أسعد الذكريات عندما كسبنا كأس كرة السلة على كل مدارس فلسطين. أتذكر أننا كنا نقوم بتمثيل في القاعة الكبيرة ومن الأدوار التي لعبتها في إحدى القطع لشكسبير دور بورتشيا، والمخرجة كانت العمة نعمة. وكانت تقام في فلسطين على مستوى عام منافسات في ترتيب الزهور وقد فازت مدرستنا بالجائزة الأولى. لقد غرست مدرسة بيرزيت في قلوبنا محبة الوطن، وأكثر الأغاني التي تعلمناها كانت عن محبة الوطن.

هدى فراج (خريجة ١٩٤٥).

تعلمت من بعض المدرسات إجادة التمثيل المسرحي وإتقان إلقاء الشعر والنثر والإبداع في ألوان الموسيقى والعزف على البيانو. فكنت لا شعورياً أقلدهم وأتقمص شخصياتهم بعد أن اصبحت مدرسة أولاً ثم مديرة في وزارة التربية والتعليم في الكويت لثلاث مدارس: مدرسة السلام من سنة ١٩٦٣ لغاية ١٩٧٠، ثم مدرسة التفوق لمدة أربع سنين من ١٩٧١ – ١٩٧٥،

ثم مدرسة الفحاحيل الوطنية لمدة خمس عشرة سنة. وهذه الأخيرة كنت أمتلكها وأديرها في آن واحد. لقد وجدت في نفسي حسن إدارة نبيهة ناصر وقوة شخصية نعمة ناصر، وحب الحياة الاجتماعية التي دربتنا عليها ماري ناصر، ومحبة وحنان السيدة ليندا ناصر ورعاية العمة أنيسة. كان لهن الفضل الأكبر في نجاحي في الإدارة نجاحاً ملموساً. وأقول باعتزاز إنه خلال عملي في هذه المدارس الثلاث لم ترسب تلميذة واحدة سواء في الشهادة المتوسطة أو الثانوية العامة.

أظن أن كثيرات من خريجات بيرزيت قد سرن على نفس الدرب في قيادة أحسن وأرقى المدارس في الكويت، ومنهن على ما أذكر سلمى الخيري، إنعام دجاني، شريفة بعباع وغيرهن.

قضيت في بيرزيت سبع سنين كاملة تعلمت فيها الكثير وكذلك أخواتي وبنات عمي. وكنا معروفين بالغنادير نسبة إلى آل غندور. كانت حياتنا في بيرزيت حياة اجتهاد ومرح، حياة جد وكذلك لهو وفرح، ومحبة وأخوة.

سميرة غندور حداد (خريجة ١٩٤٧).

تم تهجيرنا من يافا، ووصلنا إلى بيرزيت على ظهر شاحنة تحمل اللاجئين في مارس آذار أو أبريل نيسان ١٩٤٨. وقد قتل والدي على يد قطاع طرق بين رام الله وبيرزيت، وكنت في الخامسة عشرة.

في الخريف أخذتني أمي إلى السيدة نبيهة ناصر مديرة الكلية، التي استقبلتنا بترحاب. وجدت في بيزيت وكليتها بيتاً جديداً. كانت تجربة رائعة.

بعض الطلبة لم يعودوا إلى بيرزيت بعد الحرب. صفي لم يكن كبيراً؛ ربما عشرون طالباً. بعض الطلبة كانوا من الأردن، وبعضهم من نابلس. كان يأتي أحياناً طلبة من الخليج، ولكنهم لم يأتوا في ذلك العام. وبعض المعلمين أيضاً لم يرجع بعد الحرب، وجاء معلمون بديلون. من أفضل المعلمين نعمة فارس، وقد درستني اللغة الإنجليزية وزودتني بحصيلة ممتازة. وقد أنهيت السنة الأخيرة وتخرجت عام ١٩٤٩. وتحدث في حفل التخرج السيد موسى ناصر وأعتقد أنه كان هناك متحدثون ضيوف من عمان.

توجهت بعد ذلك إلى عمان حيث أديت امتحان مترك لندن ونجحت، بفضل دراستي في بيرزيت.

خريجو سنة ١٩٤٩. جلوساً من اليسار إلى اليمين: عايدة عويضة، صبحية ملحس، موسى ناصر، نبيهة ناصر، وعفاف طقطق. الخريجون الآخرون غير معروفين، ما عدا إدوارد كركر (أعلى اليسار) ووديع ناصر (الثالث من اليمين).

كان في بيرزيت لاجئون كثيرون في تلك السنة، وقد فتح الناس لهم قلوبهم. إنها بلدة وادعة والكلية مركزها. الكلية تميزت بالانفتاح في الموسيقى والدراما مثلاً. أتذكر أنني كنت ألعب كرة الطاولة مع حنا ناصر، وقد غلبني في إحدى المباريات. مع ذلك كنا نركز على دروسنا بجانب النشاطات.

بعد التخرج عملت في مساعدة اللاجئين في مخيم الجلزون ثم اشتغلت سنة محاسباً في مطحنة دقيق. وتقدمت لجامعة ستانفورد وأحرزت قبولاً، وذهبت للولايات المتحدة حيث درست الهندسة الكهربائية.

لي ذكريات حميمة عن تلك الفترة. أشعر بقرب ممن عرفتهم آنذاك، وما زالت لي صلات معهم.

إدوارد كركر (خريج ١٩٤٩)، مؤسس شركة لتصنيع أجهزة الاتصالات الإلكترونية.

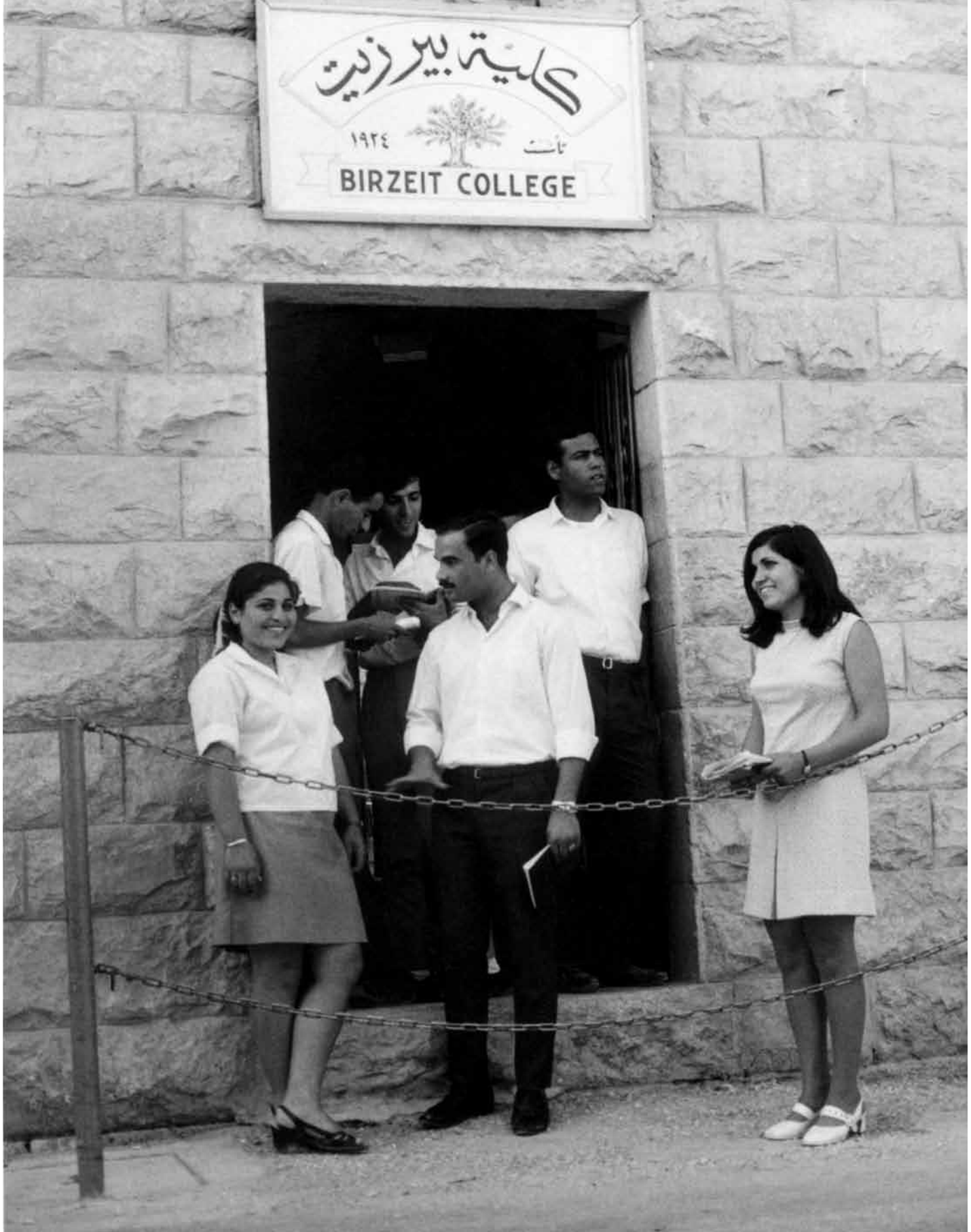
كلية بيرزيت
تأسست ١٩٢٤
BIRZEIT COLLEGE

الفصل الثاني

تطوير الكلية المتوسطة: من الرؤية إلى الواقع

جابي برامكي، وسامية خوري وريما ترزي

واجهت بيرزيت الكثير من التحديات بعد عام ١٩٤٨. فقد عانى المجتمع الفلسطيني بأسره من آثار النكبة، وإقامة دولة إسرائيل على ٧٨٪ من البلاد وطرد أكثرية السكان الفلسطينيين من هذه الأراضي. قررت إدارة كلية بيرزيت الرد على التحديات الجديدة بالتركيز على توفير فرص التعليم العالي للطلاب الفلسطينيين. فقررت تطوير المدرسة الثانوية بحيث تصبح كلية متوسطة. كانت الحاجة إلى مثل هذه المؤسسة جلية، حيث لم تكن هناك أية كليات متوسطة في فلسطين أو الأردن خلال تلك الفترة، فيما كان عدد المدارس الحكومية وتلك التابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا، والتي تأسست في ٨ كانون الثاني ١٩٤٩ بقرار صادر عن منظمة الأمم المتحدة من أجل توفير الإغاثة وبرامج العمل للاجئين الفلسطينيين) يتزايد، فأصبح من الواضح أن الفرصة باتت مهيأة للعمل على تنفيذ الرؤية الخاصة بإقامة أول كلية متوسطة فلسطينية.

خريجو سنة ١٩٥٥ مع أعضاء الهيئة التدريسية: جلوساً من اليسار إلى اليمين: سامية ناصر، بديعة ناصر، عبلة فرج الله، ضيفة الحفل د. سلوى ناصر، سهيلة ناصر، أليس هيرابديان وريما ناصر. يظهر جابي برامكي في وسط الصف الثاني. أما الآخرون، فهم غير معروفين.

مكتبة الكلية.

إضافة منهاج لمستوى الكلية

قام رئيس الكلية موسى ناصر باستدعاء جابي برامكي، وهو أحد الخريجين الذي كان قد عاد لتوّه إلى المدرسة بعد حصوله على شهادة الماجستير في الكيمياء من الجامعة الأميركية في بيروت، وذلك للمساعدة في رعاية عملية الانتقال من مدرسة إلى كلية متوسطة. وفي عام ١٩٥٣، تم فتح الصف الجامعي الأول (التحضيري) بفضل الدعم المالي الذي قدمته مؤسسة فورد. وقد ساهم أفراد العائلة في هذا الانتقال التدريجي. ففي عام ١٩٥٤، انضمت إلى طاقم العمل سامية ابنة موسى، التي كانت قد عادت لتوّها وهي تحمل شهادة في إدارة الأعمال من جامعة ساوث ويسترن في ولاية تكساس الأميركية، وتم تعيينها لتولي مسؤولية المحاسبة، والتسجيل والسكرتارية. وعلاوة على مهامها الإدارية قامت بتعليم مساق في إدارة الأعمال وأشرفت على الأنشطة الرياضية للبنات. أما الابنة الثانية ريما، التي تخرجت من الجامعة الأميركية في بيروت في عام ١٩٥٤، فانضمت إلى الهيئة التدريسية لبيرزيت حيث درّست الموسيقى، وعلم النفس التربوي واللغات، كما أشرفت على الأنشطة الثقافية. وبعد سنتين، انضم ابن موسى، حنا (وهو أيضاً خريج الجامعة الأميركية في بيروت) إلى الهيئة التدريسية مدرّساً للفيزياء، كما ساعد في الإدارة وفي تطوير برنامج الكلية المتوسطة. ومع حلول عام ١٩٦١، تمت إضافة منهاج السنة الثانية الجامعية. كانت عملية تطوير المدرسة إلى كلية متوسطة تقتضي توسيع المرافق القائمة، بما فيها الغرف الصفية، والمختبرات، والسكن، والمرافق الترفيهية والرياضية والمكتبة، مما اقتضى إلغاء الصفوف الابتدائية والثانوية بشكل تدريجي. ولكن اتضح أن هذا لن يكون كافياً، فتضافرت الجهود لحيازة أرض في محيط البلدة في منطقة المرج غربي الحرم القديم، وذلك بهدف التوسع والتطوير المستقبليين. وقررت الإدارة أن مدرّسي الكلية يجب أن يكونوا حاصلين على شهادة البكالوريوس كحد أدنى (ونصفهم ينبغي أن يكونوا حاصلين على شهادة الماجستير). وتلقى معظم مدرّسي المرحلتين الابتدائية والثانوية غير الجامعيين دورات تدريبية قصيرة لكي يتمكنوا من تولي وظائف إدارية في الكلية المتوسطة. وتكللت الخطة بالنجاح، حيث إن ارتفاع المستوى الأكاديمي لمنهاج الصف التحضيري مكّن خريجيه من الانتقال إلى جامعات أخرى في المنطقة أو في الخارج دون مواجهة أي صعوبة.

الملك حسين في زيارة للكلية خلال الخمسينات: من اليسار إلى اليمين: السيدة إيفلين برامكي، سيدة غير معروفة، موسى ناصر، الملك حسين، ليندا ناصر.

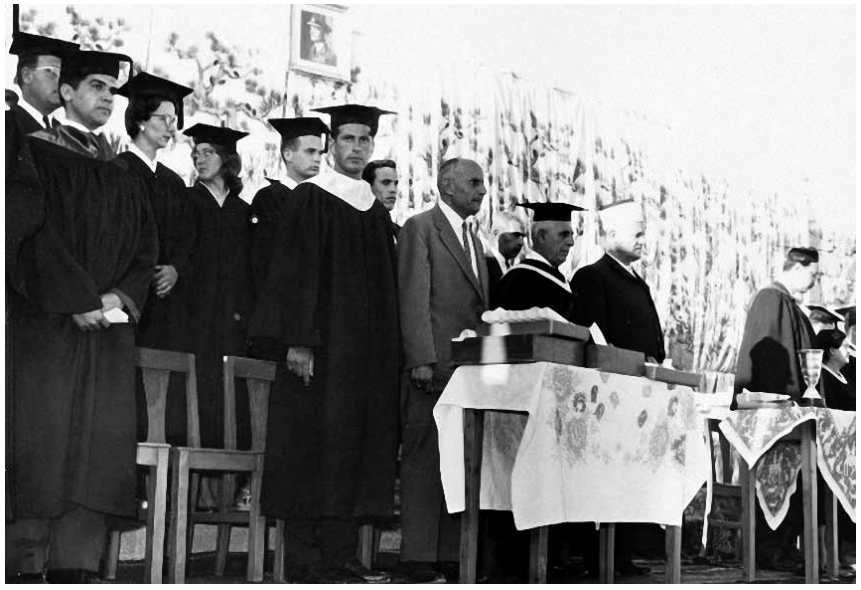

حفل التخرج عام ١٩٦٢: الصف الأول من اليسار إلى اليمين: مدرس الفيزياء حنا ناصر، مدرس التاريخ سبيرو جوزي، رئيس الكلية موسى ناصر، والمتحدث الضيف غير معروف.

الموسيقيون والشاعر في بيرزيت: من اليسار إلى اليمين: الملحنان أمين ناصر وريما ناصر، ويوسف البتروني والشاعر الشهيد كمال ناصر.

عهد الخريجين

نصرح نحن الخريجين أننا ندرك أن العلم لا يمنح المتعلم سبباً للتفاخر، بل يلقي على عاتقه مسؤوليات جسيمة، ويطالبه بأن يستخدم ما يحصل عليه من علم ومعرفة في خدمة أمته والإنسانية. ولذلك نتعهد أن نلتزم بهذا المبدأ وأن نقوم بواجباتنا بمنتهى الصدق والأمانة والإخلاص. كما أننا نتعهد أن نبذل قصارى جهدنا لنكون مواطنين صالحين جاعلين مصالحنا الشخصية منسجمة دوماً مع الصالح العام.

حيث إن الكثيرين من أعضاء الهيئة التدريسية هم من خرّيجي الجامعة الأميركية في بيروت وينظرون إليها كمقصد طبيعي للطلاب، بدأت إدارة بيرزيت حواراً مع إدارة الجامعة الأميركية في بيروت للتعرف على شروط قبول انتقال الطلاب. (كانت الجامعات العربية تتبع نظاماً جعل انتقال الطلاب إليها مستحيلاً). وقد توصلوا إلى اتفاق مع مكتب امتحانات القبول والمستوى التابع للجامعة الأميركية حول تقديم الامتحان الخاص بهذه الأخيرة في بيرزيت.

وقد حقق طلاب بيرزيت نتائج طيبة في هذه الامتحانات. ومع حلول عام ١٩٦٣، باتوا قادرين على الانتقال دون التقدم للامتحان، وكان هذا إنجازاً كبيراً حققه طلاب بيرزيت. وعلى مرّ السنين، كانت الجامعة الأميركية في بيروت تقارن نتائج الطلاب المنتقلين من بيرزيت في السنة الثالثة مع نتائج طلاب السنة الثالثة الذين بدأوا دراستهم في الجامعة الأميركية نفسها. وكانت نتائج طلاب بيرزيت في السنة الثالثة كمجموعة دائماً أفضل من نتائج طلاب الجامعة الأميركية نفسها.

وأضيف إلى البرنامج الأكاديمي برنامجان خاصان مؤقتان بهدف تلبية الحاجات الفورية للبلاد. أما البرنامج الأول، فهو دورة تدريبية لمدرّسي الأونروا لمدة سنة واحدة (لم تكن الأونروا قد أقامت معاهد تدريب المعلمين الخاصة بها بعد). أما البرنامج الثاني، فهو برنامج دبلوم متوسط في الإدارة العامة لمدة سنتين لمجموعة مختارة من موظفي الحكومة الأردنية. وقد استقطب هذا البرنامج أعلى الكفاءات التدريسية، وكان خريجوه يجدون عملاً بشكل فوري إما في المؤسسات الحكومية أو في القطاع الخاص.

في عام ١٩٦٧، أنهى الصف الأخير من طلاب الثانوية العامة متطلبات التخرج (لم يتم الاحتفال بتخرجهم لأنهم كانوا يتقدمون للامتحانات النهائية عندما اندلعت حرب حزيران، لكن هذا كان أمراً تافهاً أمام كارثة الاحتلال التي حلت بالفلسطينيين حينها). ومع حلول فصل الخريف، كانت بيرزيت قد أصبحت كلية متوسطة بالكامل.

شكلت الكلية المتوسطة جسراً ضرورياً في حياة الطلاب. فعلى المستوى الأكاديمي، كانت تدربهم على المهارات الأساسية مثل استخدام المكتبة، والقيام بالأبحاث، وكتابة الأوراق والمهارات التي لم يكن يتم تدريسها لطلاب المرحلة لثانوية في ذلك الوقت. أما على مستوى الاجتماعي، فقد وفر الحرم المختلط فرصة للشبان والشابات للتعلّم والتفاعل بشكل طبيعي مع بعضهم البعض والاستعداد للحياة الجامعية في الخارج.

تنشئة وصقل شخصيات الطلاب

شكلت الأنشطة اللامنهجية جزءاً لا يتجزأ من الحياة الطلابية في بيرزيت، وذلك بسبب وجود القسم الداخلي، وأيضاً لأن المدرسة كانت تركز على بناء شخصيات الطلاب وتدريبهم على التفكير. فكان الطلاب ينضمون إلى النوادي (الأدبية، والفنية والعلمية وغيرها) حسب اهتماماتهم. وكانوا يعبرون عن آرائهم من خلال لوحات الحائط والنشرات، مثل صحيفة "الغدير" الطلابية. كما كانت الإدارة تشجع الطلاب على التصويت الديمقراطي خلال انتخابات اتحاد الطلاب.

كانت بيرزيت تشجع الطلاب على المشاركة في الموسيقى والتعبير الفني وعلى الانضمام إلى فرق الغناء وجوقة الكلية التي كانت تحيي احتفالات التخرج وتؤدي عروضها في عدة أماكن أخرى. بعد رحيل مدرس الموسيقى يوسف بتروني في عام ١٩٥٧، تعاقب العديد من مدرّسات ومدرّسي الموسيقى الذين قدموا على فترات متقطعة للعمل في قيادة الجوقة وإخراج الأعمال الموسيقية، ومن بينهم ماري صلاح، ووديع خوري، وإديث أوت، وبيتسي تشايس، وأمين ناصر ونادية ميخائيل عبوشي، حيث انضم هذان الأخيران إلى الهيئة التدريسية للجامعة. كما شاركا في عام ١٩٩٣ (مع كل من ريما ناصر ترزي، وسلوى تابري، وسهيل خوري) في تأسيس المعهد الوطني للموسيقى (الكونسرفاتوار، والذي أطلق عليه في عام ٢٠٠٤ اسم معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى وانضوى تحت مظلة الجامعة).

كان الكثير من الطلاب يحضرون الحصص الموسيقية الأسبوعية في القاعة الرئيسية، حيث كانوا يستمعون للموسيقى الكلاسيكية والأوبرا. كما كانت تعرض في بعض الأمسيات بعض الأفلام الأجنبية التعليمية والطويلة.

وكانت بيرزيت تشجع الرياضة، والمسابقات والرحلات. ففي كل سنة تقريباً، كان المدرّسون والطلاب يذهبون في رحلات إلى أماكن مثل البتراء، والعقبة، والأزرق وجرش. كما كان يجري تنظيم بعض الرحلات سيراً على الأقدام أو بالدراجات الهوائية أحياناً.

باختصار، كان الإداريون والعاملون في بيرزيت يبذلون جهداً كبيراً من أجل تحسين سمعة الكلية كمؤسسة توفر التعليم العالي الجيد وتمنح طلابها الفرص لبناء شخصياتهم وصقل هواياتهم من خلال الأنشطة اللامنهجية.

عرض مسرحي لرواية «قصة مدينتين» لتشارلز ديكنز، ١٩٥٢. كانت العروض المسرحية والموسيقية الخفيفة تعرض أمام الجمهور المتذوق للفن. من بين المسرحيات التي عرضت في الخمسينات أوبريت «حلم الفالس» لأوسكار شتراوس، ومسرحيتا جيلبرت وسوليفان «محاكمة عن طريق المحلّفين» و«قراصنة بنزانس»، والتي عرضت في كل من القدس، ورام الله وعمان.

رياضة الجمباز في بيرزيت. أدخل متري خشرم رياضة الجمباز إلى عدة مدارس أخرى في فلسطين ومن بينها بيرزيت.

الحج إلى مزار الشيخ قطرواني

درست في كلية بيرزيت بين عام ١٩٦٢ وعام ١٩٦٤، مباشرة بعد تخرجي من ثانوية رام الله. كانت كلية بيرزيت ما تزال في الحرم القديم الواقع داخل بلدة بيرزيت، وكانت البيئة الاجتماعية تقليدية. فكان أهل البلدة يرمقون الشباب والشابات الذين يسيرون يداً بيد في أزقة البلدة بنظرات حادة، ويلقون على مسامعهم كلمات جارحة أحياناً. وتمكّن المدير موسى ناصر من إقناع المجلس البلدي بحظر بيع الكحول في جميع متاجر ومقاهي البلدة. كما كان التدخين ممنوعاً داخل حرم الكلية. أما نعمة فارس، والتي كانت مسؤولة عن سكن الطالبات، فكانت تعمل على ضمان نقاء وطهر العلاقات القائمة بين الطلاب (والهيئة التدريسية)، مما حافظ على علاقات عذرية بين الطلبة.

كان المنفذان الاجتماعيان المتاحَان للطلاب خارج الحرم هما إما السير مسافة طويلة إلى جفنا، حيث كان يوجد مطعم وحانة طبش الذي كان يقدم البيرة والعرق بأسعار معقولة، أو السير مسافة أقصر إلى قرية عطارة.

منشورات الكلية: «الغدير». والتي حلت محل «صوت الكلية» (التي كانت تصدر قبل سنة ١٩٤٨). تصوير: ياسر درويش.

كان السير في نزهة مسائية إلى مقام الشيخ القطرواني في قرية عطارة من أجمل ذكريات أيامي الأولى في بيرزيت. كانت نساء القرية يزرْن الضريح للحصول على بركة الولي، إما للحمل بمولود ذكر، أو للشفاء من أمراض مستعصية أو من العقم. وفي يوم من الأيام، اكتشف طلاب بيرزيت القدرة العلاجية الخارقة لهذه النزهة الهادئة في الجهة الشمالية من القرية على طريق عطارة، وهي منطقة خالية من حركة السير، ومشرفة على مشهد الغروب الخلاّب على البحر الأبيض المتوسط، حيث يمكن التمتع بمشاهدة شاطئ يافا بوضوح في أيام الصيف ذات السماء الصافية، فكان الشاطئ يتلألأ نهاراً ويتوهج بالأنوار ليلاً. كان ذلك قبل حرب حزيران ١٩٦٧، التي أبعدت عنا الساحل الفلسطيني أكثر، فأصبحت الحياة على شاطئ البحر ذكرى ورواية خرافية يرويها جيل آبائنا مراراً وتكراراً وكأنها أسطورة.

لكن نزهة السير إلى القطرواني كانت محببة بسبب موقعها أكثر من المقصد نفسه. وأصبحت طريق عطارة والقطرواني تعرف بطريق العشاق، واكتشف الطلاب فيها قدرة الشيخ العلاجية الخارقة.

في صيف ٢٠٠٩، سرت في هذا الطريق مرة أخرى بعد خمس وأربعين سنة، وصعقت لحجم العمران على جانبي الطريق الريفية. فقد أصبحت بيرزيت وعطارة وحدة حضرية واحدة متواصلة. الأسوأ من هذا كله أن المقام نفسه قد تم تجديده، مما أفقده رونقه وطابعه المحبب كخربة مهملة، كما أن البلدية أحاطته بسياج يمنع دخول الجمهور إليه بحيث أصبح موقعاً مقدساً رسمياً.

في تلك الأيام، كانت كلية بيرزيت تغلي بالطاقة والحيوية، وكانت الهيئة التدريسية شابة وملهمة. أما المنهاج الدراسي فكان في مرحلة تجريبية، وكان للهيئة التدريسية باع طويل في وضعه وفي تشجيع الطلاب على التعبير والتفاعل مع المحاضرين. كان الطلاب يفدون من شتى أنحاء البلاد ومن الأردن، وكذلك من سوريا، ولبنان، وكثيرون منهم كانوا من الطلاب الداخليين. كان النشاط السياسي في أوجه داخل وخارج الصفوف، فكان هناك التيار الناصري (بالدرجة الأولى)، والهاشمي، والشيوعي، والقومي (حركة القوميين العرب)، والقومي السوري، بالإضافة إلى التيار البعثي، الذي كان قوياً بشكل خاص لأن بلدة بيرزيت، حيث الحرم الجامعي القديم، كانت تشكل أحد معاقلهم.

كنا نطالع ماركس، ولينين، وماكسيم غوركي، وساطع الحصري (يوم ميثلون)، وليلى البعلبكي، وكولين ويلسون. كانت الوجودية قد وصلت لتوّها إلى العالم العربي، وذلك بفضل كتابات سهيل إدريس ومجلة "الآداب". وكان الطلاب اليساريون إما ميالين إلى سارتر أو متعصبين

لكولين ويلسون، حتى أن كتاب "اللامنتمي" كاد أن يكون بمثابة إنجيلٍ لجيل الستينات بأكمله. كانت مبيعات كتب كولين ويلسون تحقق أرقاماً أعلى من كتب نجيب محفوظ وغادة السمان مجتمعَين. (ومع حلول الثمانينات، لم يكن أحد من طلابي قد سمع حتى بكولين ويلسون).

كنت قد حوّلت لتوي من التخصص العلمي (حيث تخليت عن حلمي بأن أكون عالم فيزياء ناشئاً) إلى العلوم الإنسانية. وانخرطت فوراً في تحرير جريدة طلابية كان اسمها "الغدير"، الأمر الذي أدى بي إلى فتح علاقات مع كافة التيارات، التي كان كل منها يريد للجريدة أن تعكس وجهة نظره. كنائب لرئيس التحرير، كنت آخذ المواد إلى القدس مرتين شهرياً حتى يتم تنضيدها يدوياً على يد صاحب مطبعة المعارف ميشيل مشحور. لم تكن طباعة "اللينوتايب" قد وصلت إلى فلسطين بعد. كان يتم إعداد المسودات على ألواح زرقاء، حيث تصفُّ حروف الصفحة يدوياً، وكانت الحروف الرئيسية توضع في درج مفتوح. فإذا نفذت نسخ الحرف من النوع نفسه، اضطررنا لاستخدام نوع مختلف من الحروف في المقالة نفسها، أو حتى في الفقرة نفسها.

وكانت الأخطاء كثيرة، فكنت أعمل حتى وقت متأخر من الليل مع السيد مشحور، الذي كان يقوم بمراجعة ثلاث أو أربع نسخ من ألواح الصحيفة معي.

في ربيع عام ١٩٦٣، في الذكرى الخامسة عشرة للنكبة، قررت هيئة تحرير صحيفة الغدير إصدار ملحق خاص حول الذكرى. كانت هناك في تلك الفترة اشتباكات على حدود الجزء الجنوبي من الضفة الغربية مع الإسرائيليين. وبسبب الرقابة، كان من الصعب على مطبعة المعارف وصاحبها مشحور أن تتولى طباعة الملحق، فقررنا أن نقوم بطباعته داخل حرم الكلية باستخدام آلة النسخ والتجليد الفني.

كنائب لرئيس التحرير، عملت على هذا الملحق مع عدد من النشطاء، لكنني أتذكر منهم عبد الله حمودة من حركة الناصريين العرب (اليسار الناصري)، وليلى نفاع من الحزب الشيوعي. وكان موقفي الإيديولوجي متضارباً، حيث كان موقفي السياسي أقرب إلى حمودة، ولكني كنت أقرب إلى نفاع بشكل شخصي. وكانت العلاقات بين الاثنين متوترة، بل عدائية أحياناً، فكان علي أن أتوسط لتخفيف هذا التوتر أحياناً. في النهاية، قمنا بطباعة خمسمائة نسخة من الملحق. واستخدمنا آلة النسخ الموجودة في مكتب الشؤون المالية بعد الدوام. وتم توزيع الملحق بشكل سري لتجنب الرقابة وحقق نجاحاً فورياً.

تخرجت من كلية بيرزيت في عام ١٩٦٤ وعدت إليها في عام ١٩٧١ كمحاضر في دائرة علم الاجتماع. خلال هذه السنوات السبعة، كانت الكلية، مثلها مثل باقي أنحاء فلسطين، قد وقعت تحت الحكم الإسرائيلي وانقطعت كلياً عن العالم العربي. وقد انعكس ذلك في طبيعة تكوين الجسم الطلابي والهيئة التدريسية على حد سواء، حيث تحولت تركيبتهما من عربية إلى مناطقية فلسطينية. واستعاضت بيرزيت عن خسارتها للطلاب العرب القادمين من الدول العربية المجاورة ومن بينها الأردن بحشد كبير من الطلاب القادمين من غزة (الذين أصبحوا أكبر مجموعة داخل الجامعة في أوائل الثمانينات) ومن الفلسطينيين القادمين من الجليل. ولأول مرة، أصبحت جامعة بيرزيت جامعة وطنية بالفعل.

إنني أعتقد أن مكانة بيرزيت كمركز ثقافي حر متاح للشباب الفلسطيني لم تُعطَ حقها، أولاً كبوتقة للتفاعل بين الشبان والشابات بعيداً عن رقابة وأعين التقاليد الاجتماعية المحافظة، وثانياً كأرضية للحوار الفكري داخل الصفوف وخارجها، وثالثاً كساحة للنشاط الطلابي الوطني المنظم، حيث وجدت التيارات السياسية المختلفة مساحة للتعبير الحر وللتعبئة الوطنية عموماً.

سليم تماري (خريج ١٩٦٤)، مدير مؤسسة الدراسات الفلسطينية في رام الله. انضم إلى الهيئة التدريسية في دائرة علم الاجتماع كمعيد في عام ١٩٧١ وكأستاذ في عام ١٩٧٩.

التدريس في كلية بيرزيت خلال الخمسينات

في أواسط عام ١٩٥٤، كنت أنهي متطلبات شهادة الماجستير في الهندسة الكيماوية من جامعة ليهاي Lehigh في مدينة "بيت لحم" في ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأميركية. وكان والدي قد قال لي أن بيرزيت تقوم بتوسيع برامجها الأكاديمية وأنها قامت بإضافة الصف الجامعي الأول في عام ١٩٥٣. لذا، قمت بمراسلة المدرسة، التي عرضت علي وظيفة محاضر في الرياضيات والفيزياء للصف التحضيري والصفوف الثانوية العليا. كانت كلية بيرزيت تتكون في ذلك الوقت من ثلاثة مبان رئيسية:

المبنى الرئيسي للمدرسة الذي يقع في وسط قرية بيرزيت، والذي كان يضم سكن الطالبات، والمكاتب الإدارية، والمكتبة، والغرف الصفية، والمطبخ وغرفة الطعام. كما كانت عائلة ناصر تسكن في نفس المبنى.

معرض العلوم، ١٩٥٩. عرفت بيرزيت بمعرضها السنوي للعلوم الذي كان يظل مفتوحاً ثلاثة أيام ويجتذب طلبة الثانويات الذين يأتون بالحافلات من الضفة الغربية والأردن، بالإضافة إلى سكان القرية. وكان الطلاب والمدرسون يعملون ساعات طويلة من أجل ترتيب مختبرات الكيمياء، والفيزياء والأحياء لتقديم المعروضات التي لم يكن بإمكان الحضور مشاهدتها في مدارسهم. وكانت بعض تلك المعروضات عبارة عن خدع بصرية علمية. وحسب أحد منظمي المعرض، فقد كان الهدف هو حثّ وتشجيع الطلبة الصغار.

مبنى جديد يقع على بعد حوالي ٥٠٠ متر ويضم مختبر العلوم، وقاعة الاجتماعات، والصفوف العليا (الصف الرابع الثانوي والصف التحضيري).

سكن للطلاب الداخليين الذكور. وقد سكنت مع زوجتي في ذلك المبنى في غرفة كان فيها حمام مستقل. أما حنا ناصر الذي كان قد عاد لتوه من بيروت بعد أن حاز على شهادة البكالوريوس في الفيزياء، فكان يقيم في الجهة المقابلة لنا. كنت وإياه آباءً للطلاب، حيث تشاركنا في مسؤولية الإشراف على ساعات الدراسة المسائية وعلى الحمام الأسبوعي بالمياه الساخنة للطلاب الداخليين.

كانت الصفوف صغيرة نسبياً. وقد قمت بتدريس الرياضيات والفيزياء باللغة الإنجليزية للصف التحضيري، وباللغة العربية للصفوف الأخرى.

كان يوم زيارة الملكة دينا لبيرزيت، وكانت تزوجت الملك حسين حديثا، يوماً مشهوداً لا ينسى. كنا قد أنهينا لتونا معرض العلوم، وأتذكر إهداءها نموذج صخرة من الفضاء قمت بصنعه من الورق المقوّى وعلب الصفيح. كانت مختبرات العلوم تحتوي أيضاً على بعض الأفاعي التي كان الطلاب يقومون بجمعها من محيط المبنى.

سامي عطا الله (عضو الهيئة التدريسية في الخمسينات)، أستاذ متقاعد في الهندسة الكيماوية من جامعة تافتس (ميدفورد، ماساتشوستس) ومؤسس ورئيس شركة للاستشارات في المخاطر والسلامة الصناعية في شيكاغو Risk and Industrial Safety Consultants.

بيتي الثاني

إنه لمن دواعي سروري أن تسنح لي فرصة استرجاع صِلاتي التي أعتز بها مع جامعة بيرزيت، أو بالأحرى كلية بيرزيت كما أذكرها في ذلك الوقت.

وإنني فخور بشكل خاص بالدور القيادي الشجاع والنبيل ضد الاحتلال الصهيوني، إما من خلال الكتابة أو بالتحرك النشط، أو في توعية الطلاب وبث روح الوطنية والواجب فيهم ليهبوا دفاعاً عن وطنهم الحبيب. في كثير من الأحيان، كان مجرد التدريس يتطلب قدراً كبيراً من الجرأة والتصميم والإرادة في مواجهة القمع الوحشي.

أمضيت كل سنوات دراستي في كلية بيرزيت. ولأنها المدرسة الوحيدة التي تلقيت فيها تعليمي، فهي كانت بمثابة «بيتي الثاني» بكل معنى الكلمة. لم يكن معي سوى واحد من أقاربي في أيامي الأولى في بيرزيت، وكنت أنظر إلى عائلة ناصر وكأنهم عائلتي.

تطغى على ذكريات الأيام الأولى في بيرزيت شخصية مميزة هي مديرتنا السيدة فارس. كانت تقول بضع كلمات تكفي لبث الرعب وتحقيق الطاعة الفورية من كل التلاميذ. هذه الكلمات هي «خلص يا حبوب». ما تزال هذه الكلمات ترن في أذني حتى الآن! ولكن حتى في تلك السن المبكرة، كان باستطاعتي أن ألمس روحها الطيبة والمرحة الكامنة خلف ذلك المظهر الجدي والمتسلط.

كنت أحب كل المعلمين والهيئة التدريسية الذين كانوا يملأون المدرسة نشاطاً- مدرّس البيانو أمين ناصر، وسامية ناصر التي كانت أمينة الصندوق وريما ناصر التي كانت ذات شخصية متميزة وخاصة، وحنا ناصر قدوتي ومثالي في جامعة بيرزيت. لقد سنحت لي فرصة

إقامة علاقة وطيدة مع حنا ناصر خلال فترة إقامته في الأردن، حين كان يعمل ويضغط من أجل الكلية وضد الاحتلال، مما زادني به إعجاباً فوق إعجاب.

كانت مغادرة بيرزيت تجربة حلوة ومرة في الوقت نفسه. لكن الوقت كان قد حان. إلا أنني حملت معي هدايا لا تقدر بثمن ما زلت أحملها معي حتى يومنا هذا، وهي حب التعلم، والأمل، والحماسة في مواجهة التحديات، والإحساس الكبير بالانتماء، والاعتزاز بتراثنا وبوطننا الحبيب. بارك الله بيرزيت وحفظها سالمة ومزدهرة لأجيال كثيرة قادمة من الطلاب المليئين بالفخر والامتنان إن شاء الله.

فريال ارشيد (أميرة أردنية)، ومؤسسة ورئيسة مؤسسة الأمل Hope International وسفيرة منظمة اليونسكو للنوايا الحسنة.

طالب في أواخر الستينات

درست في كلية بيرزيت بين عام ١٩٦٨ و١٩٧٠. في عام ١٩٦٨، كان العدد الإجمالي للطلاب يبلغ حوالي ١٦٨ طالباً (في صفَّي السنتين الأولى والثانية في الآداب والعلوم)، ثم أصبح حوالي ١٩٦ طالباً في عام ١٩٦٩، لذا كانوا مثل عائلتي الكبيرة. والحقيقة أن الكلية كانت المكان الأول الذي كان بإمكاننا أن نخوض فيه تجربة التعددية الفلسطينية، الجغرافية منها والطبقية. كان هناك طلاب من غزة ومن نابلس، كما أنها كانت مختلطة، مما أضفى على المكان نكهة وعزز من تركيزها على الأنشطة الثقافية.

قام جابي برامكي وتانيا ناصر بإنتاج مسرحيات موسيقية للثنائي المعروف «جيلبرت وسوليفان»، مثل «محاكمة عن طريق المحلّفين» و»قراصنة بنزانس».

كان هناك مهرجان سنوي تتخلله أنشطة ثقافية ورياضية، مما منحنا شعوراً بالانتماء. وفي عهد موسى ناصر، ومن بعده جابي برامكي، كنا نجتمع كلنا مرة واحدة أسبوعياً لمناقشة فكرة أو موضوع رئيسي يكون عادة موضوعاً أخلاقياً.

وإنني اذكر أن أول إضراب أو نشاط سياسي في بيرزيت حدث في كانون الأول ١٩٦٨ أو كانون الثاني ١٩٦٩، حيث كان هناك الآلاف من المعتقلين السياسيين، وكان الناس يقومون باحتجاجات ضد هذه الاعتقالات. نفّذنا اعتصاماً في بيرزيت في مسجد القرية لمدة خمسة أو ستة أيام. وانتهى الاعتصام بتدخل وحضور رئيسي بلديتي رام الله وبيرزيت وبعض المشايخ بمن فيهم المفتي نفسه على ما أذكر، إذ قاموا بإخراجنا من المسجد وإنهاء إضرابنا عن الطعام.

كان الجيل الأكبر في بيرزيت مؤمناً بالقومية العربية ويتحلى بنظرة تعددية، ويتسم بالاستقامة. كأرمني، لم أشعر يوماً بالاغتراب أو بعدم الانتماء. فمشاعرهم القومية لم تكن يوماً انعزالية.

ألبرت أغازريان (خريج سنة ١٩٧٠)، هو مدير مكتب العلاقات العامة في جامعة بيرزيت بين عام ١٩٧٩ وعام ٢٠٠٢.

الفصل الثالث

الإبحار في المجهول: من كلية إلى جامعة

رمزي ريحان

أنهت كلية بيرزيت مرحلة التعليم الثانوي لديها بشكل تدريجي، وأصبحت كلية متوسطة بالكامل في عام ١٩٦٧، وهي السنة التي احتلت فيها إسرائيل الضفة الغربية (بما فيها القدس الشرقية) وقطاع غزة، وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان السورية. كان على المجتمع الفلسطيني أن يتكيف مرة أخرى مع الآثار المدمرة للنزوح وللاحتلال العسكري الأجنبي. وقد كان الرد على الاحتجاجات المدنية قاسياً، حيث انتشرت الاعتقالات الجماعية، كما انتشرت عمليات الإبعاد الإسرائيلية ضد الفلسطينيين الذين قد يتمتعون بقدرات قيادية إلى الأردن ولبنان. وأدرك إداريو كلية بيرزيت فوراً أن الاتفاقيات التي توصلوا إليها مع الجامعة الأميركية في بيروت والجامعات الأخرى بشأن انتقال طلاب بيرزيت إليها لن تكون كافية للتعامل مع الواقع الجديد الذي خلقه الاحتلال. وكان عدد الطلاب الذين تم قبولهم في الجامعات في المنطقة محدوداً، كما أن ارتفاع التكلفة (وخصوصاً في فترة الركود الاقتصادي) والقيود التي تفرضها سلطات الاحتلال الإسرائيلي على السفر، كل هذا حال دون توجه الطلاب إلى خارج الأراضي الفلسطينية المحتلة خوفاً من عدم السماح لهم بالعودة. كما أن الأوضاع السياسية الإقليمية لم تكن مستقرة في أوائل السبعينات. كانت الحاجة جلية إلى جامعة محلية تدرّس أربع سنوات جامعية.

حفل تخرج خلال الثمانينات: من اليسار إلى اليمين عضو مجلس الأمناء سبأ عرفات، رئيس المجلس توفيق أبو السعود، الرئيس بالوكالة د. جابي برامكي، عميد كلية العلوم رمزي ريحان، عميد كلية التجارة والاقتصاد د.عزت الغوراني.

الصفحة المقابلة: تصوير: ياسر درويش.

أول حفل تخرج

أتذكر يوم حفل التخرج الأول في عام ١٩٧٦، والذي شكل حدثاً تاريخياً ليس للجامعة بحسب، بل لفلسطين، لأنه كان أول حفل تخرج جامعي فوق التراب الفلسطيني. لم يكن أحد ليتخيل حجم الجهد الذي بذل في الإعداد لذلك اليوم. كان علينا أن نبدأ من الصفر لأنها كانت التجربة الأولى لإجراء حفل تخرج جامعي، ولم يكن ثمة تقليد قائم يمكن البناء عليه. قامت المطبعة التجارية في القدس بتصميم الشهادة، وكان عملها رائعاً. واتفقنا مع جمعية إنعاش الأسرة على إنتاج ملابس تخرّج خاصة مطرزة، وذلك من أجل إضفاء لمسة فلسطينية عليها. كما قمنا بطلب قبعات التخرج من الخارج. كنا قد قمنا بأخذ قياس الرأس لكل خرّيج وعضو في الهيئة التدريسية لكي تكون كل الأمور مرتّبة عند وصولها. ولكن القبعات وصلت قبل بضع دقائق فقط من التخرج. وقد سابق عضو الهيئة التدريسية كمال شمشموم الزمن لكي يقوم بتسلمها من المطار ويأتي بها إلى الجامعة في الوقت. وسارع الجميع إلى وضع القبعات على رؤوسهم دون التنبه إلى القياسات.

حيث إنني كنت مسؤولة عن جميع الأمور اللوجستية في ذلك اليوم العظيم، فقد كنت على وشك الانهيار عندما صدحت الموسيقى، ولكن كان يجب أن أكون هناك. وقد شعرت بفخر شديد بالإرث الذي خلّفته عائلتي للمجتمع الفلسطيني.

سامية خوري، عضو في طاقم الإدارة في كلية بيرزيت (ثم الجامعة) من عام ١٩٥٤-٦٠ ثم من ١٩٧٤-٧٩، وهي عضو مؤسس في مجلس الأمناء.

وكان هناك العديد من المهتمين بتوفير فرص محلية للتعليم العالي، من العاملين في مجال التعليم، من رؤساء البلديات إلى الشخصيات العامة، وذلك في أعقاب حرب ١٩٦٧ حيث اتضح أن الاحتلال سيشكل حقبة طويلة في التاريخ الفلسطيني ولن يكون قصيراً. في عام ١٩٧١، تم تأسيس كلية صغيرة للشريعة في الخليل، شكلت نواة لجامعة الخليل في عام ١٩٨٠. كما أن مدرسة الفرير في بيت لحم أصبحت مقر جامعة بيت لحم في عام ١٩٧٣. وشكل عام ١٩٧٢ منعطفاً في بداية تحول كلية بيرزيت إلى جامعة بيرزيت.

وقد انطلقت الفكرة والخطة الأولية لتحويل كلية بيرزيت إلى جامعة من النقاشات التي دارت بين كل من حنا ناصر، وجابي برامكي وبيني بوصفنا إداريين رئيسيين. في حفل توزيع الشهادات المتوسطة لعام ١٩٧٢، أعلن حنا ناصر أن الطلاب الذين سيلتحقون في أيلول من العام الذي يلي يمكنهم أن يتوقعوا أن يتخرجوا بعد أربع سنوات وأن يحصلوا على شهادة البكالوريوس. وقد كان إعلاناً جريئاً، حيث إن خطط التحول كانت ما تزال في طور أولي. وقد دل هذا على أن الفلسطينيين لن ينتظروا الآخرين لاتخاذ القرار عنهم، بل أنهم سيتخذون قرارهم بالطريقة التي يرونها مناسبة.

لم نكن نتصور في ذلك الوقت أن قرارنا ستكون له تبعات كبيرة وبعيدة إلى هذا الحد. وتبين أن هذا التطور الذي بدا آنذاك طبيعياً ومتواضعاً، شكل اللبنة الأولى في إرساء نظام كبير ومتنوع للتعليم العالي الفلسطيني يعتبره الكثيرون أحد أهم الإنجازات الدائمة للفلسطينيين تحت الاحتلال.

وبعد بضعة أسابيع من الإعلان الأولي الذي جرى خلال حفل التخرج، قمنا بنشر إعلان في الصحف المحلية حول خطتنا ودعونا الطلاب للتقدم بطلباتهم. وكما توقعنا، اتصلت بنا سلطات الاحتلال، متمثلة بشخص معروف للجميع باسم «الكابتن موريس» للاعتراض على الإعلان، حيث صادف أنني كنت الإداري الوحيد الموجود للرد على المكالمة. قلت له إن الإعلان لن ينشر مرة أخرى (في الحقيقة أن سيلاً من الطلبات قد تدفق منذ الإعلان الأول، مما شكل مؤشراً على أن القرار يلبي حاجة اجتماعية حقيقية لأولئك الذين لم يكن بإمكانهم تحمل نفقات السفر إلى خارج الأراضي الفلسطينية المحتلة من أجل الحصول على شهادة جامعية). ومما يدعو للتأمل أنه لو لم يكتفِ هذا المسؤول الإسرائيلي بالرد المبهم الذي حصل عليه، أو لو أنه اتخذ آنذاك خطوات أكثر حزماً لوقف خطتنا قبل أن ترى النور، لكان مصير جامعة بيرزيت وكافة الجامعات الأخرى التي ظهرت في ذلك الوقت مختلفاً تماماً.

الخطوات الأولى

بنظرة إلى الوراء، نذكر أن خططنا كانت متواضعة نسبياً: فقد كنا نتوقع زيادة في عدد الطلبة إلى ٦٠٠ (بالمقارنة مع حوالي ٢٠٠ طالب)، وكنا ننوي تقديم منهاج أساسي في الآداب والعلوم. إلا أنه يجدر بنا الاعتراف بأن حماستنا والتزامنا جعلانا نغفل بعض العوائق الرئيسية في مسيرتنا. لم نكن نعرف شيئاً عن تحليل نقاط القوة والضعف والفرص والتحديات (تحليل سوات) أو إطار العمل المنطقي (هل كانت هذه المفاهيم موجودة آنذاك؟)، كما لم نكن نعرف أياً

من هذه المصطلحات التي باتت أساس الإدارة والتخطيط المهنيين. غير أنا كنا مصمّمين على المضي قدماً، وتعلمنا خلال المسيرة.

ومن أجل تيسير عملية تحول المؤسسة إلى جامعة تدرّس أربع سنوات دراسية، قررت عائلة ناصر تحويل البنية القانونية للكلية من مؤسسة خاصة مملوكة للعائلة إلى مؤسسة عامة، وأوكلوا عملية الإشراف عليها إلى مؤسسة غير ربحية. كما تم استبدال المجموعة غير الرسمية التي كانت تشرف على الكلية حتى ذلك الوقت (والمكونة من أفراد عائلة ناصر وبعض أصدقائهم) بمجلس أمناء رسمي ممثل للمجتمع الفلسطيني (تشكل مجلس الأمناء في عام ١٩٧٣ لكن لم يتم تسجيله لدى سلطات الاحتلال الإسرائيلي لغاية عام ١٩٧٨). وقام مجلس الأمناء بوضع أنظمته الداخلية وإقرار لوائح الجامعة ومن ثم النظام الداخلي والأنظمة التي تنظم كافة عمليات الجامعة. واستمرت عملية بناء المؤسسة بضع سنوات في أواسط السبعينات. وقد قادت عملية المأسسة سامية خوري، وهي عضو مؤسس في مجلس الأمناء، وذلك بمشاركة الإدارة وبقية أعضاء المجلس.

ومع خطة تطوير الكلية إلى جامعة، تبين أن المباني القائمة لا تصلح للنمو المتوقع. وبدأ وضع التصاميم المعمارية لإقامة حرم جديد قادر على استيعاب النمو المستقبلي للمؤسسة، وكان الموقع الأصلي الذي تم تحديده يقع في الطيرة، إحدى ضواحي رام الله. لكن السلطات الإسرائيلية رفضت منح رخصة بناء للمشروع وتم نقل موقع الحرم الجامعي الجديد إلى بيرزيت. في البدء تبرع آل ناصر لمجلس الأمناء بأرض كانوا يملكونها في جنوبي محيط بيرزيت، وذلك من أجل إقامة حرم جامعي جديد قادر على استيعاب النمو المتوقع في عدد الطلاب والبرامج الأكاديمية. وقد تم افتتاح الحرم الجامعي الجديد في عام ١٩٨٠ وسرعان ما نما بشكل أكبر بكثير من المخططات الأصلية.

الانتقال

شهد العام الدراسي ١٩٧٤–١٩٧٥ منعطفاً حقيقياً، حيث تم تأسيس الدوائر الأكاديمية حين بدأ تدريس السنة الثالثة للمرة الأولى. شكل هذا تحولاً حقيقياً من كلية إلى جامعة رغم أنه لم يتم تبني اسم جامعة بيرزيت لغاية العام الدراسي ١٩٧٥–١٩٧٦. عاد بعض الطلاب الذين كانوا قد أنهوا سنتين دراسيتين إلى

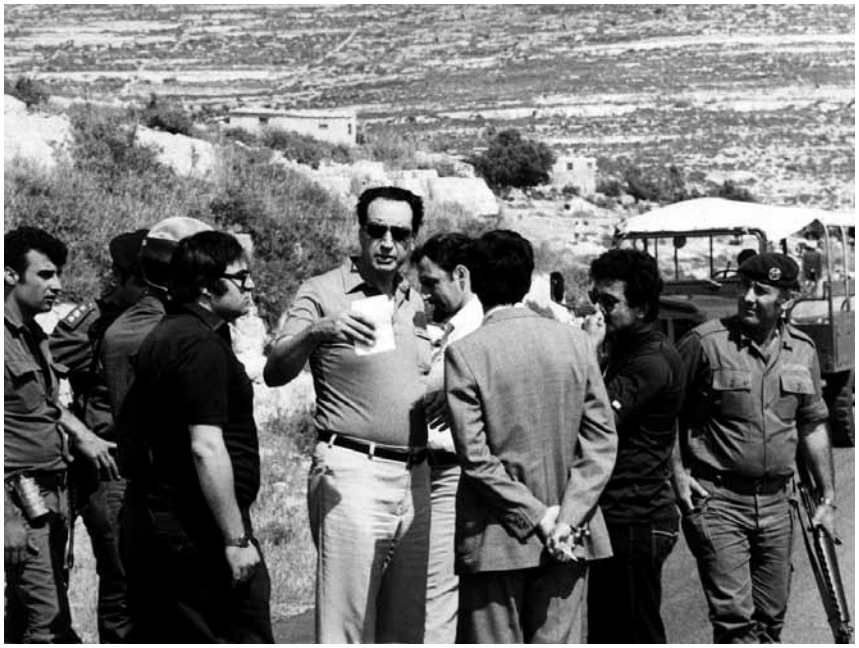

نائب رئيس الجامعة جابي برامكي يواجه الجنود الإسرائيليين في الحرم القديم في أوائل السبعينات.

حفل استقبال لمجلس الأمناء في السبعينات: من اليسار إلى اليمين عضو المجلس ريما ترزي، سميحة خليل مؤسسة جمعية إنعاش الأسرة، مهدي عبد الهادي من مكتب العلاقات العامة، وعضو الهيئة التدريسية غسان حرب.

مقاعد الدراسة للحصول على شهادة البكالوريوس. وقد لعبت حماسة الهيئة التدريسية دوراً كبيراً في هذا التحول. وانضم إلى الهيئة التدريسية أعضاء من الخارج، منهم من عمل سنة أو سنتين فقط. في تلك الأثناء، أصبحت المرافق القائمة غير كافية. لذا كانت أعمال التجديد للمباني القديمة تتم في كل صيف إضافة إلى استئجار مساحات إضافية.

ومع نمو الجامعة، أصبحت الموارد البشرية بالغة الأهمية كما هو الحال مع الموارد المالية. في أواخر السبعينات، أطلقت مؤسسة أميديست الأميركية برنامجاً طموحاً لتطوير الهيئة التدريسية عن طريق دعم الدراسات العليا للمرشحين المؤهلين، والذين يعودون لاحقاً للتدريس في المؤسسات التي قامت برعايتهم. وقد استفادت بيرزيت والمؤسسات التعليمية الفلسطينية الأخرى بشكل كبير من هذا البرنامج.

في نيسان ١٩٧٦، أصبحت بيرزيت أول مؤسسة فلسطينية تنضم إلى اتحاد الجامعات العربية. وبعد ثلاثة أشهر، منحت الجامعة شهادة البكالوريوس للمرة الأولى. وفي عام ١٩٧٧، أصبحت بيرزيت عضواً في الاتحاد العالمي للجامعات. هذا التحول من كلية إلى جامعة حدث فيما كانت المؤسسة ما تزال تعاني من آثار الإبعاد غير القانوني لرئيس الجامعة حنا ناصر في ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٤ على أيدي سلطات الاحتلال الإسرائيلي. وقد شكل إبعاد الرئيس في هذه الفترة الحساسة من تطور المؤسسة ضربة حادة، إلا أننا لم نسمح لها بتعطيلنا. تولى جابي برامكي المسؤولية فوراً بصفته نائباً للرئيس (في الحقيقة كان رئيساً بالوكالة)، وعمل حنا على العلاقات العامة وجمع الأموال في كثير من البلدان، وقمت أنا بجزء كبير من أعمال التخطيط اللازمة في هذه المرحلة الانتقالية. ولعقدين من الزمن، أدار جابي الجامعة، متكبداً مشقة التعامل مع المشاكل العادية وغير العادية بصبر وإصرار، ومحافظاً على التواصل مع مكتب حنا في عمان.

الجسم الطلابي

تغيرت طبيعة الجسم الطلابي خلال خريف عام ١٩٧٢. فقد تدفقت الطلبات من كافة مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة، ومن القرى ومخيمات اللاجئين بالإضافة إلى المناطق الأغنى في وسط الضفة الغربية. كذلك كان الطلاب الفلسطينيون داخل إسرائيل يتقدمون بطلبات للالتحاق بجامعة بيرزيت. وأصبحت بيرزيت منذ ذلك الوقت، وما زالت، نموذجاً مصغراً لفلسطين. وقد شكل هذا التحوّل الاجتماعي تطوراً لا يقل أهمية عن تطورها الأكاديمي. فقد كان للانفتاح الذي ميّز أجواء الحرم الجامعي أثره على الطلاب، حيث شعر معظمهم بالانتماء إلى الجسم الطلابي ككل على الرغم من التنوع. وقد شهدت الهيئة التدريسية والطاقم تحولاً مشابهاً. إن التقاء النخبوية الأكاديمية بالديمقراطية الاجتماعية، وهي السمة الأساسية لبيرزيت، لم تكن مزيجاً سهلاً، وإن التجاذب بين هاتين السمتين كان مثمراً في بعض الأحيان، وتوازناً تصعب المحافظة عليه أحياناً أخرى.

وكمؤشر على الحيوية المتنامية لجيل الشباب، تم تشكيل اتحاد للطلاب في عام ١٩٧٣ كمظلة لمختلف النوادي الطلابية وكصوت يمثل مصالح الطلاب. وقد لعبت الاتحادات الطلابية المتعاقبة دوراً كبيراً في تنمية الجامعة.

مجلس التعليم العالي

في حزيران ١٩٧٧، قام مجمّع النقابات المهنية (المنظمة التي تضم الأطباء والمهندسين والمهنيين الآخرين) برعاية مؤتمر حول التعليم العالي الفلسطيني في القدس. وكممثل لجامعة بيرزيت، اقترحت إقامة جامعة فلسطينية مركزية ذات مقرات متعددة، حيث يقدم كل حرم جامعي تخصصات معينة. تم رفض هذا الاقتراح (الذي كانت كلية بيرزيت قد طرحته في عام ١٩٧١ وقوبل بالرفض) مرة أخرى لأن المؤسسات الأخرى كانت تفضل العمل بشكل مستقل. وقد كان لهذا القرار آثار سلبية على جميع الجامعات بما فيها بيرزيت، من حيث تزايد البرامج دون خطة تطويرية تهدف إلى تلبية الحاجات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، والتنافس بين المؤسسات المختلفة بدل التعاون بينها، وازدواجية البرامج بدل تنوعها.

ترأّس الاتحاد إبراهيم الدقاق، الذي أصبح لاحقاً رئيساً لمجلس أمناء جامعة بيرزيت. وقد أثمر المؤتمر إنشاء مجلس التعليم العالي الفلسطيني. ففي غياب حكومة فلسطينية، أصبح المجلس بمثابة الهيئة التنسيقية للتعليم العالي الفلسطيني، وشكل أداة لضخ الأموال العربية. كان التنسيق صعباً، حيث كثيراً ما تبوأت تطلعات المؤسسات الأولوية على التخطيط الوطني. في عام ١٩٧٩، أقرّ المجلس اقتراحاً تقدمت به لوضع معادلة للتمويل، بحيث تستند عملية تمويل مؤسسات التعليم العالي الفلسطينية على عدد من المؤشرات، مثل عدد أعضاء الهيئة التدريسية، ومستوياتهم، وعدد العاملين وعدد البرامج. وتبنت المعادلة اللجنة المشتركة الأردنية الفلسطينية التي كانت قد تشكلت لتوّها من أجل الإشراف على التمويل العربي لفلسطين، واستخدمت في تمويل التعليم العالي لعقد من الزمن.

خطوات جريئة

شكّل تحوّل بيرزيت من كلية خاصة تملكها وتديرها بدرجة كبيرة عائلة ناصر إلى مؤسسة عامة وغير ربحية خطوة رائدة في العالم العربي حيث كانت معظم مؤسسات التعليم العالي حكومية. وقد تبنت الجامعات الفلسطينية التي تأسست لاحقاً نموذج المؤسسة الأهلية غير الربحية بحيث أصبح النموذج السائد في التعليم العالي الفلسطيني. أما مؤسسات التعليم العالي الخاصة والهادفة للربح فظهرت في العالم العربي بعد ذلك بوقت طويل.

لم تكن الإنجازات التي حققتها الجامعة على مستوى البكالوريوس أولاً، ثم على مستوى الماجستير بالأمر السهل. فقد كان قمع الاحتلال ماثلاً على الدوام. كلما تذكرت فترة التحول في أواسط السبعينات، لا يسعني إلا أن أبدي إعجابي بالقدر الكبير من الالتزام والتعاون والرغبة في المشاركة التي أبداها الجميع. كنا نشعر في كثير من الأحيان أننا شرعنا في مهمة مستحيلة. فالموارد المتاحة، بما فيها البشرية، والمالية، إضافة إلى المعدات، والمرافق والمساحة، كلها كانت غير كافية، ولكن كان لزاماً علينا أن ننجح، ونجحنا بالفعل.

رؤساء جامعة بيرزيت
الدكتور حنا ناصر، ١٩٧٢-٢٠٠٤
الدكتور جابي برامكي، (رئيس بالوكالة)، ١٩٧٤-١٩٩٣
الدكتور نبيل قسيس، ٢٠٠٤ - الآن

نواب الرئيس
الدكتور جابي برامكي، ١٩٧٤-١٩٩٣؛ الدكتور إبراهيم أبو لغد، ١٩٩٣-١٩٩٥.

نواب الرئيس للشؤون الأكاديمية
د. محمد الحلاج، ١٩٧٩-١٩٨١؛ الأستاذ رمزي ريحان (بالوكالة)، ١٩٨١-١٩٨٢؛ د. عبد اللطيف البرغوثي، ١٩٨٢-١٩٨٤؛ د. نبيل قسيس، ١٩٨٤-١٩٨٩؛ د. عزت غوراني، ١٩٨٩-١٩٩٢؛ د. هنري جقمان، ١٩٩٢-١٩٩٣؛ د. إبراهيم أبو لغد، ١٩٩٣-١٩٩٥؛ د. أحمد بكر، ١٩٩٤-١٩٩٨؛ د. عبد اللطيف أبو حجلة، ١٩٩٨-٢٠٠٩؛ د. عدنان يحيى، ٢٠٠٩ - الآن.

نواب الرئيس للشؤون الإدارية والمالية
د. عزت غوراني، ١٩٧٨-١٩٨١؛ د. سهيل عبوشي، ١٩٨١-١٩٨٣؛ د. عثمان أبو لبدة (بالوكالة) ١٩٨٧-١٩٨٨؛ د. محمد صرصور، ١٩٩٣-١٩٩٧؛ د. كارميلا أرمانيوس-عمري ؛ ١٩٩٨-٢٠٠٥؛ د. سامي صيرفي، ١٩٨٨-١٩٩٢، ٢٠٠٥ - الآن.

نواب الرئيس لشؤون التخطيط والتطوير*
الأستاذ رمزي ريحان، ١٩٨٣-١٩٨٥، ١٩٩٩-٢٠٠٥؛ د. عثمان أبو لبدة، ١٩٨٥-١٩٨٩؛ د. عادل الزاغة، ٢٠٠٩ - الآن.

نواب الرئيس للشؤون المجتمعية
الأستاذ رمزي ريحان، ٢٠٠٥-٢٠٠٧؛ د. غسان الخطيب، ٢٠٠٨-٢٠٠٩؛ د. منير قزاز (بالوكالة) ٢٠٠٩ - الآن.

* المنصب يتضمن الإشراف على ضمان الجودة.

رؤساء مجلس الأمناء
توفيق أبو السعود* (١٩٧٧-١٩٨١)، المدير السابق لدائرة التربية في القدس، والمدرّس السابق في كلية بيرزيت.
د. سعدي الفقيه* (١٩٨١-١٩٨٧)، نائب مدير الصحة في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا).
د. درويش نزال* (١٩٨٧-٢٠٠٢)، المدير الطبي لمستشفى المقاصد.
سبأ عرفات (٢٠٠٢-٢٠٠٣)، مديرة التعليم في وكالة الغوث.
إبراهيم الدقاق (٢٠٠٣-٢٠٠٦)، الرئيس السابق لنقابة المهندسين والنقابات المهنية وعضو مؤسس في مجلس التعليم العالي.
د. حنا ناصر (٢٠٠٦ - الآن)، الرئيس السابق لجامعة بيرزيت.

* متوفّى

الحصول على الاعتماد

في مساء ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٤، وفيما كنا نبذل الجهود من أجل تطوير كلية بيرزيت إلى جامعة، قامت سلطات الاحتلال بإبعادي مع أربعة فلسطينيين آخرين إلى لبنان. لم توجه إلينا أي تهم، بل أن «التفسير» الوحيد الذي أعطي لهذا العمل غير القانوني هو بيان في الصحافة الإسرائيلية يقول أننا نشكل تهديداً لأمن إسرائيل، وهو ادعاء كانت إسرائيل تستخدمه بشكل روتيني لإبعاد الفلسطينيين في تلك السنوات. في الحقيقة، شكّل الإبعاد طريقة سهلة للتخلص من المهنيين الفلسطينيين الذين لم تكن هناك أية تهم ضدهم يعتدّ بها في المحكمة. وبين ليلة وضحاها، وجدت نفسي ضحية لهذه السياسة.

واجه مجلس الأمناء قرار إبعادي بإبقائي في منصبي كرئيس للجامعة. وقررت أن أفتح مكتباً في عمّان، وهي الأقرب جغرافياً إلى الضفة الغربية وإلى بيرزيت نفسها، مما يمكنني من الالتقاء بزملائي من الجامعة لمتابعة المسائل الرسمية. وكان يشغل بالي مسألتان: الأولى هي الحصول على الاعتماد لبيرزيت، والثانية هي الحصول على الدعم المالي، وكلاهما هدفان معقدان ويتطلبان الكثير من الجهد.

لقد أُفرد فصل كامل لجهود الحصول على تمويل. لذا فإنني سأركز على موضوع الاعتماد.

في أوائل السبعينات، سعينا للحصول على الاعتماد من حكومة الأردن، والتي كانت الجهة القانونية المشرفة على الضفة الغربية في ذلك الوقت. وتم تحويل الطلب آنذاك إلى الجامعة الأردنية للمشورة. وقد عبرت الجامعة عن تحفظين اثنين، واحد سياسي والآخر قانوني. فقد قال المسؤولون في الجامعة الأردنية إن وجود جامعة معتمدة في الضفة الغربية يخرّج خريجين غير قادرين على إيجاد عمل ويملكون في نفس الوقت السبيل للهجرة، مما يضرّ بهدف تشجيع الشعب على الصمود في فلسطين. علاوة على ذلك، أشاروا إلى عدم وجود قوانين لاعتماد الجامعات غير الحكومية في المنطقة (في الواقع فإن تأسيس الجامعات الأهلية الخيرية أو الخاصة الربحية هي ظاهرة حديثة في العالم العربي).

كان موعد احتفال التخرج الأول مقرراً في تموز ١٩٧٦. ولكن حتى شهر آذار، لم نكن قد حصلنا على الاعتماد اللازم. وقررنا أن نتقدم بطلب مباشر إلى اتحاد الجامعات العربية، والذي كان اجتماعه السنوي مقرراً في نيسان ١٩٧٦ في جامعة السليمانية في شمال العراق. كانت تلك هي فرصتنا الوحيدة للحصول على الدعم الذي نحتاجه. وانضم إلي جابي برامكي في عمان، حيث طرنا إلى بغداد ثم سافرنا براً إلى السليمانية في رحلة طويلة ومتعبة.

في السليمانية، قمنا بتقديم كافة الوثائق اللازمة وتحدثنا مع الكثيرين من رؤساء الجامعات العربية. وأمضينا ليلتنا دون أن تغمض لنا عين بانتظار الحكم الذي سيجري النطق به في اجتماع اليوم التالي. صدرت الموافقة على طلبنا على رؤوس الأشهاد، وقمت بكتابة شكر سريع إلى الرؤساء المختلفين، وغادرت وجابي فوراً عائدين إلى عمّان. كان نبأ الاعتماد قد بلغ مسامع بيرزيت التي احتفت بالخبر احتفاءً كبيراً يوازي الاحتفاء بقرار تطويرها إلى مؤسسة تدرس أربع سنوات جامعية. شعرنا بالارتياح والرضا لأن الشهادات التي ستمنح للخريجين في تموز ١٩٧٦ ستصدر عن مؤسسة معتمدة.

في ١١ تموز ١٩٧٦، احتفلت الجامعة بأول دفعة من الخريجين الذين حازوا على شهادة البكالوريوس، وهو أول احتفال من نوعه في مؤسسة فلسطينية. أعلن جابي بكل فخر عن اعتماد الشهادات. كما أرسلت كلمة تهنئة قصيرة ومسجلة للطلاب في هذه المناسبة. وكان الأمر ينطوي على تحدٍّ في ذلك الوقت، لأن مرور الرسائل والأشرطة عبر الجسر كان محظوراً. ولكنني كنت أريد أن أكون جزءاً من ذلك اليوم التاريخي في حياة بيرزيت. كان هناك احتمال كبير بأن تتم مصادرة الشريط، لكنه مرّ ولم يتم اكتشافه. لقد حالفنا الحظ في ذلك اليوم.

حنا ناصر (خريج عام ١٩٥١)، رئيس كلية بيرزيت (ثم جامعة بيرزيت) من عام ١٩٧٢ إلى ٢٠٠٤. كما أنه رئيس مجلس الأمناء منذ عام ٢٠٠٦.

العلاقة الحميمة بين بيرزيت ومحيطها

ما حدث في المجتمع الفلسطيني خلال سبعينات القرن الماضي كان مفاجئاً وغير متوقع، حيث بدأ الناس بالتفاعل متأثرين ومؤثرين بما يحيطهم وبما يحدث في داخلهم. فبغياب سلطة شرعية، كان للناس حرية القيام بما هم مقتنعون بضرورته، بصرف النظر عن الثمن الذي قد يدفعونه بالمقابل. ومن بين السمات المفاجئة في تلك المرحلة ذلك الانسجام العفوي في أنشطة الناس. لقد شهدت هذا الأمر العديد من المرات بحيث يمكنني أن أجزم بأنه يعكس قدرة طبيعية يتمتع بها الناس والمجتمعات، وهي قدرة تعكف المؤسسات الحديثة على قمعها باستمرار.

بين عام ١٩٧١ و١٩٧٨ كنا وحدنا، نعيش في ظل واقع قاسٍ. ولم نكن نملك شيئاً سوى أنفسنا، وأصدقائنا، وثقافتنا ومجتمعنا. كان المدرسون يعلّمون بدافع قيَمهم وقناعاتهم وليس بدافع المكسب الشخصي أو الفائدة المهنية. وبهذا المعنى، ينبع الأمل مما يملكه الناس، والمجتمع، والثقافة والطبيعة. وهكذا اكتشفنا القوة الكامنة في داخلنا.

خلال السبعينات والانتفاضة الأولى، شقّ الشباب طريقهم عبر الشقوق القائمة في جدران البنى القمعية، وفاجأوا العالم، كما فاجأوا أنفسهم بما يستطيعون فعله بما يملكون.

كان الإبداع خلال السبعينات والانتفاضة الأولى عملاً جماعياً، وليس فردياً (رغم أن بعض التصرفات اتخذت شكلاً فردياً). كذلك كانت القيادة سرّية في كلا الحقبتين. لم تكن هناك شخصيات قيادية مرموقة، بل كانت القيادة تنتقل من شخص إلى آخر أو من مجموعة إلى أخرى حسب الظروف والتوقيت.

وفي نفس الوقت، كان هناك تواصل مع العالم بأسره، حيث كان هناك الكثيرون ممن كانوا يتواصلون مع بيرزيت ويقومون بزيارتها باستمرار. كانت بيرزيت قِبلة للأكاديميين، والكتاب، والفنانين، والنشطاء والطلاب من كافة أنحاء العالم. هذه العلاقة الوثيقة التي كانت تربط بيرزيت بالأحداث على الساحة الفلسطينية جاءت نتيجة لغياب البنى والحدود الواضحَين، حيث لم تكن هناك حدود بين الإدارة، والأساتذة والطلاب، كما لم تكن هناك حدود بين الجامعة والمجتمع المحيط. لم تكن هناك جدران تعزل الطلاب في داخلها عن غيرهم في الخارج. كانت مباني الجامعة ملاصقة للبيوت. إن أفضل وصف لهذه الروح هو حسن الضيافة، رغم أنها كلمة غير مألوفة في وصف الجامعات.

الكافتيريا في الحرم القديم.

تمثل بيرزيت كنزاً فلسطينياً يحسن استكشافه. ففي السبعينات، كانت كلية صغيرة، ولكنها كانت تلهم العالم بأسره. فقوتها وقيمتها كانتا تنبعان من علاقاتها مع مجتمعها، ومن روح التمرّد التي تشعّ منها ضد كافة محاولات كسر شوكة الناس.

كان طلاب بيرزيت في السبعينات مليئين بالنشاط والحيوية. فكانوا يقومون بالكثير من الأنشطة، كالغناء، والرقص الشعبي، والتظاهر، وقطف الزيتون، وتنظيف الطرق وتنظيم معارض الكتب. وكانت العلاقة بين الأساتذة والطلاب لا تقتصر على ساعات الدوام المحددة، بل كانت علاقة مفتوحة على مدار اليوم وبعدة طرق. وكان الحوار حول شتى المواضيع مفتوحاً. لم يكن ما يقرأه طلاب بيرزيت مجرد الكلمات، بل أنهم كانوا يقرأون الحياة. لم يكن المغزى ينبع من الكتب والقواميس فحسب، بل كان ينبع من التجربة، والتأمل والنقاش.

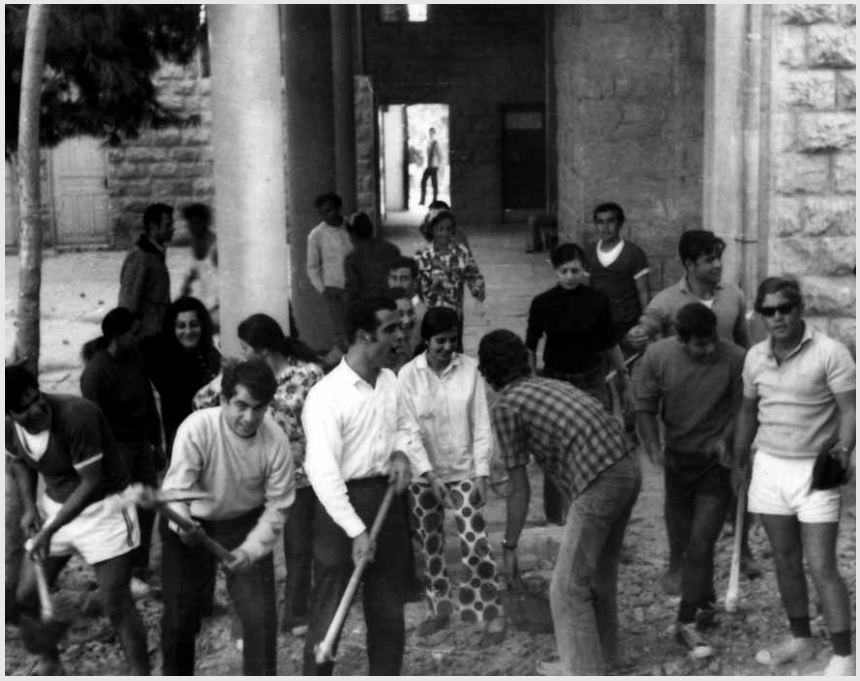

لقطات من الحياة الجامعية: طلبة ومعلمون في رحلة ١٩٧٢ (أعلى اليمين). دبكة في حفل برعاية مجلس الطلبة و مكتب شؤون الطلبة (أعلى اليسار). طرب تحت قبة في الحرم القديم (أسفل اليمين). نقش حاكورة الحرم القديم (أسفل اليسار).

لا يسعني أن أصف ما قمنا به في السبعينات بالمتفائل، بل بأنه كان عملاً مفعماً بالأمل. فالتفاؤل يرتبط بنتيجة إيجابية في المستقبل (حالة ذهنية)، بينما يتمظهر الأمل في فعل ما يمكن للمرء فعله في الحاضر (سمة العيش بانسجام مع الحياة). إن الأمل هو تعبير عن قوة الحياة. ومن الصعب على المرء الذي لم يخض تجربة الأمل أن يدرك ما تعنيه الكلمة حقاً. فالأمل هو أحد مظاهر الحياة التي يصعب التعبير عنها بالكلمات، أو فهمها بالعقل وحده. كانت هناك الآلاف من الأعمال الصغيرة العفوية التي شكلت تعبيراً عن الأمل في السبعينات.

إن التحدي الماثل أمام بيرزيت اليوم هو استعادة قوة الذاكرة الجماعية التي تشكل سلاحاً كبيراً في أيدي الناس ويمتلكها كل مجتمع. لا يملك الفلسطينيون آبار نفط أو مناجم ذهب، إلا أنهم يملكون كنزاً كبيراً من الخبرات، والروايات، والتاريخ والثقافة. لطالما كررت القول أن فلسطين تصلح كمكبّر يمكن بواسطته رؤية ما يحدث في العالم كله. فبعض الكنوز التي ذكرتها قد تكون ذات مغزى للجامعات التي تسعى لتحديد رؤيتها: كيف لا يوجد الكثير من التعليم، ولكن هناك قدر كبير من التعلّم؛ وكيف لا توجد منافسة شديدة، ولكن هناك حوافز داخلية كبيرة، وكيف لا توجد الكثير من الأبحاث، ولكن هناك بحث متواصل عن المغزى. إن تاريخ بيرزيت ليس فقط تاريخ إغلاقات وقمع، بل هو أيضاً تاريخ من التعاطف، والشجاعة والإبداع.

منير فاشة، مدرس مادّتي الرياضيات والفيزياء بين عام ١٩٦٢ و١٩٨٩، كما عمل ثلاث سنوات كعميد لشؤون الطلبة. وفي عام ١٩٨٩ غادر بيرزيت وقام بتأسيس مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.

الفصل الرابع

جامعة بيرزيت – سيرة أكاديمية

سامي الصيرفي

كشاهد لأكثر من أربعة عقود على مراحل التطور الأكاديمي لجامعة بيرزيت، حيث درست فيها عندما كانت كلية متوسطة قبل أن تصبح جامعة، وعملت فيها كعضو هيئة تدريسية وكإداري لسنوات طويلة بعد ذلك، فإنني أعتبر عام ١٩٦٧ منعطفاً هاماً في مسيرة المؤسسة الأكاديمية، حيث ساد المجتمع الفلسطيني آنذاك قلق عميق حول المستقبل، وتناقلت الألسن سؤالاً هاما حول جدوى متابعة الدراسة والتعليم في فلسطين، وتوالت الدعوات إلى مقاطعة المدارس– ومعظمها حكومي– ونبذ الدراسة بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطا ع غزة. أما كلية بيرزيت، ومعها مؤسسات تعليمية أخرى، فقد نادت باستئناف التعليم لأنه سيكون عاملاً مهماً في تثبيت شبّان وشابات فلسطين على أرضهم. واستُقبل هذا المنطق بحذرٍ وتشكيك في البداية، ثم تبنّاه المجتمع الفلسطيني. وفي غضون سنوات قليلةً بعد ذلك، استطاعت بيرزيت أن تصل بهذا التوجه إلى نتيجته المنطقية، عندما أعلنت في عام ١٩٧٢ عزمها على تطوير برامجها الأكاديمية لكي تستطيع استيعاب الراغبين في الدراسة الجامعية في بلدهم وعلى أرضهم.

حقائق وأرقام، السنة الدراسية ٢٠٠٩-٢٠١٠

عدد طلاب البكالوريوس: ٧,٤١١
نسبة الطالبات بين طلاب البكالوريوس: ٥٩,٥٪
عدد الطلاب المتخرجين: ١,٣٠٨
عدد الطلاب الملتحقين في دبلوم التعليم والبرامج الخاصة ودبلوم التعليم العالي: ١٤٣
نسبة الطالبات بين طلاب التعليم العالي: ٥٤,٧٪
الكلية ذات نسبة الالتحاق الأعلى: الآداب (٢,٠٣٤)

مقتنيات مكتبة يوسف أحمد الغانم: أكثر من ١٣٩,٨٠٥ كتب، ٤٠٪ منها عربية، و١,٧٤٥ دورية، و٣,١٠٠ نشرة، و١,٤٤٠ رسالة جامعية، و ٤٧ عنواناً من المصغرات (الميكروفيلم) والكشافات. تتيح مكتبة جامعة بيرزيت الدخول إلى ٢١ قاعدة بيانات إلكترونية، من بينها ٩ يتم الدخول إليها عن طريق الاشتراكات، و ١٢ قاعدة مجانية. كما أن المكتبة اعتمدت كمركز إيداع لمنشورات اليونسكو منذ عام ١٩٧٩، وتم اختيارها عام ٢٠٠٥ كمركز إقليمي لمنشورات البنك الدولي.

الصفحة المقابلة: تصوير: ياسر درويش.

نحو البكالوريوس ثم الماجستير

يشكل يوم ١١ تموز ١٩٧٦ المحطة الأولى الهامة في السيرة الأكاديمية للمؤسسة بعد أن أصبحت أول جامعة عربية على الأرض الفلسطينية. ففي ذلك اليوم، احتفلت جامعة بيرزيت بتخريج أول فوج من حملة البكالوريوس في الآداب والعلوم، ومنحت شهادة البكالوريوس لفوجها الأول في ثمانية تخصصات هي اللغة العربية وآدابها، واللغة الانجليزية وآدابها، وإدارة الأعمال، ودراسات الشرق الأوسط، وعلم الاجتماع، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء.

توالت الخطوات لاستحداث وتطوير ما تعرضه الجامعة من برامج أكاديمية بعد ذلك. ففي عام ١٩٧٧ طرحت دائرة التربية وعلم النفس برنامجاً يؤهل الطالب للحصول على شهادة الماجستير في التربية. وفي عام ١٩٧٨ تم إنشاء كلية التجارة والاقتصاد، التي قدمت برامج بكالوريوس من دوائر الاقتصاد، وإدارة الأعمال، والمحاسبة. وفي عام ١٩٧٩ أنشئت كلية الهندسة، ببرامج بكالوريوس أيضاً من دوائر الهندسة الكهربائية، والهندسة المدنية، والهندسة الميكانيكية.

مع حلول العام الأكاديمي ١٩٨٤–١٩٨٥، وصل عدد الطلبة في الجامعة إلى ٢٤٠٠، يدرسون في كليات الآداب، والعلوم، والتجارة والاقتصاد، والهندسة. وأضيفت خلال الثمانينات عدة برامج لدرجة البكالوريوس في تخصصات التربية وعلم النفس، وعلم الاجتماع والإنسان، والتاريخ والآثار، والأحياء والكيمياء الحيوية، والهندسة المعمارية. وبالإضافة إلى ذلك، قدمت الجامعة مساقات متنوعة، إما كمواد اختيارية أو كمتطلب جامعي، وتهدف إلى إثراء معرفة الطلبة وتنويع ثقافتهم مثل الفلسفة، والدراسات الثقافية، والجغرافيا، وعلم المكتبات، والتربية الرياضية، والموسيقى، والفنون الجميلة، والعلوم العامة وذلك في سياق ليبرالي يركز على التنوع في المعارف التي يتعرض لها الطالب وفي طرق استيعابها وتطبيقها.

في أواسط التسعينات، أضيفت دوائر التاريخ، والجغرافيا، والعلوم السياسية، والفلسفة والدراسات الثقافية، وأنشئت كلية الدراسات العليا، واستحدث برنامج الماجستير في الدراسات الدولية، كما أعدت برامج صيفية دولية للطلبة الأجانب الراغبين في دراسة اللغة العربية ومعايشة الواقع الفلسطيني في ظل الاحتلال. واستمر التطور في برامج الدراسات العليا حيث وصل عدد برامج الماجستير

برامج البكالوريوس ٢٠٠٩-٢٠١٠

١. إدارة الأعمال
٢. اقتصاد الأعمال
٣. الأحياء
٤. الإدارة العامة
٥. الإقتصاد
٦. التأهيل التربوي
٧. التأهيل التربوي / المسار العام
٨. التأهيل التربوي / مسار تعليم التخصص
٩. الترجمة
١٠. التسويق
١١. التغذية والحمية
١٢. التمريض
١٣. الرياضيات
١٤. الرياضيات التطبيقية في الاقتصاد
١٥. العلوم المالية والمصرفية
١٦. الفيزياء
١٧. القانون
١٨. الكيمياء
١٩. اللغة الإنجليزية وآدابها
٢٠. اللغة العربية وآدابها
٢١. اللغة الفرنسية
٢٢. المحاسبة
٢٣. الميكاترونيكس
٢٤. الهندسة الكهربائية
٢٥. الهندسة المدنية
٢٦. الهندسة المعمارية
٢٧. الهندسة الميكانيكية
٢٨. رئيسي الإعلام - إذاعة / فرعي التلفزة
٢٩. رئيسي الإعلام - صحافة / فرعي العلوم السياسية
٣٠. رئيسي الإعلام - صحافة / فرعي علم الاجتماع
٣١. رئيسي التاريخ / فرعي الآثار الفلسطينية
٣٢. رئيسي التاريخ / فرعي العلوم السياسية
٣٣. رئيسي الجغرافية / فرعي التاريخ
٣٤. رئيسي الجغرافية / فرعي العلوم السياسية
٣٥. رئيسي الرياضيات / فرعي الإحصاء
٣٦. رئيسي العلوم السياسية / فرعي الاقتصاد
٣٧. رئيسي العلوم السياسية / فرعي الإدارة العامة
٣٨. رئيسي الفيزياء / فرعي الإلكترونيات
٣٩. رئيسي الفيزياء / فرعي الرياضيات
٤٠. رئيسي الفيزياء / فرعي علم الحاسوب
٤١. رئيسي اللغة الإنجليزية و آدابها / فرعي الترجمة
٤٢. رئيسي علم النفس / فرعي التربية
٤٣. رئيسي علم النفس / فرعي علم الاجتماع
٤٤. علم الاجتماع
٤٥. علم الحاسوب
٤٦. هندسة أنظمة الحاسوب

التي تقدمها الجامعة مع مطلع العام ٢٠٠٠ إلى اثني عشر برنامجاً، من بينها برامج مستحدثة في الصحة العامة والمجتمعية، والمرأة والتنمية، والديمقراطية وحقوق الإنسان.

يوجد في جامعة بيرزيت الآن ستة وأربعون برنامجاً على مستوى البكالوريوس واثنان وعشرون برنامجاً في الماجستير. كما أن عدد الطلبة يزداد باضطراد، من ٢٣٩ طالباً في عام ١٩٧٢، إلى نحو ٨٨٠٠ طالب في عام ٢٠٠٩، وهم يدرسون في ثماني كليات هي: الآداب، والتجارة والاقتصاد، والعلوم، والهندسة، والحقوق والإدارة العامة، وتكنولوجيا المعلومات، والتمريض والمهن الصحية المساندة والدراسات العليا. وقد تم اعتماد كلية التربية أثناء كتابة هذا الكتاب، أما كلية الصيدلة فقد باتت على وشك الحصول على الاعتماد. ونرى هنا أن الازدياد في أعداد الطلبة رافقه توسع في عدد البرامج الأكاديمية، كما تم توفير البنية التحتية الإضافية اللازمة والملائمة والكوادر التدريسية المؤهلة بما يحافظ على نسبة جيدة (١:٢٠) لعدد الطلبة إلى الأساتذة، وهو أحد المؤشرات الهامة للمستوى الأكاديمي.

اعتماد البرامج

لم تكن عملية التوسع الأكاديمي في بيرزيت خلال الثماني وثلاثين سنة الماضية خالية من العقبات وبالسهولة التي يوحي بها السرد السابق. في البدايات، لم تكن مسألة إضافة برنامج تبدو مسألة معقدة، إذ كان بإمكان الإداريون أن يسترشدوا عموماً بالبرامج والمساقات التي تقدم في الجامعات المشابهة. فإذا توفر الكادر التدريسي اللازم، عندها يمكن أخذ تصميم البرنامج، والمساقات والكتب الدراسية بشكل جاهز تقريباً. إلا أن الواقع لم يكن يوماً على هذا القدر من البساطة. دون شك، فإن إضافة برنامج أكاديمي جديد تسبقها دراسة معمقة لمدى الحاجة إلى البرنامج، وأهميته محلياً وجدواه. أما إضافة البرامج متعددة التخصصات فكانت أمراً مختلفاً تماماً.

قبل إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية، لم يكن نظام الاعتماد المطبق حالياً قائماً. وكان بإمكان الأفراد أو الدوائر اقتراح برامج جديدة، وبمجرد أخذ الموافقة الأولية على المقترح، كان مكتب التخطيط يجري عملية كاملة تهدف إلى

في عام ١٩٧٢، اجتاحت الرياضيات الحديثة المناهج في الدول العربية ما عدا فلسطين. فبادرت بيرزيت إلى دعوة جميع مدرّسي مادة الرياضيات للمرحلة الثانوية في الضفة الغربية إلى حوار حول المنهاج الجديد لمدة ثلاثة أسابيع. وكانت بيرزيت ترحب بإدخال المساقات الجديدة على مستوى مصغر. فعلى سبيل المثال، في عام ١٩٧٢، قامت زوجتي بإدخال مساق في علم الإنسان. كما قمت بوضع وإدخال مساق في الرياضيات لطلاب السنة الأولى في العلوم باسم «الرياضيات في الاتجاه الآخر».

منير فاشة، عضو الهيئة التدريسية ١٩٦٢-١٩٨٩.

تصوير: ياسر درويش.

التأكد من قدرة الجامعة على تقديم البرنامج بنجاح، أو من قدرتها على توفير العناصر اللازمة لذلك. صحيح أن الحصول على موافقة المجلس الأكاديمي كان مسألة شائكة أحياناً، ولكن بشكل عام كان التوصل إلى اتفاق وإطلاق البرامج المقنعة والمجدية أمراً ممكناً.

ومع تشكيل الهيئة الوطنية للاعتماد والجودة والنوعية لمؤسسات التعليم العالي في فلسطين، لم تعد الجامعة تتمتع بحرية كاملة في إطلاق برامج جديدة. فلكي تطلق المؤسسات الأكاديمية برنامجاً جديداً، فإن عليها أن تبين توفر كافة متطلباته لسنوات لاحقة من حيث المرافق، وعدد الأساتذة المؤهلين، والموارد المادية، والكتب والدوريات، والأعداد المتوقعة للالتحاق، والتي تشكل الأقساط

والرسوم المتوقعة أحد عناصرها. واليوم، فإن اعتماد برنامج أكاديمي جديد قد يستغرق لغاية ثمانية عشر شهراً، بينما كان بالإمكان إضافة برنامج جديد خلال فصل واحد في الثمانينات.

فعلى سبيل المثال، بعد أن تبيّنت جدوى تقديم برامج بكالوريوس معلّم المرحلة الأساسية العليا في أربعة مواضيع، فقد استغرق تصميم هذه البرامج واعتمادها سنتين تقريباً. وعندما قررت بيرزيت في عام ٢٠٠٦ تقديم برامج في المهن الصحية المساندة، استغرق الأمر سنتين حتى تمكنت من إطلاق برنامجي البكالوريوس في التمريض والبكالوريوس في التغذية والحمية. أما برنامج الصيدلة، فقد استغرق جهوداً على مدار ثلاث سنوات للحصول على الاعتماد. إلا أن المدة اللازمة لتحويل أي برنامج من مجرد فكرة إلى برنامج مدرج في قائمة التخصصات ليست مخصصة فقط لإجراءات الاعتماد. فالنقاشات الداخلية للبرنامج المقترح في المجالس المختلفة، من مجلس الدائرة، إلى مجلس الكلية، ثم مجلس الجامعة لإعطاء الموافقة الأولية، قد تستغرق عدة فصول دراسية. كما أن دراسة الجدوى لدى مكتب التخطيط قد تستغرق شهوراً. فلئن كان البرنامج يتطلب التزاماً على المدى البعيد وتأسيس كلية جديدة، من الضروري الحصول على موافقة مجلس الأمناء. عندها فقط، يمكن إرسال البرنامج إلى المجلس الأكاديمي وبعده إلى الهيئة الوطنية للاعتماد والجودة والنوعية.

تنمية الهيئة التدريسية

ساعد برنامج تنمية الهيئة التدريسية الذي أطلقته الجامعة بهدف مواجهة النقص في الكادر التدريسي، ورفع مؤهلاتهم وتدريبهم في توفير احتياجات فتح وتعزيز برامج جديدة. ففي أواسط إلى أواخر السبعينات، كانت الهيئة التدريسية لبيرزيت تضم الكثير من الأساتذة والمدرسين من غير الفلسطينيين، وكانوا يدرّسون الرياضيات، والفيزياء، والاقتصاد واللغة الإنجليزية، والفلسفة، والدراسات الثقافية وغيرها، فساهموا في إضفاء التنوع على طرق التدريس، وأثْروا الحياة الثقافية في الجامعة وأتاحوا للطلبة فرصة الاحتكاك بأصحاب خبرات أوروبية وأميركية. على أن الجامعة واجهت صعوبات جمّة في استقطاب أعضاء هيئة تدريسية وموظفين قادرين على مواكبة برامجها التطويرية، بسبب القيود التي فرضتها إسرائيل على تأشيرات الدخول. فتوجهَت إلى إيفاد عدد

ورشة كلية الهندسة: تصوير محمود عبيد.

مختبر العلوم. تصوير: ياسر درويش.

كبير من أعضاء الهيئة التدريسية الواعدين لمتابعة الدراسة والبحث، واكتساب المعرفة والمهارات من جامعات أوروبية وأميركية. وعاد هؤلاء ليشكلوا رافداً أساسياً ساهم في تطوير الجامعة ووصولها إلى ما وصلت إليه الآن. وساعد الجامعة في الإيفاد العديد من المؤسسات العربية والأجنبية مثل الأميديست (AMIDEAST) والمجلس الثقافي البريطاني (British Council) والصندوق الدولي لمساعدة الطلبة العرب (ASAI)، وغيرها من المؤسسات التي ترعى التعليم العالي. علاوة على ذلك، فقد تمكن العديد من أعضاء الهيئة التدريسية من الحصول على شهادات عليا وعلى تدريب جيد في الاتحاد السوفييتي السابق ودول المعسكر الاشتراكي، عن طريق المنح التي تمكنوا من تأمينها بجهودهم الذاتية. وقد ساهم هذا التطور في الهيئة التدريسية في دعم البرامج الأكاديمية في بيرزيت بشكل كبير.

الزائرون الأجانب

إن تعريض الطلبة لخبرات متقدمة وتعريفهم بالقيادات الفكرية والأكاديمية العالمية وإنتاجها عن كثب كلما أمكن ذلك، لهو جزء مكمّل للمنهاج المقرر في سياق التعليم الجيد الذي توفره جامعة بيرزيت لطلبتها. فمنذ أوائل السبعينات وجامعة بيرزيت تشكل مركز جذب للزوار من الأكاديميين والمثقفين المعروفين من ذوي المكانة العالمية، والذين كانوا يرون في جامعة بيرزيت صوتاً للفلسطينيين الذين يرزحون تحت الاحتلال. إن لائحة الزائرين المرموقين طويلة جداً ولا يتسع لها هذا المكان، ولكن نذكر من بينهم الفيلسوف هيربرت ماركوز، والتربوي ايفان إيليتش، والدبلوماسي البريطاني اللورد كارادون، والأستاذة دوروثي هودجكين (Dorothy Hodgkin) الحائزة على جائزة نوبل في الكيمياء لعام ١٩٦٤، والأستاذ شيروود رولاند (Sherwood Rowland) الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء لعام ١٩٩٥، وأستاذي الفيزياء دايسون فريمان (Freeman Dyson) من جامعة برنستون وستيفن هوكنج (Hawking Stephen) من جامعة كامبردج، والأستاذ الراحل إدوارد سعيد من جامعة كولومبيا، والمفكر وعالم اللغويات الاستاذ نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) من معهد ماساتشوشتس للتكنولوجيا. وكان في احتفاء الطلبة والهيئة التدريسية بالضيوف العلماء والمفكرين والاهتمام بمحاضراتهم خير دليل على وجود وعي علمي رفيع، بالإضافة إلى كون مثل هذه اللقاءات مناسبة لا تنسى لدى كل من شارك فيها.

عالم الفيزياء المعروف ستيفن هوكنج خلال زيارته للجامعة في عام ٢٠٠٦. من اليسار إلى اليمين: أحد موظفي القنصلية البريطانية، نائب الرئيس غسان الخطيب، القنصل العام البريطاني ريتشارد مايكبيس، رئيس الجامعة نبيل قسيس، عميد شؤون الطلبة منير قزاز، مدير مكتب العلاقات العامة غسان أنضوني، عضوا الهيئة التدريسية في دائرة الفيزياء يعقوب عنيني ووائل قراعين (رئيس الدائرة). تصوير: ياسر درويش.

عبد اللطيف أبو حجلة يخاطب الحضور في المؤتمر الدولي الذي انعقد في سنة ٢٠٠٧ تحت عنوان: «إدوارد سعيد: مقولات نقدية عن الحداثة وما بعدها». تصوير: ياسر درويش.

استكشاف المشهد الفلسطيني

كانت جامعة بيرزيت أول جامعة تدرّس مساقاً في الجغرافية المعاصرة لفلسطين، والذي كان متطلباً جامعياً لطلاب دراسات الشرق الأوسط في أواسط السبعينات. (منذ أواسط التسعينات، اقتصر نطاق هذا المساق على الضفة الغربية فقط نتيجةً للقيود الشديدة التي فرضها الاحتلال الإسرائيلي على حرية الحركة).

يتكون المساق من محاضرات صفّية وزيارة ميدانية تستغرق أربعة أيام إلى كل أنحاء فلسطين- بما فيها السهول الساحلية، والجبال، والأغوار وصحراء النقب. كان الطلاب والأساتذة المشاركون يجتمعون فجراً أمام الحرم القديم، حيث يستقل الجميع الحافلات متجهين إلى شمال فلسطين وصولاً إلى الحدود اللبنانية-السورية. ثم نتجه جنوباً عبر وسط وجنوبي فلسطين إلى أن نصل إلى أم الرشراش التي تقع على خليج العقبة. كنا نمضي الليل في جنين، وطولكرم، وغزة (ولكن أحياناً كنا نمضي ليلتنا في الناصرة أو حيفا بدل جنين). وكان الهدف من الرحلة الميدانية هو إعطاء معلومات مفصلة ومعرفة متكاملة حول المشهد الفلسطيني المادي والثقافي. ثم يقوم الطلاب بتدوين ملاحظاتهم الميدانية خلال توقفنا في المواقع الهامة والمميزة. كنا نسير حوالي ٨-١٠ كيلومترات يومياً. وكان المشاركون يشاهدون ويتحسسون الصخر والتربة، وأحياناً يتذوقون الخضار والمياه. كانوا يلتقطون عشرات الصور كجزءٍ من العمل المطلوب للمساق ولأنفسهم كذلك. أما في الأمسيات، فكنا نقوم بمراجعة الملاحظات حول طبيعة المواقع المحلية المختلفة، ونناقشها في السياق الجغرافي الكلي والشامل لفلسطين. كما كان الطلاب يلتقون بالشخصيات التربوية والسياسية المعروفة في البلدات والمدن المختلفة- مثل الراحل حيدر عبد الشافي (عضو مؤسس في المجلس الوطني الفلسطيني ورئيس الوفد المفاوض في مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١)، ورئيس بلدية الناصرة الشاعر والسياسي الراحل توفيق زيّاد. ولم يكن المشاركون يكتسبون المعرفة الأكاديمية وحب الوطن فحسب، بل كانوا يستفيدون اجتماعياً أيضاً، حيث إن الرحلات الميدانية كانت توثق علاقاتهم وتؤدي إلى بناء صداقات دائمة.

كمال عبد الفتاح، يدرس مادة الجغرافية في جامعة بيرزيت. وهو عضو مؤسس في الجمعية الجغرافية الفلسطينية، وقد قام بالكثير من الأبحاث حول القرى الفلسطينية المدمرة خلال النكبة.

"الماضي قائم في الحاضر" علم الآثار في جامعة بيرزيت

عندما توجه زوجي ألبرت جلوك إلى فلسطين في عام ١٩٦٢ كعضو في بعثة أميركية للتنقيب عن الآثار في تلّ بلاطة (نابلس)، كان هناك شعور متزايد فيما بين زملائه أن لدى المواطنين نظرة سلبية تجاه التنقيب عن آثار الأراضي المقدسة. لذا بذل أعضاء فريق الأساتذة الأميركيين الذين توجهوا تحت قيادة د. بول لاب (Dr. Paul Lapp) بهدف إعادة اكتشاف تل التعنك (في منطقة جنين) جهدهم لتغيير هذه النظرة. وبعد وفاة لاب المفاجئة في عام ١٩٧٠، قام ألبرت بقيادة عمليات التنقيب في تل التعنك. وبدأ بتدريس علم الآثار في جامعة بيرزيت في عام ١٩٧٥. وبعد ذلك بوقت قصير، قام بتأسيس دائرة علم الآثار ثم المعهد الفلسطيني للآثار، وذلك بدعم كبير من إدارة الجامعة، وبهدف تدريب مجموعة من علماء الآثار الفلسطينيين الشباب القادرين على إدارة عمليات التنقيب في بلادهم بأنفسهم وعلى العمل مع فرق عمل دولية أيضاً.

لقد ساعدت عمليات التنقيب التي قام بها ألبرت في الستينات في الضفة الغربية على توثيق علاقاته مع حياة القرية والتعرّف على أطلال حوالي ٤٢٠ قرية رابضة منذ عام ١٩٤٨ في المحميّات من الغابات، أو خلف نباتات الصبّار، أو تلك التي تمّ بناء المستوطنات فوقها. واتضح له حينها أن لفلسطين ثقافة حية وفيها تقاليد لم تتم دراستها بعد. وشعر أن دراسة المجتمعات القديمة من خلال آثارها تكتسب معنىً حقيقياً عندما تبدأ بدراسة المجتمعات القائمة حالياً.

وقد استرشد في عمله في المعهد بعدة مبادئ أهمها:

١. إن دراسة علم الآثار تحتاج إلى قدر من الإلمام في عدة تخصصات ومشاركة عدة دوائر في كليات الآداب والعلوم والهندسة (الفنون، وعلم الاجتماع، وعلم الإنسان، والهندسة، والعمارة، والفيزياء، والكيمياء وغيرها).

٢. هناك أهمية بالغة للاستعانة بالمصادر المتوفرة في المكتبات، بما فيها الإصدارات بالعربية.

٣. "الماضي قائم في الحاضر". هذه النظرية أدت إلى دراسة الحياة الريفية المعاصرة من أجل توثيق كيفية إفادة المهارات الحياتية المعاصرة من الموارد الطبيعية والحكمة العملية نفسها التي كانت مستخدمة في الماضي القريب أو البعيد، وعلى وجه التحديد في مجال المحافظة على المياه، وأساليب الزراعة، والعمارة وصناعة الأنواع الكثيرة من الأدوات والأواني الفخارية. إن إحدى الركائز الرئيسية لهذا المبدأ هي ضرورة عدم إغفال أي فترة زمنية، بما في ذلك الحقبة العثمانية والوقت الحاضر (مثل دراسة مخيمات اللاجئين ومضارب البدو الرحّل)، وهي أمور تجاهلها في الغالب علم الآثار التقليدي في معرض بحثه عن التاريخ القديم.

٤. إن العمل الميداني المثمر يشكل جزءاً لا يتجزأ من تدريب علماء الآثار الشباب، وهذا يمثل التحدي الأكثر تعقيداً، بسبب القيود التي يفرضها الاحتلال الإسرائيلي، والشك الذي كان يسود أهالي القرى والمجتمعات المحلية تجاه هذا النوع من العمل، والتكلفة المرتفعة للعمل الميداني، والتصاريح للتنقيب عن الآثار التي كان يجب الحصول عليها من الحكومتين الإسرائيلية والأردنية.

٥. متابعة الدراسة العليا في مجالات متخصصة في الخارج متطلب إلزامي.

خلال الأعوام السبعة عشر ما بين ١٩٧٥ و١٩٩٢، غرق ألبرت في عمله بمثابرة وشغف فائقين. وفي كانون الثاني ١٩٩٢، جرى اغتياله على أيدي مجهولين لم يتم التعرف على هويتهم أو دوافعهم حتى يومنا هذا. وفي أيامنا هذه، يقوم بضعة أساتذة شبان، ممّن كانوا طلاباً في تلك الأيام، بالتدريس وإجراء الأبحاث في بيرزيت وفي الجامعات الفلسطينية الأخرى، حيث يقودون أو يشاركون في أعمال التنقيب في المنطقة، ويساهمون في المحافظة على التاريخ، وفي تعليم تلاميذ المدارس تراثهم الأثري، ويروّجون السياحة البديلة التي تبدأ مع "الماضي قائم في الحاضر".

لويس جلوك، أمينة سجلات أعمال التنقيب عن الآثار في تل التعنك خلال ١٩٦٣-١٩٦٨، وأمينة السجلات والقطع الفنية لغاية عام ١٩٩٥، كما كانت مسؤولة عن غرفة القراءة ومختبر اللغات التابعَين للبرنامج المكثف في اللغة الإنجليزية في جامعة بيرزيت بين عام ١٩٨٢ و١٩٨٩.

الراحل د. ألبرت جلوك، مدير معهد الآثار. قال أحد عارفيه: «إسهام د. جلوك في البحث الأثري الفلسطيني كان تحرير علم الآثار من ربقة التاريخ. وبالتالي من ربقة التأويلات التوراتية. والبديل الذي قدمه هو منهج دراسة أنثروبولوجية للعادات القائمة كمصدر لفهم الماضي.»

عملية تنقيب في خربة بيرزيت. تصوير: ياسر درويش.

أيامي في بيرزيت، ١٩٨٣-١٩٨٥

وصلت إلى بوابة الحرم القديم لجامعة بيرزيت بعد ظهر أحد الأيام الحارة في شهر تموز ١٩٨٣، مثقلاً بحقيبتي سفر وحقيبة ظهر، وكنت جاهزاً للبدء بتنفيذ عقد لمدة سنتين للتدريس كأستاذ زائر لمادة التاريخ. وأكثر ما يحضر ذاكرتي من الحرم القديم هو تشابك وازدحام ممرات الدخول والخروج إلى المكاتب الرئيسية، والمكتبة، والملعب الخارجي لكرة السلة وصفّا المقاعد المثبتان بمحاذاة أحد الجدران. وكان المطبخ قريباً من الساحة، حتى أن رائحة الطعام القوية كانت تعلن على الطلاب والهيئة التدريسية عن الغداء قبل الاستراحة بوقت طويل. وكانت صالة الطعام تعجّ بالحركة، فكانت مسرحاً للكثير من النقاشات الحادة حيناً أو لموجات من المزاح والضحك أحياناً.

كان مكتبي يقع في الجهة المقابلة للشارع الرئيسي في القرية، في بيت غير مفروش تم تحويله على يد نافذ نزال إلى دائرة دراسات الشرق الأوسط. ولم أكن الأستاذ "الزائر" الوحيد، بل كان معي واصف عبوشي، الذي كان في إجازة من جامعة سينسيناتي، بينما كانت إصلاح جاد قد انضمت إلى الهيئة التدريسية لتوها.

وسرعان ما أوقع الواقع المرير للعيش والعمل في الأراضي الفلسطينية المحتلة الفوضى في الروتين اليومي للتدريس، مع تزايد الإغلاقات المفروضة على الجامعة وقيام الجيش الإسرائيلي بإطلاق النار في بعض الأحيان على طلابنا خلال المواجهات. علاوة على ذلك، فقد جرى التحقيق مع عشرين من أعضاء الهيئة التدريسية ثم توقيفهم خلال الفصل الأول بسبب رفضهم التوقيع على ما سمّي "صك الولاء" الذي حاول المسؤولون العسكريون الإسرائيليون فرضه استناداً إلى الأمر العسكري رقم ٨٥٤. لقد شاهدت بأمّ عيني عشرين من أعضاء الهيئة التدريسية يؤخذون إلى مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في رام الله الذي كان يقع مقابل منزل حنان عشرواي، حيث قام بعض الأساتذة والطلاب بزيارة "الموقوفين" في مقر الشرطة في رام الله والسجن التابع له الذي كان يقع بالقرب من مدرسة الفرندز للصبيان. وقد أدت الإغلاقات المتكررة، ومقتل عدد من طلاب الجامعة وتوقيف أعضاء الهيئة التدريسية بشكل مؤقت إلى تمديد الفصل الأول عدة مرات، حتى أنه لم ينته لغاية آذار ١٩٨٤.

وقد طلب مني في الفصل الأول تدريس مساق في المسوح في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، كما درّست حلقة بحث حول التأريخ، وهي إحدى المتطلبات الرئيسية لتخصص

الرحلة بين رام الله وبيرزيت على الشارع المجرف خلال عاصفة شتوية، ٢٠٠١.

دورية للجيش الإسرائيلي في مواجهة مع الطلاب.

التاريخ. أما حلقة البحث حول "التاريخ الشفوي للقرى الفلسطينية"، فقد ساعدني في هذه المادة ضيوف كرام مثل ألبرت جلوك من دائرة الآثار، وسليم تماري من علم الاجتماع، وسعاد العامري من الهندسة المعمارية وكمال عبد الفتاح من الجغرافية.

في ربيع ١٩٨٤، طلب مني جابي برامكي، رئيس الجامعة بالوكالة، إجراء مشروع بحثي تحت عنوان "اللاجئون كضحايا وأسباب للصراع"، وأن أعرض نتائج البحث في "مؤتمر باغواش" المنعقد في البندقية في تموز ١٩٨٤. وقمت مع كل من إميل ساحلية وطالبيّ في الدراسات العليا عثمان شركس وعادل يحيى بصياغة استبيان لاستخدامه في استطلاع آراء لعينات من اللاجئين في خمسة عشر مخيماً في الضفة الغربية. وقام عثمان وعادل بتنفيذ البحث، وإجراء المقابلات مع حوالي ثلاثمائة لاجئ، ثم قمنا جميعاً بكتابة الورقة. وفي تموز، توجهت مع عادل إلى البندقية، حيث قمنا بتقديم عرض ناجح ترافقه الشرائح التي تعرض لنتائج البحث.

وبعد انتهاء الفصل الثاني الذي كان قصيراً، وعطلة الصيف التي تم اختصارها، بدأ الفصل الأول من السنة التالية بكثير من الحماسة المتّقدة لدى الجميع. فالحرم الجامعي الجديد كان قد بدأ آنذاك بالنمو فوق التلال المشرفة التي تقع على بعد حوالي كيلومترين إلى الجنوب من قرية بيرزيت. وكانت كليات إدارة الأعمال، والعلوم، والهندسة قد بدأت بنقل التدريس، والمكاتب والمختبرات إلى الحرم الجديد. في تلك الأثناء، كانت دائرة دراسات الشرق الأوسط التي ظلّت في الحرم القديم، قد أصبحت دائرة التاريخ، وكانت تقدم برامج في الجغرافية والعلوم السياسية أيضاً. ووجدت نفسي منهمكاً في العمل في مركز الأبحاث تحت إدارة كمال عبد الفتاح، الذي طلب من سليم تماري ومنّي التشارك في تأسيس وتحرير مجلة متخصصة في الأبحاث في الأراضي الفلسطينية المحتلة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية. ومع نهاية الفصل الأول من عام ١٩٨٤، صدر العدد الأول من مجلة بيرزيت للأبحاث Birzeit Research Review وكان حول التربية، وتبرعت بتصميم الغلاف سعاد العامري. كما طلب مني كمال البدء بعقد سلسلة من الورشات تحت عنوان "تاريخ فلسطين الشفوي: النظريات والمناهج" لطاقم المركز المليء بالحماسة والنشاط. إلا أن النشاط الأبرز في الفصل الأول كان غرس الأشجار في يوم الأرض في السفح الفارغ الذي يقع داخل الحرم الجديد، وكان نشاطاً جيد التنظيم وناجحاً، حيث يمكن للزوار أن يشاهدوا نتائجه اليوم لدى دخول الجامعة. إن هذه الأشجار الباسقة إنما هي شهادة حية على الصمود، وعلى طبيعة بيرزيت، مؤسسة التعليم العالي العربية التي لها جذور ضاربة عميقاً في الأرض.

مع حلول الفصل الثاني من عام ١٩٨٥، كانت المعنويات عالية بسبب فشل روابط القرى والأمر العسكري رقم ٨٥٤ في تحقيق أهدافهما المتمثلة في تغلغل الأمن الإسرائيلي داخل القرى والمدارس والكليات والجامعات الخاصة الفلسطينية. كما بات واضحاً أن بيرزيت كانت على وشك إنهاء عام دراسي كامل وعملية تدريسية غير متقطعة للمرة الأولى منذ عدة سنوات. وكان جميع أعضاء الهيئة التدريسية توّاقين لحضور حفل التخرج، وكانوا يشعرون أن المستقبل الأكاديمي لبيرزيت بات واعداً.

لقد كانت السنتان اللتان قضيتهما في بيرزيت من أكثر سنوات حياتي الأكاديمية إنتاجيةً ومن أكثرها قلقاً. لكنها كانت أيضاً من أفضلها بالنسبة لي كأكاديمي، وذلك بسبب الروح التي يتحلى بها الطلاب والهيئة التدريسية، والروح الرفاقية الحميمة التي كانت سائدة بين الزملاء والإداريين، والشعور بالمشاركة في لحظات الفرح والحزن مع أولئك الفلسطينيين الشجعان، كباراً كانوا أم صغاراً، طلاباً كانوا أم أساتذة. منذ عام ١٩٨٥، وأنا أعود كل صيف تقريباً إلى جامعة بيرزيت، إما لتدريس مساق للدراسات العليا، أو للعمل مع أحد الزملاء أو للقيام بأبحاث في التاريخ الشفوي. يجدر بي القول أنني سأظل دائماً فخوراً ببيرزيت!

ثوماس م. ريكس، مؤرّخ اجتماعي وثقافي مستقل، ومحاضر في جامعة بنسلفانيا (فيلادلفيا).

مبنى نسيب عزيز شاهين

الفصل الخامس

الدراسات العليا في بيرزيت

جورج جقمان

شهد عام ١٩٧٦ حدثين هامين في تاريخ جامعة بيرزيت وفي مسار التعليم العالي في فلسطين على حد سواء، وهما تخرّج الدفعة الأولى من خريجي البكالوريوس وبداية التخطيط لأول برنامج في الدراسات العليا أو الماجستير. وبعد سنة، كان الطلاب قد التحقوا بالبرنامج الذي وضعته دائرة التربية. وتوجه العديد من خريجي برنامج الماجستير في التربية لمتابعة دراستهم ونيل شهادة الدكتوراه في جامعات معروفة في الولايات المتحدة وبلدان أخرى ضمن برنامج تطوير الهيئة التدريسية، حيث عاد بعضهم لتدريس طلاب البكالوريوس والماجستير في جامعة بيرزيت.

جرى إطلاق عدة برامج للدراسات العليا بعد إعادة فتح الجامعة في عام ١٩٩٢، في أعقاب الإغلاق المطوّل الذي فرضته السلطات العسكرية الإسرائيلية. أما برنامج الماجستير في التربية، والذي كان قد تم تعليقه بشكل مؤقت في عام ١٩٨٣ بسبب القلق بشأن إمكانية استمراريته، فقد استؤنف في عام ١٩٩٤ بعد مراجعته وتوسيعه، بحيث شمل التركيز في تعليم كل من العلوم والإدارة والرياضيات.

رئيس مجلس الأمناء، د. سعدي الفقيه، يمنح شهادة الدبلوم خلال حفل التخرج سنة ١٩٨٣، فيما يظهر رئيس الجامعة بالوكالة جابي برامكي وهو يتأمل.

الصفحة المقابلة: كلية الدراسات العليا. أطلق على المبنى اسم المتبرع بتكلفة بنائه، د. نسيب عزيز شاهين. تصوير: ياسر درويش.

تطوير برامج الدراسات العليا

طالما كانت عملية تطوير برامج الدراسات العليا جهداً جماعياً، إلا أن أدوار بعض الأفراد وإسهاماتهم كانت بالغة الأهمية وتستحق التنويه. فبين عام ١٩٩٢ و١٩٩٥، أطلق كل من برنامج الماجستير في الحقوق، ودراسات النوع الاجتماعي والدراسات الدولية، وذلك بعد قيام مجلس الجامعة الذي يرأسه حنا ناصر بإعطاء الضوء الأخضر والموافقة النهائية على البرامج الجديدة. وقام مجلس الدراسات العليا، برئاسة الراحل د. إبراهيم أبو لغد بصفته نائب الرئيس، بمناقشة وإقرار المحتوى الأكاديمي. كان الراحل د. أبو لغد الأب الروحي الذي رعى إطلاق برنامج الماجستير في الدراسات الدولية. فقد كان يدرك تماماً مدى تأثر أوضاع الفلسطينيين بما يجري على الصعيدين الإقليمي والدولي، وبالتالي حاجتهم لفهم معمق للعوامل والقوى السياسية الفاعلة في الساحة، مما يمكّنهم من اتخاذ قرارات مدروسة تستند إلى الحقائق والمعلومات. كما كان يعي الأهمية الخاصة للقدرة على اتخاذ القرارات العقلانية في تلك الفترة التي شهدت إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية.

عميدة كلية الدراسات العليا ليزا تراكي تهنئ إحدى الخريجات خلال حفل التخرج الرابع والثلاثين. تظهر أعلام الكليات المختلفة في الخلفية. تصوير: ياسر درويش.

وفي أواخر عام ١٩٩٥، اتُّخذ قرار بتأسيس كلية للدراسات العليا وتعيين أول عميد لها، حيث عملت في هذا المنصب لمدة تقارب سبع سنوات. كان يجب وضع برامج جديدة ولوائح داخلية تفصيلية من أجل مأسسة برامج الدراسات العليا والإشراف على جودة التعليم. وتشكل مجلس الدراسات العليا من رؤساء برامج الماجستير المختلفة وممثلين عن الكليات الأخرى، وبرئاسة عميد الكلية.

إن المأسسة أمر بالغ الأهمية بسبب ضرورة وجود أنظمة تفصيلية ودقيقة تنظم جميع جوانب العمل. ولم تكن عملية وضع هذه الأنظمة بالأمر السهل. ولكن لحسن الحظ، كانت بيرزيت قد خاضت هذه العملية على مستوى البكالوريوس، وبالتالي كان بإمكانها أن تبني على الخبرة السابقة الكبيرة للإداريين، والذين ساهموا في جهود مأسسة برنامج الدراسات العليا في الجامعة أيضاً، ومن بينهم نائب الرئيس السابق للتخطيط والتطوير رمزي ريحان، ونائب الرئيس السابق للشؤون الأكاديمية أحمد بكر، وخلفه د. عبد اللطيف أبو حجلة الذي لعب دوراً هاماً بهذه الصفة.

وبعد تعيين نبيل قسيس رئيساً للجامعة في العام الدراسي ٢٠٠٤–٢٠٠٥، وكان قد عمل سابقاً كنائب رئيس للشؤون الأكاديمية، بُذلت الجهود لتحقيق اللامركزية في برنامج الدراسات العليا، فجرى نقل عدة برامج من كلية الدراسات العليا إلى الدوائر الأكاديمية أو الكليات المختصة في الحقل أو الحقول (في حالة البرامج البينية داخل الكلية الواحدة)، وذلك في ظل ارتفاع عدد تلك البرامج والحاجة إلى ترتيبات إدارية أكثر نجاعة. واليوم، هناك واحد وعشرون برنامجاً للماجستير، سبعة منها برامج بينية في حقول من أكثر من كلية، وهي الديمقراطية وحقوق الإنسان، ودراسات النوع الاجتماعي والتنمية، والإحصاء التطبيقي، والدراسات الدولية، وهندسة التخطيط العمراني وعمارة المشهد، وهندسة المياه والبيئة وعلوم المياه والبيئة، وهذه يتم تقديمها من خلال كلية الدراسات العليا. وقد عملت د. خولة شخشير–صبري، ثم د. سامي صيرفي كعميدين لكلية الدراسات العليا لفترات قصيرة بعد مغادرتي المنصب، ثم أعيد تعيينهما في مناصب أخرى، فتولّت د. ليزا تراكي المنصب منذ العام الدراسي ٢٠٠٤–٢٠٠٥.

الاهتمام بالجودة

شكلت جودة برامج الدراسات العليا وما زالت تشكل قضية جوهرية هي محل نقاش متواصلٍ منذ المرحلة التأسيسية ولغاية يومنا هذا. فقد اتّبعنا في جامعة بيرزيت مساراً تبيّن أنه مسار محافظ، حيث حاولنا أن نضمن وجود المتطلبات الأساسية للدراسات العليا، مع إدراكنا لحجم التحديات التي يواجهها التعليم العالي في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وتمكنّا من وضع برامج أصبحت فيما بعد مراكز رائدة ومتخصصة في مجالات ذات أهمية كبرى في السياقين الفلسطيني والعربي، ومن بينها برامج في عدد من المعاهد التي تمنح شهادة الماجستير وتجري الأبحاث التطبيقية المتقدمة في الوقت نفسه، ونشر منها الكثير في أهم المجلات العلمية العالمية. ومن الأمثلة على ذلك معهد علوم المياه والبيئة، ومعهد دراسات المرأة ومعهد الصحة العامة والمجتمعية. إن مساهماتهم وأبحاثهم ومستوى خريجيهم يستحق الإعجاب، حتى إن العديد من العلماء والمفكرين المعروفين على مستوى عالمي سعوا للحصول على فرص للعمل في مشاريع مشتركة مع أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة بيرزيت.

تعمل بيرزيت في ظل واقع مثقل بالتحديات. لأي درجة ينبغي التوسع في الدراسات العليا في ظل محدودية الموارد المتاحة؟ ما هي احتياجات "السوق"، والسوق لم تكن يوماً مقتصرة على الضفة الغربية وقطاع غزة؟ هل من الممكن تطوير برامج متفوقة في كل التخصصات، أم إنه من الأفضل التركيز على عدد محدود من البرامج التي يمكن التميّز فيها وبلوغ مستوى عالمي؟ تشكّل هذه الأسئلة وغيرها محور اهتمام الهيئة التدريسية والإدارية في بيرزيت وموضوعات لنقاشات مطوّلة ومستفيضة في شتى المجالس واللجان المعنية بالتخطيط. لكن الأكيد هو أنه على الرغم من العقبات التي لا يستهان بها، فقد نجحت الهيئة التدريسية بالتزامها، والإدارة بسعة أفقها، في بناء وقيادة برامج دراسات عليا تلبي الاحتياجات الوطنية وتتمتع بسمعة طيبة على المستوى الإقليمي.

برامج الماجستير

التربية
إدارة الأعمال
الإحصاء التطبيقي
الاقتصاد
التاريخ العربي الإسلامي
الجغرافية
الحوسبة العلمية
الدراسات الدولية
الدراسات العربية المعاصرة
الديموقراطية وحقوق الإنسان
الرياضيات
الصحة العامة والمجتمعية
العلوم الطبية المخبرية
الفيزياء
القانون
الكيمياء التطبيقية
دراسات النوع الاجتماعي والتنمية
علم الاجتماع
علم النفس المجتمعي
علوم المياه والبيئة
هندسة التخطيط العمراني وعمارة المشهد
هندسة المياه والبيئة

السنة التي تم فيها منح أول شهادة ماجستير: ١٩٨٠
عدد الحاصلين على الشهادة: ٦
عدد الطلاب الملتحقين في الدراسات العليا، أيلول ٢٠٠٩: ١,٣٠٨

نبذة عن بعض برامج الدراسات العليا المختارة

برنامج إدارة الأعمال
الشهادة: ماجستير في إدارة الأعمال

صُممت شهادة الماجستير في إدارة الأعمال لخريجي البكالوريوس من عدة اختصاصات، وتقدمها كلية التجارة والاقتصاد التي تتمتع بسمعة طيبة على المستوى الإقليمي بين البرامج المشابهة في الجامعات العربية. تتكون الهيئة التدريسية من كبار الباحثين والعاملين في المجال، كما أن البرنامج تنافسي، حيث يتم قبول ١٥-٢٠٪ فقط من المتقدمين سنوياً. منذ تأسيسه في عام ١٩٩٩، تخرج حوالي ٥٠٠ طالب وعملوا في الوطن وفي العالم العربي كمدراء ماليين، وأمناء صندوق، ومدراء في المؤسسات العامة، والمنظمات الأهلية، والشركات التجارية.

برنامج الصحة العامة والمجتمعية
الشهادة: ماجستير في الصحة العامة؛ دبلوم عالٍ في الرعاية الصحية الأولية

هذان برنامجان يقدمهما معهد الصحة العامة والمجتمعية، الذي يعرّف الصحة على أنها عملية بناء اجتماعي، بمعنى أن مسببات الأمراض لا تكمن داخل الشخص نفسه، بل أيضاً في المكان الذي يعيش فيه الناس أو يعملون، وفي البيئة العامة المحيطة، بما فيها البيئة الاجتماعية والسياسية. يستند هذا النهج على العلوم الطبية والوبائية، والسياسية، والاجتماعية وغيرها من أجل فهم الصحة. وهو من أوائل المعاهد في العالم العربي، وكان رائداً في هذا النهج الشامل والمتعدد التخصصات، والذي يستند إلى عمل فرق متعددة التخصصات في مجال الأبحاث، والتدريب، والممارسة. (ما يزال الاتجاه تقليدياً إلى درجة كبيرة في العالم العربي حيث يعتمد على إطار عمل طبي بيولوجي).

برنامج الديمقراطية وحقوق الإنسان
الشهادة: ماجستير في الديمقراطية وحقوق الإنسان

تأسس برنامج الديمقراطية وحقوق الإنسان في جامعة بيرزيت في عام ١٩٩٩. وهو برنامج بيني، حيث يجمع بين مواضيع الفلسفة، والعلوم السياسية، والقانون، والتربية وعلم الاجتماع. وقد انبثق كنتيجة للحوار العام الذي احتدم في أواخر التسعينات حول مسائل تتعلق بالحوكمة، مثل الفساد، واحترام الحقوق وسيادة القانون، حيث اتخذ هذا الحوار منحىً أوسع داخل جامعة بيرزيت، فتناول دور الجامعة في بناء الدولة من خلال التعليم، والتدريب، والأبحاث والوصول إلى المجتمع.

يهدف البرنامج إلى تدريب الطلاب في مجالات مختلفة منها: التعليم والمناصرة في الديمقراطية وحقوق الإنسان، والعمل في القطاعات المختلفة للديمقراطية وحقوق الإنسان، والعمل على إصدار أبحاث وأوراق عمل تتناول قضايا نظرية وعملية حول الديمقراطية وحقوق الإنسان في فلسطين، والعالم العربي والعالم. ومع نهاية العام الدراسي ٢٠٠٨-٢٠٠٩، بلغ عدد خريجي هذا البرنامج ١٤٣ خريجاً يتبوأ كثيرون منهم مناصب رفيعة في مؤسسات صنع القرار.

برنامج علوم المياه والبيئة
الشهادات: ماجستير في هندسة المياه والبيئة، وماجستير في علوم المياه والبيئة

يزوّد البرنامجان الخرّيجين بالمهارات المفاهيمية، والتحليلية والفنية اللازمة للتعرف على المشاكل البيئية والمائية، والمساهمة في تصميم تدخلات لحل هذه المشاكل، ومتابعة وتقييم نتائج هذه التدخلات. ويستند عمل الطالب خلال الفصول وفي الأطروحات إلى المشاكل والقضايا البيئية المحلية، وإلى المشاكل المرتبطة بالهندسة التطبيقية التي يتم تطبيقها في كثير من الأحيان بالتعاون الحثيث مع الشركات الخاصة، والمؤسسات الاستشارية، والمنظمات الأهلية المحلية والدولية، والمؤسسات العامة.

وقد لعب المعهد من خلال برنامجي الماجستير دوراً كبيراً في بناء القدرات الفلسطينية في مجال المياه والصرف الصحي. كما قام ببناء العديد من علاقات الشراكة والتعاون مما أدى إلى اتساع نطاق أعماله وأبحاثه في قطاعي المياه والبيئة. علاوة على ذلك، فقد زاد التعاون في مجال الأبحاث من حجم علاقات الشراكة، والشبكات والفرص المتاحة لتطوير تقنيات وحلول على مستوى عالمي كان لها أثر إيجابي على مشاكل المياه والصرف الصحي في المجتمعات المحلية الفلسطينية.

برنامج دراسات النوع الاجتماعي والتنمية
الشهادة: ماجستير في النوع الاجتماعي والتنمية

يقدم معهد دراسات المرأة برنامج الماجستير في دراسات النوع الاجتماعي والتنمية، وهو البرنامج الأول من نوعه الذي يتم وضعه في جامعة عربية. والبرنامج يقدم دراسات المرأة كتخصص أكاديمي هام، حيث تسعى المؤسسات والمنظمات الأهلية الفلسطينية والمنظمات الدولية إلى اجتذاب خريجيه. يركز البرنامج على تزويد الطلاب بالنظريات والمفاهيم اللازمة لفهم المجتمع الفلسطيني والقضايا العالمية، ولتطوير قدرات التحليل والنقد في تناول وتقييم السياسات والبرامج التنموية وتحديد وضع النوع الاجتماعي فيها.

برنامج الدراسات الدولية
الشهادة: ماجستير في الدراسات الدولية

إن معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية هو أول مؤسسة فلسطينية متخصصة تقدم درجة الماجستير في الدراسات الدولية. وتمنح شهادة الماجستير في هذا البرنامج البيني من خلال دراسة أربعة مجالات مترابطة تخص العلاقات الدولية، وهي السياسة الدولية، والاقتصاد، والقانون والتاريخ. هذا البرنامج موحّد على المستوى الأكاديمي، وهو يستهدف المهنيين والمهتمين بنشوء وتطور العلاقات الفلسطينية مع المنظومة الدولية. وتضم الهيئة التدريسية نخبة من أهم المفكرين المتخصصين المقيمين في فلسطين.

خريجو عام ٢٠٠٦. تصوير: ياسر درويش.

برنامج القانون
الشهادة: ماجستير في القانون

تقدم كلية الحقوق والإدارة العامة هذا البرنامج الذي يتيح للطلاب التعرف على النظامين القانونيين النافذين في الأراضي الفلسطينية المحتلة (في الضفة الغربية وقطاع غزة)، كما يقدم التدريب من خلال حلقات البحث، ومجموعات العمل، والمشاريع التي تنفذ في معهد الحقوق (مثل قائمة القوانين النافذة في فلسطين). ويعمل العديد من خريجي هذا البرنامج في التدريس في نفس البرنامج، أو يتولّون مناصب قانونية رفيعة في فلسطين. ويمكن للطلاب الاستفادة من الموارد المتوفرة في معهد الحقوق، بما فيها مكتبة مونتسكيو القانونية، وهي أكبر مكتبة قانونية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، و"المقتفي" وهو قاعدة بيانات فلسطينية تحتوي على المراجع، والنصوص الكاملة، وصور قواعد البيانات لكافة التشريعات التي سُنَّت في فلسطين خلال المئة وخمسين عاماً الماضية.

2

التحدي والتصدي

الفصل السادس

كيف تدير جامعة تحت الاحتلال العسكري الإسرائيلي

جابي برامكي

خلال السنوات التي أعقبت احتلال إسرائيل لبقية أنحاء فلسطين في عام ١٩٦٧، كان لدى إدارة بيرزيت أهداف محددة: التوسع وتطوير المؤسسة لتلبية الاحتياجات التعليمية الفلسطينية ومساندة قضية التحرر الوطني.

مقاومة تكتيكات السيطرة الإسرائيلية

منذ اللحظة التي فرضت فيها إسرائيل الحكم العسكري وهي تستهدف المؤسسات الأكاديمية وخصوصاً الطلاب، ومباشرة بدأت بيرزيت تشعر بالضغط. كإدارة، كان علينا مقاومة المناورات الإسرائيلية الهادفة للسيطرة على الأنشطة الجامعية وتكبيلها، وحاولنا أن نضع لهم حدوداً: فكان على السلطات العسكرية الإسرائيلية أن تتصل قبل الدخول إلى حرم الجامعة ولا يسمح لقواتها بالتجول داخل الجامعة، بل كان يسمح لهم بلقاء رئيس الجامعة فقط. كانوا يريدون تفتيش الصفوف، وهو طلب رفضناه فوراً، حيث إننا نحن لم نفتش صفوفنا يوماً. وكلما كانوا يطلبون لقاء رئيس الجامعة حنا ناصر كنت أنضم إليه، حيث كنا نعتقد أن وجود شخصين أكثر أماناً من وجود شخص واحد فقط.

وفي عام ١٩٧٢، عندما قمنا بنشر إعلان في الصحف عن نيتنا تطوير برنامج للبكالوريوس، أبلغنا الحاكم العسكري أنه يتعين علينا التقدم بطلب للحصول على تصريح. وفي كل سنة كنا نكتب رسالة بسيطة نطلب فيها تصريحاً. ثم في عام ١٩٧٦، قلنا في رسالتنا إن كافة خططنا بعيدة المدى، وإن الحرم الجديد الذي نقوم ببنائه استثمار طويل الأمد، وإننا نعتبر التصريح الذي بحوزتنا تصريحاً دائماً. وكانت تلك المرة الأخيرة التي سمعنا بها عن ذلك "الشرط" الغريب.

اتخذت الجهود الهادفة للسيطرة على الجامعة عدة أشكال. فعندما أصبحت بيرزيت جامعة، أصرت السلطات العسكرية على تفتيش الكتب الدراسية. كنا نتردد في تسليمها إليهم، حيث إن الكتب الدراسية مرتفعة الثمن، ولكننا كنا نثابر في إصرارنا على إعادتها، فكانوا يعيدونها في النهاية. وكانوا يطلبون المعلومات حول طلابنا، بما فيها عناوينهم وديانتهم. وقلنا لهم أننا لا نطلب هذه المعلومات. بشكل عام، كنا نستجيب لمثل هذه الطلبات إما بالحد الأدنى الضروري أو بعدم إعطاء المعلومات.

الصفحة المقابلة: حاجز إسرائيلي على البوابة الرئيسية لحرم الجامعة. تصوير: ياسر درويش.

الاحتلال في أرقام

عدد الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة
عام ١٩٧٠: ١,٠٩٦,٠٠٠
في عام ٢٠١٠: ٤,٤٠٩,٠٠٠
عدد الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة
عام ١٩٧٠ من سن ١٩ سنة أو أقل: ٦٠٢,٠٠٠
في عام ٢٠١٠: ٢,٤٣٥,٠٠٠

أعمال التوقيف والأسر والتعذيب

عدد الفلسطينيين الذين أسروا في السجون الإسرائيلية لمدد تتراوح بين أسبوع واحد ومدى الحياة، ١٩٦٧-١٩٨٨: ٦٠٠,٠٠٠
عدد الفلسطينيين الذين أسروا خلال الانتفاضة الأولى (١٩٨٧-١٩٩٤): ١٧٥,٠٠٠
نسبة الأسرى الفلسطينيين الذين تم تعذيبهم خلال التحقيق: ٨٥٪.
عدد طلاب وموظفي بيرزيت الذين تم توقيفهم وأسرهم منذ عام ٢٠٠٢: ٤٣٦
عدد الذين ما زالوا في الأسر في نيسان ٢٠١٠: ٨٢

الإبعاد

عدد الفلسطينيين الذين تم إبعادهم
بين عام ١٩٦٧ و١٩٩٢: ١,٥٢٢
بين عام ١٩٧٠ و ١٩٧٣: ٧٨٥
في عام ١٩٩٢: ٤١٥
عدد المبعدين من الضفة الغربية وقطاع غزة، ٢٠٠٢-٢٠٠٤: ٣٢

هدم المنازل

عدد البيوت الفلسطينية التي قامت السلطات الإسرائيلية بهدمها في الأراضي الفلسطينية المحتلة، حزيران ١٩٦٧-آذار ٢٠٠٩: ٢٤,١٤٥

أعمال القتل خلال الانتفاضتين

عدد الفلسطينيين الذين قتلتهم القوات الأمنية والمدنيون الإسرائيليون ٩ كانون الأول ١٩٨٧-٢٨ أيلول ٢٠٠٠:
في الأراضي الفلسطينية المحتلة: ١,٤٨٩
داخل الخط الأخضر: ٦٠
عدد الفلسطينيين الذين قتلهم الإسرائيليون من ٢٨ أيلول ٢٠٠٠ إلى ٢٨ أيلول ٢٠٠٤: ٣,٢٣٤

وكنا نسعد لقبول الفلسطينيين المواطنين في دولة إسرائيل كطلاب أو كأعضاء في الهيئة التدريسية، الأمر الذي شكل سبباً للتوتر مع الإسرائيليين، إلا أن حجتنا كانت أنه ليس في وسعنا رفض الفلسطينيين الذين حرموا من الفرص في إسرائيل. وعلى مدى سنين طويلة، حاولت السلطات الإسرائيلية ثنينا عن موقفنا بعدة طرق، من بينها مطالبتهم بالتقدم بطلبات للحصول على تصاريح للإقامة.

ربما كانت أول محاولة إسرائيلية صريحة لتوجيه ضربة كبرى لبيرزيت هي في ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٤، بإبعاد رئيسها حنا ناصر ومعه أربعة فلسطينيين آخرين إلى لبنان. وجاء قرار الإبعاد على خلفية المظاهرات التي اندلعت في الأراضي الفلسطينية المحتلة تأييداً لياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.) الذي كان يخاطب الجمعية العامة للأمم المتحدة للمرة الأولى. وقد اعتبرنا خطوة إبعاده عن وطنه وبيته وعمله دون توجيه تهم جنائية إليه أو إعطائه فرصة للدفاع عن نفسه عملاً شائناً وواصلنا المطالبة بعودته، ولكن دون جدوى.

بعد إبعاد حنا، أصبحت رئيساً للجامعة بالوكالة. وأصبح السفر من الأراضي المحتلة أمراً صعباً بالنسبة لي. فقبل مغادرتي كانت التعليمات تصدر إلي بعدم لقاء حنا، ولدى عودتي كان التحقيق بانتظاري للتأكد من عدم لقائه.

في السنوات الأولى للاحتلال، تم إبعاد المئات من الشخصيات الفلسطينية لتلقين درس لبقيتنا عن الثمن الذي يتعين علينا دفعه مقابل العصيان. كما تم اعتقال الكثيرين اعتقالاً إدارياً، وهو عبارة عن توقيف لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد إلى ما لا نهاية دون توجيه أي تهم. وقد تم توقيف تيسير عاروري مدرس الفيزياء في جامعة بيرزيت بموجب هذا الحكم العسكري لمدة بلغ مجموعها ٤٥ شهراً.

واحتج طلابنا ضد إجراءات الجيش الإسرائيلي، مثل هدم المنازل والاعتقالات الجماعية وبناء المستوطنات، فرد الجيش الإسرائيلي بقوته الكاملة وبالذخيرة الحية. قام الطلاب برفع الأعلام الفلسطينية فوق المواقع البارزة، مما أثار حنق الإسرائيليين بطريقة تشبه هياج الثور لدى رؤية اللون الأحمر.

البحث عن الدعم

بحثنا عن طرق لمساعدة الجامعة على البقاء رغم الاحتلال، ففكرنا بفائدة إقامة علاقات مع الجامعات في أوروبا. واتصلنا بالجامعات التي عرضت تقديم منح لطلابنا، وحاولنا إقامة علاقة تبادلية من خلال توفير الفرص للطلاب (مثل المعسكر الصيفي الدولي حيث قمنا بتدريس اللغة العربية) وإرسال بعض أعضاء الهيئة التدريسية لإلقاء المحاضرات أو إجراء الأبحاث. وانطلقت مجموعة تضامنية في بريطانيا هي لجنة أصدقاء بيرزيت تم تسجيلها كجمعية خيرية، وكانت ترسل لنا المحاضرين والوفود. كذلك تشكلت مجموعة مشابهة في ميشيغان، وكلاهما أرسلتا التبرعات وعملتا على التوعية حول الضغوط التي نواجهها. كما نجحت لجنة بريطانيا في إقامة اتصالات ناجحة مع البرلمانيين الأوروبيين. وعندما صدرت أوامر الإغلاق لمدة غير محددة، قامت مجموعات التضامن، ومعظمها من الطلاب الذين حضروا البرنامج الصيفي في الجامعة بالضغط، الأمر الذي نبه إسرائيل إلى أن العالم متيقظ لإجراءاتها القمعية التي تستهدف الجامعات. لقد لعب أصدقاء وداعمو بيرزيت من حملة جوازات السفر الأجنبية دوراً حاسماً في توفير الكتب والدوريات التي ما كان الإسرائيليون ليسمحوا بدخولها لو أنها أرسلت بالبريد.

أحد الطلاب الذين جرحوا على يد الجيش الإسرائيلي على طريق رام الله - بيرزيت. تصوير: رلى حلواني.

في حزيران ١٩٨٠، أصدرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي الأمر العسكري رقم ٨٥٤ الذي وضع مؤسسات التعليم العالي تحت إمرة الحاكم الإسرائيلي، ومنحه السيطرة على تسجيل الطلاب وتعيين الطاقم. وقد قاومت جميع الجامعات هذا الانتهاك للقانون الدولي. ولتثبيت سيطرته، أمر الحاكم أعضاء الهيئة التدريسية غير المقيمين بتوقيع إفادة تنص على موافقتهم على الامتثال للأوامر العسكرية الإسرائيلية وعلى عدم الاعتراف ب م.ت.ف، مشيراً إليها كمنظمة إرهابية. إن توقيع هذه الوثيقة، التي باتت تعرف بصك الولاء، كان شرطاً للحصول على إذن عمل، وكان على أعضاء الهيئة التدريسية الذين يرفضون التوقيع عليه مغادرة البلاد. وتحايلنا على هذه العقبة بأن قمنا بتصوير الإفادة دون الجملة الاستفزازية وطلبنا من أعضاء الطاقم التوقيع عليها. ولم تلاحظ السلطات الإسرائيلية هذا التغيير فوراً. وفي النهاية، اضطروا إلى إغفال تطبيق هذا القرار بسبب الضغط الذي واجهوه من بلدان أخرى، نتيجة رفض الجامعات الفلسطينية للانصياع. إلا أنه كان بإمكانهم التحكم بقدرتنا على تعيين أجانب في الهيئة التدريسية عن طريق رفض منحهم تأشيرات للدخول.

جاءت ردة الفعل على "صك الولاء" من مصدر غير متوقع: وزارة الخارجية الأميركية. فقد وصفه وزير الخارجية جورج شولتز بأنه" انتقاص للحرية الأكاديمية"، وبأنه "غير ضروري" لأمن إسرائيل. حتى إنه دعا "أعضاء مجتمع المفكرين" إلى الاحتجاج على ما أسماه "انتقاصاً لحرية الفكر". وقد سبق تصريح شولتز قيام مئتين من الأكاديميين الإسرائيليين بالتوقيع على مذكرة احتجاج.

الاعتقال الإداري والإبعاد: محنة أحد أعضاء الهيئة التدريسية

اعتقلت لأول مرة بتاريخ ١٩٧٤/٤/٢٢ وذلك ضمن حملة اعتقالات واسعة قامت بها سلطات الاحتلال الإسرائيلية ضد «الجبهة الوطنية الفلسطينية» التي كانت قد تشكلت في صيف ١٩٧٣ من بعض القوى الوطنية الرئيسية وبعض الشخصيات المستقلة.

أبلغتني إدارة السجن (سجن رام الله) بأنني معتقل إداريا لمدة ٣ أشهر، تم في نهايتها تجديد الاعتقال لستة أشهر أخرى. وتكرر هذا ست مرات أخرى، أي أن مدة الاعتقال بلغت ٤٥ شهرا. أعلنت منظمة العفو الدولية (أمنستي) عني «سجين ضمير»، كما اتسعت حملات التضامن والاستنكار لاعتقالي محليا ودولياً. كما تدخل العديد من كبار علماء الفيزياء والرياضيات، أوروبيين وأميركيين وبعض الإسرائيليين. لم توجه لي رسميا أية تهمة طيلة فترة الاعتقال الذي استند إلى ما يسمى بقوانين الطوارئ والاعتقال الاحترازي.

ولعل أطرف ما في الأمر أنني، وبعد قرابة ٣ سنوات من الاعتقال، استطعت أن أتلقى من خلال مدير السجن جواباً على سؤال كنت أوجهه لهم باستمرار وهو: ما سبب اعتقالي؟ من حقي أن أعرف ذلك. وقد جاء الجواب : إن «رجال الأمن(المخابرات) بفكروا إنك بتفكر تعمل شيء ضد إسرائيل، عشان هيك حبسوك حتى ما تعمل إشي».

إن من أسوأ ما رافق معظم فترة الاعتقال هذه هو الإزدحام الشديد وبمقاييس يصعب تصورها لمن لم يعشها. فمثلاً، بلغ عدد السجناء في الغرفة حيث كنت (الغرفة رقم ١ في سجن رام الله) ٦٣ سجيناً في حين أن مساحة الغرفة هي ٣٠ متراً مربعاً (٥x٦) فقط. وقد استمر هذا عدة أسابيع.

خلال فترة الاعتقال هذه، قرأت أكثر قليلا من ٢٠٠ كتاب، واستفدت وتعلمت منها الكثير، كما تعلمت الكثير أيضا من حياة السجن نفسها.

اعتقلت للمرة الثانية لفترة قصيرة (١٨يوماً) في ١٤ آذار١٩٨٢ ضمن حملة اعتقالات درجت قوات الاحتلال على القيام بها كل عام في مثل هذا التوقيت (أواسط شهر آذار) كإجراء احترازي في ذكرى يوم الأرض (٣٠ آذار) حيث دأبت القوى الوطنية على تنظيم فعاليات ونشاطات واسعة في هذه المناسبة.

وجاء الاعتقال الثالث إبان الانتفاضة الأولى، حيث اعتقلت بتاريخ ١٩٨٨/٨/٨، وفي ١٧/٨/١٩٨٨، صدر قرار إبعادي عن الوطن أنا وستة عشر مناضلا فلسطينيا آخر. كانت تلك الوجبة الثالثة من الإبعادات خلال الانتفاضة. وكانت التهمة التي قرأها علي ضابط إسرائيلي هي: «لقد قرر قائد المنطقة الوسطى لجيش الدفاع الإسرائيلي، بحكم الصلاحيات المخولة له إبعادك عن البلاد، وذلك بسبب دورك في التخطيط وقيادة اللجان الشعبية.» التوقيع: الجنرال عمرام متسناع.

من الجدير بالذكر أن الجنرال متسناع أصبح بعد عدة سنوات رئيسا لبلدية حيفا ومن ثم من قادة معسكر السلام الإسرائيلي.

خضت بعد ذلك مع أربعة من الزملاء معركة ضد قرار الإبعاد لمدة أكثر من سنة، قررنا خلالها وبالتعاون مع لجنة المحامين التي تولت الدفاع عنا أن نستنفد كل الطرق والأساليب المتاحة لفضح سياسة الإبعاد وتبيان مدى وحشيتها ولاقانونيتها. وقد نجحنا فعلا في وقف سياسة الإبعاد لمدة سنتين على الأقل، وإن كنا قد أبعدنا في الأيام الأخيرة من شهر آب - أغسطس ١٩٨٩. وقد تمكنت من العودة إلى أرض الوطن في نيسان ١٩٩٤.

وقد اعتبرتني منظمة العفو الدولية خلال فترة وجودي في السجن وللمرة الثانية سجين ضمير، أي أنني الفلسطيني الوحيد الذي اعتبر سجين ضمير مرتين.

وفي هذه المرة أيضا قامت حملات تضامن واستنكار لاعتقالي أوسع بكثير من المرة السابقة، حيث شارك بها مثقفون وعلماء ونقابيون وسياسيون ومنظمات حقوقية ومهنية من العديد من دول العالم، لعل أهمها الرسالة المفتوحة التي نشرت في النيويورك تايمز وفي الجيروساليم بوست على صفحة كاملة موجهة إلى وزير الدفاع الإسرائيلي (إسحق رابين) تطالبه بإلغاء قرار الإبعاد خارج الوطن. وقد وقعها قرابة ١٤٠٠ من علماء الفيزياء والرياضيات ومن بينهم ١٢ من الحاصلين على جائزة نوبل. قد تكون هذه الوثيقة الوحيدة في العالم التي تحمل هذا العدد من تواقيع فيزيائيين ورياضيين.

تيسير عاروري، مدرس لمادة الفيزياء منذ عام ١٩٧٣.

التعامل مع الإغلاقات المتكررة

قد تكون الإغلاقات المتكررة والمطولة التحدي الأكبر الذي واجهناه. فقد أغلقت جامعة بيرزيت في كانون الأول ١٩٧٣، حيث قمنا بشن حملة إعلامية لم يتعد الإغلاق بنتيجتها الأسبوعين. وفي أيار ١٩٧٩، أغلقت الجامعة لمدة شهرين، بذريعة حادث قام خلاله الطلاب برشق مستوطنين إسرائيليين بالحجارة فيما كانوا يتجولون في بيرزيت احتفالاً بذكرى ما يسمونه استقلال إسرائيل. خلال هذين الشهرين من الإغلاق، عمل الإداريون، وأعضاء الهيئة التدريسية والطلاب مع بعضهم البعض لتعويض الصفوف الضائعة. فقمنا بوضع نظام لتبليغ الجميع بشأن ما يجب فعله والأماكن المتاحة خارج الجامعة لإعطاء الدروس البديلة. وبعد أن تم بناء الحرم الجديد، كنا نجتمع هناك عندما تغلق إسرائيل الحرم القديم. وفي بعض الأحيان كنا نتوجه إلى الحرم القديم عندما يتم إغلاق الحرم الجديد. واضطررنا إلى إعطاء دروس في الصيف لكي يتمكن الطلاب من استكمال متطلباتهم الجامعية، وهو أمر لم يكن سهلاً.

بداية، ركزنا على توفير متطلبات التخرج للطلاب الذين لم يكن قد تبقى لهم إلا عدد قليل من الساعات المعتمدة لكي يتخرجوا، ولكن سرعان ما اتضح أن الإغلاق سيكون طويلاً وأن جميع الطلاب سيتأثرون. فأعطينا دروساً بديلة في المباني التي قمنا باستئجارها في رام الله، وأعطينا بعض الدروس لطلاب القدس وبيت لحم في كل من مقر جمعية الشبان المسيحية، وجمعية الشابات المسيحية، ومدرسة المطران لمدة معينة. وقد تعرضت المكاتب التي فتحناها للهجمات، واضطررنا إلى تهريب الطلاب إلى حرم الجامعة لاستخدام بعض المختبرات التي كانت تحتوي على معدات لا يمكن نقلها إلى مكان آخر. فالذي يمتلك العزيمة يكون مبدعاً وخلاقاً دون حدود، وإن كل هذه الترتيبات ما كان يمكن لها أن تنجح لولا تصميم الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية والموظفين. وقد استفادت الجامعات الفلسطينية الأخرى من تجربتنا، فقامت بالتدريس خارج الحرم الجامعي.

استمر الإغلاق الخامس عشر والأخير والذي تم فرضه في ١٠ كانون الثاني ١٩٨٨، أي بعد حوالي شهر من اندلاع الانتفاضة الأولى واحداً وخمسين شهراً، وكان أطول إغلاق فرض على أي من الجامعات الفلسطينية على الإطلاق. كان حفل التخرج عام ١٩٩٢ مؤثراً، حيث تخرج ٧٠٠ طالب ممن أنهوا متطلباتهم

الإغلاقات

١٥-٣١ كانون الأول ١٩٧٣
٢٠ آذار - ٤ نيسان ١٩٧٩
٣ أيار - ٢ حزيران ١٩٧٩
١٤-٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٠
٤ تشرين الثاني١٩٨١ - ٤ كانون الثاني ١٩٨٢
١٦ شباط - ١٦ نيسان ١٩٨٢
٨ تموز - ٨ تشرين الأول ١٩٨٢
٢ شباط - ٢ أيار ١٩٨٤ (الحرم القديم)
٢ نيسان - ٢ أيار ١٩٨٤
٨ آذار - ٨ أيار ١٩٨٥
٨ كانون الأول ١٩٨٦ - ٣ كانون الثاني ١٩٨٧
١٨-٢١ شباط ١٩٨٧
٢٧-٣٠ آذار ١٩٨٧
١٣ نيسان - ١٣ آب ١٩٨٧
١٠ كانون الثاني ١٩٨٨ - ٢٩ نيسان ١٩٩٢

في ظل الإغلاق، ورفرف علمان فلسطينيان كبيران على المسرح. سالت دموع كثيرة في ذلك اليوم – دموع الفرح، ولكن أيضاً دموع الحزن على من سقطوا خلال الانتفاضة.

وبالإضافة إلى تدريس الصفوف والمحافظة على بعض المعايير الأكاديمية، فقد قمنا بتنظيم بعض البرامج لاستكمال تحضير الطلاب الجدد في السنة الأولى للدراسة الجامعية، ولم يكونوا على المستوى المطلوب بسبب تقطع دراستهم خلال المرحلة الثانوية. ففي كثير من الأحيان، لم يكن أساتذتهم قد أتموا تدريبهم العلمي، وبالتالي لم يكونوا مهيئين بشكل كامل للتدريس. وقد استغرق الأمر عدة سنوات إلى أن تغلبنا على النقص الذي عانى منه الطلاب بسبب الإغلاقات الطويلة.

وبعد توقيع اتفاقية أوسلو، تولت السلطة الوطنية الفلسطينية مسؤولية ملف التعليم، وبات الإغلاق أمراً من الماضي، إلا أن الجيش الإسرائيلي ما يزال يسيطر على الجامعات من خلال الحواجز التي يفرضها، والتي يمكنها أن تجعل الرحلة إلى الجامعة مغامرة غير مأمونة العواقب.

طلاب بيرزيت الذين استشهدوا على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلي

شرف الطيبي (٢١ تشرين الثاني ١٩٨٤)
عيسى شماسنة (١٥ تشرين الثاني ١٩٨٦)
جواد أبو سلمية (٤ كانون الأول ١٩٨٦)
صائب ذهب (٤ كانون الأول ١٩٨٦)
موسى الحنفي (١٣ نيسان ١٩٨٧)
عبد الله علاونة (١١ تشرين الثاني ١٩٩٠)
إبراهيم قاسم (٢٥ أيار ١٩٩١)
جمال غانم (٢٢ آذار ١٩٩٢)
حازم عيد (٩ تموز ١٩٩٢)
عماد كلاب (٦ كانون الثاني ١٩٩٤)
عبد المنعم أبو حميد (٣١ أيار ١٩٩٤)
محمد أبو شقرة (٧ تشرين الأول ١٩٩٥)
فتحي الشقاقي (٢٦ تشرين الأول ١٩٩٥)
يحيى عبد اللطيف عياش (٥ كانون الثاني ١٩٩٦)
ياسر عبد الغني (٢٤ شباط ١٩٩٧)
عبد الله صلاح (٢٩ آذار ١٩٩٧)
خليل الشريف (٤ أيلول ١٩٩٧)
ناصر عريقات (٩ كانون الأول ١٩٩٨)
ضياء الطويل (٢٧ آذار ٢٠٠١)
أيمن حلاوة (٢٢ تشرين الأول ٢٠٠١)
صالح تلاحمة (١ كانون الأول ٢٠٠٣)
جمال الفقيه (١ كانون الأول ٢٠٠٣)
إيهاب عبد القادر أبو سليم (٩ أيلول ٢٠٠٣)
عمر محمد مصطفى عبد الحليم (٢٩ أيار ٢٠٠٧)
عبد اللطيف علي محمد الحروب (٣١ آذار ٢٠٠٨)

إحياء المناسبات الوطنية

وجدنا طرقاً بنّاءة لإحياء المناسبات الوطنية. أما يوم الأرض، وهو ذكرى إطلاق الحكومة الإسرائيلية النار وقتل ستة مواطنين فلسطينيين كانوا يحتجون على مصادرة الأرض في الجليل، فكنا نحييه عادة بالتظاهر. وفي إحدى السنوات، قررنا إحياء الذكرى بغرس الأشجار في الحرم الجديد. وسألني الحاكم العسكري الإسرائيلي إذا ما كنا قد حصلنا على تصريح لغرس الأشجار، فقلت له إن لدينا تصريح، رغم أنه في حقيقة الأمر لم يخطر في بالي قط أن غرس الأشجار يحتاج إلى تصريح. هو لم يتابع الأمر إلى أبعد من ذلك، ونحن قمنا بما عقدنا العزم عليه. كان الطلاب مصممين على تنفيذ النشاط، إلى درجة أنهم تخطوا الحواجز واستخدموا الطرق الخلفية عندما اكتشفوا أن الجيش الإسرائيلي أغلق الطرق الرئيسية المؤدية إلى الجامعة.

كذلك قمنا بتحويل يوم وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني إلى يومٍ لمساعدة المزارعين خلال موسم قطف الزيتون، بحيث أصبح هذا اليوم جزءاً من التقويم الرسمي الجامعة ومن تراثها بشكل مكننا من إحياء هذا اليوم التاريخي بطريقة تربط الطلاب بالأرض والريف.

قام الطلاب بتنفيذ أنشطتهم السنوية بشكل يمكنهم من التعبير عن مشاعرهم الوطنية ومقاومتهم للاحتلال، ومن بين هذه الأنشطة العرس الفلسطيني الذي كان احتفالاً ثقافياً من التراث الشعبي الخاص بالأعراس، ومعرضاً للكتب، ومعرضاً سنوياً للمنتجات اليدوية للطلاب الأسرى.

التخطيط للمستقبل

بعكس كل التوقعات، تمكنت الجامعة من مواصلة عملها وتوسيع برامجها لتلبية الاحتياجات المتزايدة للأهالي. علاوة على ذلك، حاولنا، ونجحنا إلى حد ما في مواجهة مشكلة هجرة الأدمغة من الأراضي الفلسطينية المحتلة. فبقاء الطلاب الشباب في البلاد ساهم في صمود المجتمع وفي مقاومة الاحتلال.

ذكريات الأيام الأولى للاحتلال

هذه هي سنتي الثانية والثلاثون كموظف في جامعة بيرزيت، وسنتي الحادية والأربعون منذ أن التحقت كطالب في كلية بيرزيت في عام ١٩٦٨.

إن أكثر الأمور الراسخة في ذاكرتي هي التاريخ الطويل من المواجهة بين بيرزيت وجيش الاحتلال الإسرائيلي. فبعد يومين من وصولنا إلى السكن (في الحرم القديم) في عام ١٩٦٨، أمرنا الجيش الإسرائيلي بالتجمع في ساحة البريد حيث مكثنا طيلة اليوم جالسين على الشارع فيما كان الجميع يتعرض للتحقيق. كما أتذكر الطلاب وهم يلقون الحجارة على الجنود، الذين كانوا يلقون قنابل الغاز ويطلقون الأعيرة النارية لإجبار الطلاب على العودة إلى داخل حرم الجامعة. ثم تبدأ بعد ذلك المفاوضات من أجل السماح للطلاب بالعودة إلى منازلهم، الأمر الذي كان يطول حتى المساء. كانت الأحداث تتلاحق في أثناء ذلك، فكان علينا أن نفكر في حماية الطلاب، و إطعامهم وتقديم الإسعافات الأولية للمصابين، وأمور أخرى كثيرة.

وأتذكر الحزن والغضب اللذين كنا نشعر بهما عندما يستشهد أحد الطلاب خلال المواجهات. وأتذكر الغضب الذي اجتاحني عندما شاهدت جندياً إسرائيلياً يصفع رئيس الجامعة بالوكالة خلال إحدى المواجهات. كما أتذكر تماماً كيف عرفت بنبأ اندلاع الانتفاضة الأولى، حيث إنني توجهت مع زملائي إلى بيرزيت لكي نرى ما يحدث هناك، وأدركنا فوراً أن ما يحدث لم يكن حدثاً عادياً.

عيسى مصرية (خريج سنة ١٩٧٠)، مدير مكتب رئيس الجامعة.

عندما يصبح التعليم نشاطاً غير قانوني

أمضيت ثماني سنوات إلى أن حصلت على شهادة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية بسبب الإغلاقات الإسرائيلية المتكررة لجامعة بيرزيت، والتي كان آخرها خلال الانتفاضة الأولى واستمر لأكثر من أربع سنوات، فكنا نحضر "الصفوف" في شقق في رام الله وبيرزيت.

الجيش الإسرائيلي يهدد تظاهرة جامعية سلمية.

وبينما يفخر الطلاب في شتى أنحاء العالم باستعراض بطاقاتهم الطلابية، كان علينا أن نتذكر أن نخفيها دائماً حتى لا يفرط الجنود على الحواجز الإسرائيلية بالإساءة إلينا.

جهاد مسعود (خريج سنة ١٩٩٢)، مهندس ميكانيكي يعمل في مؤسسة المواصفات والمقاييس الفلسطينية.

قصر الحمراء

أتت رسالة القبول من جامعة بيرزيت، التي يحمل شعارها شجرة الزيتون. وكان برنامج الدوام أيضاً يحمل شعار الجامعة، لكن المكان لم يكن هو الجامعة، بل كان قصر الحمراء وجمعية الشبان المسيحية في رام الله. ولم يكن أي من المكانين يشبه الجامعة، بل شكلا معاً المكان القسري لاستمرار العملية التربوية والرد الفلسطيني على سياسة التجهيل التي اتبعتها سلطات الاحتلال أثناء سنوات الانتفاضة الأولى بإغلاقها الجامعات والمدارس.

كان قصر الحمراء وبيوت المدرسين ومساكن الطلبة بداية حياتي الجامعية في جامعة بيرزيت، التي لم تطأ قدماي أرضها إلا بعد ستة شهور، وذلك بعد أن سمحت سلطات الاحتلال لإدارة الجامعة بإعادة فتحها. لم يكن إغلاق الجامعة هذا هو الأول، فلبيرزيت تاريخ طويل مع القرارات العسكرية الإسرائيلية في الإغلاقات وتنغيص حياة الطلبة والعاملين.

كنا ندرس ونتعلم في قصر الحمراء وكأننا نمضي عقوبة، فنمكث ٥٠ دقيقة مرتين إلى ثلاث مرات في اليوم في الصفوف حيث البرد قارس. ومع أن هذا ليس أمراً ذا أهمية، إلا أن المفارقة لافتة، فهذا كان يحدث بينما كان يتوفر لنا كطلبة أحدث وأرقى وأجمل المباني والحدائق والمرافق في حرم الجامعة الجديد، لكننا كنا ممنوعين من استعمالها ومحرومين من التعليم وتطوير أنفسنا وممارسة حياتنا بشكل طبيعي كطلبة أي شعب من شعوب العالم. إنه الاحتلال بواحدة من ممارساته التي تنم عن جوهره العدواني.

إن الذهاب إلى الصفوف في قصر الحمراء له دلالة ومعنى خاص، فالمكان لا يبعد سوى مئات الأمتار عن "المنارة" مركز مدينة رام الله، والزمان هو أوائل التسعينيات، حيث ذروة الانتفاضة الأولى والتحرك الشعبي ضد الاحتلال. هنا يختلط الزمان بالمكان ويفرضان عليك دوراً يتعدى مجرد كونك طالباً تحضر لدرجة البكالوريوس، وتجد نفسك غارقاً في التفاعل مع القضايا العامة.

دخلت حرم الجامعة لأول مرة كطالب بعد ستة شهور من قبولي. وكنت أعرف جامعة بيرزيت قبل ذلك فقط كمشارك في النشاطات العامة، كاحتفالات انطلاقة مختلف الفصائل الفلسطينية أو في تأبين الشهداء، وأحياناً في "رحلات خاصة" يقوم بها من كانوا في سن المراهقة مثلي. أما وقد أصبحت طالباً فيها، فقد اختلف دوري ووجدت أنها ليست بعيدة عن المخيم، أو السجن أو النشاط السياسي، وهي مكونات هويتي قبل دخولي إليها كطالب، والتي صهرتها الجامعة في هوية واحدة.

في منزلي اليوم عشرات الصور والأوراق والوثائق التي لخصت حياتي في الجامعة، يضاف لها ملف خاص عن فترة اعتقالي سنة ١٩٩٥ لمدة ٧٠ يوماً في مراكز التحقيق الإسرائيلية. في هذا الملف تلاحظ مدى اهتمام الجامعة بموضوع اعتقالي عبر مكتب العلاقات العامة فيها، والذي لم يتوان عن إرسال عشرات الرسائل للأمم المتحدة ولمنظمة "بتسليم" وللكثير من المؤسسات الحقوقية الدولية. كما كان محامي الجامعة إيليا ثيودوري يواظب على زيارتي في كافة مراكز التحقيق خلال اعتقالي ومثلني أمام المحاكم العسكرية، وأشرف على الإفراج عني في الساعة الأخيرة.

وهذا دليل على الفلسفة التي تقوم عليها الجامعة، والتي لا تتمحور حول العلم والأقساط فقط، بل حول الدور الوطني الريادي أيضاً. فالجامعة بهيئاتها المختلفة تمنح الطالب كل الرعاية والاحتضان ليس فقط في أروقتها بل حيثما وُجدوا.

خالد فراج (خريج عام ١٩٩٦)، المدير المساعد لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين.

فن الانتظار: لجنة الأسرى في بيرزيت خلال الثمانينات

عندما أستذكر لجنة الأسرى، والتي كانت مجموعة غير رسمية تشكلت خلال ثمانينات القرن الماضي من الهيئة التدريسية والموظفين في بيرزيت لمساعدة الطلبة والعاملين الذين قادهم حظهم العاثر ليحظوا باهتمام عدائي من قبل السلطات العسكرية الإسرائيلية، أسترجع فناً فقدته في زمن ما بعد أوسلو السريع الإيقاع، ألا وهو فن الانتظار. فبينما كان أعضاء اللجنة يوثقون الانتهاكات، ويتصلون بالمحامين، ويتحدثون إلى أي شخص مستعد للإصغاء، فلقد أمضينا معظم وقتنا في تلك الأيام البعيدة في مهمة حرجة ألا وهي الانتظار- انتظار الطلاب الخاضعين للتحقيق، والطلاب الذين تجري محاكمتهم، أو أحد الموظفين الذي صودرت بطاقة هويته والذي كان أمراً شائعاً. كان هناك على وجه التحديد كوخ من الصفيح والإسمنت، مهجور وقذر، يقع خارج مقر الحاكم العسكري في رام الله. وكنّا نحن المولعين بالانتظار نجلس على ذلك المقعد المهترئ ونمارس حرفتنا لساعات طويلة كل مرة. لم نكن نكسر حبل الرتابة سوى لسؤال أحد الجنود المناوبين عما يحدث. وكان من النادر أن نحصل على رد. وبين وقت وآخر، كنا ومعنا العائلات المنتظرة نسمع صوت حافلة تقترب من البوابة، فنهرع لكي نلمح السجناء الشبان القابعين في الداخل.

عندما أتيت إلى بيرزيت في خريف عام ١٩٨٢ للعمل في مكتب العلاقات العامة ومع لجنة الأسرى، كانت الزميلة السابقة آن سكوت قد أبعدت لتوها، مخلفة وراءها سمعة طيبة (في الجامعة إن لم يكن مع الجيش الإسرائيلي)، وكومة من صور التقارير عن انتهاكات حقوق الإنسان. لحسن الحظ، كان هناك آخرون ليعلموني فن الانتظار. وكان أستاذ الفلسفة هيو هاركورت Hugh Harcourt بارعاً في ذلك. فبصحبة نسخة من كتاب الإلياذة أو أفلاطون في حقيبة يحملها على ظهره كان مستعداً لأكبر تحدٍ في الانتظار. كما كان لدى مدرّسة الإنجليزية كاثي هيس Kathy Hess قدرة فائقة أيضاً على الجلوس بسكينة في أسوأ الأجواء العسكرية وأشدها بؤساً. وقد شكل أعضاء الهيئة التدريسية من حملة الجوازات الأجنبية شعبة "الانتظار" في اللجنة، حيث كنا نخشى على من لا يحملون سوى هويات الضفة الغربية

وغزة أن يتعرضوا لنفس المعاملة التي يلقاها الطلاب الذين نحاول الدفاع عنهم. بالفعل، كان الدافع خلف تشكيل لجنة الأسرى وأحد مؤسسيها هو أحد أعضاء الهيئة التدريسية الذي كان أسيراً سابقاً وهو غسان حرب.

أما حنان عشراوي، التي كانت ترأس دائرة اللغة الإنجليزية في ذلك الوقت وترأس لجنة الأسرى بشكل غير رسمي، فكان بيتها يقع مقابل المقر العسكري. وكانت على استعداد دائم لتمضية ساعات طويلة في الاتصال الهاتفي بالمحامين وجمع المعلومات من الطلاب، وهي معلومات قامت بالتحدث عنها أمام العالم في وقت لاحق. في أوائل الثمانينات، كان مجرد الحصول على خط هاتفي أمراً ذا قيمة كبيرة. ففي الحرم الجامعي القديم، لم يكن الاتصال ممكناً إلا عبر المقسم، وكان على المرء أن يقضي صباحاً كاملاً في محاولة الاتصال بمحامٍ حتى يتبين مكان توقيف أحد الطلاب. في تلك الأيام الذهبية، كان بإمكاننا (في معظم الأحيان) أن نصل إلى القدس. وكانت ريتا جقمان، التي كانت واحدة من القلائل الذين يملكون سيارة في اللجنة، تغادر عملها في صحة المجتمع دون تردد في الحالات الطارئة التي تستدعي زيارة مكتب أحد المحامين.

وكانت الحالات الطارئة كثيرة، من قيام الجيش بإغلاق معارض الكتب، إلى إغلاق كلا الحرمين الجامعيين، إلى الآثار المدمرة لسياسة القبضة الحديدية التي ابتدعها رابين في عام ١٩٨٥، إلى أول حالة وفاة بين الطلاب في الجامعة، وأخيراً "تجريم التعليم" خلال الانتفاضة الأولى، ووضع أعداد كبيرة من الطلاب قيد الاعتقال الإداري وإبعاد القيادات الطلابية، وهو غيض من فيض الأحداث في تلك السنوات المضطربة. وانتقلت عملية إصدار تقارير انتهاكات حقوق الإنسان من النسخ البدائي إلى النشر المهني الصادر عن مكتب العلاقات العامة، وزاد المتطوعون الأجانب من القدرة على توثيق ونشر المعلومات حول انتهاك الحرية الأكاديمية وحقوق الإنسان، تغير اسم لجنة الأسرى في النهاية ليصبح "مشروع العمل من أجل حقوق الإنسان". لكن العمل من أجل حقوق الإنسان في جامعة بيرزيت بدأ في كوخ الصفيح الواقع خارج مقر الحاكم العسكري في رام الله- وانطلق من فن الانتظار.

بيني جونسون، باحثة و محررة مشاركة في مجلة دراسات المرأة الصادرة عن معهد دراسات المرأة. وقد عملت خلال الثمانينات في مكتب العلاقات العامة وأعدت تقارير ربع سنوية حول الجامعات الفلسطينية في ظل الاحتلال" لمجلة الدراسات الفلسطينية".

اللجوء إلى حرم الجامعة

في بيرزيت، أشعر فوراً وكأني في بيتي، وبطريقة لم أعهدها من قبل، وكأن حياتي اتسعت لتضم ألفي شخص جديد هم عدد طلاب بيرزيت في ذلك الوقت. وأشعر أني فلسطينية أكثر من أي وقت مضى! فأنا لست فقط مع أقربائي وزملائي في الدراسة من رام الله والقدس. فزملائي الجدد، محمد، وإبراهيم، وغادة، وناصر، وسهير، ورأفت، وكثيرون غيرهم، هم من شتى أنحاء فلسطين. ألتقي أناساً يتحدثون مختلف اللهجات، وقادمون من القرى، ومخيمات اللاجئين والمدن الفلسطينية التي ما كنت أعرفها سابقاً سوى بالاسم. ولم يكن تنوع الجسم الطلابي هو التجلي الوحيد لتجمع أبناء هذا الشعب في بيتهم، بل كذلك كان الأمر مع الهيئة التدريسية. فكارميلا مدرّسة الرياضيات كانت من داخل الخط الأخضر، ومروان، مدرس آخر للرياضيات، كان قد عاد لتوه من الولايات المتحدة لتدريسنا. أما زكي، مدرس الكيمياء، فقد تلقى تحصيله العلمي في روسيا. كان حرم جامعة بيرزيت يبدو كمخيم لنا نحن الفلسطينيين، اللاجئين بشكل آو بآخر، حيث كنا نلتجئ إليه يحدونا أمل كبير في التعليم.

ولكن بعد أقل من شهر على البداية، أغلق الجيش الإسرائيلي حرم الجامعة وأعلن الجامعة منطقة محظورة. ومر شهران دون صفوف. قرأت كتب العلوم ولم أتعلم أكثر بكثير مما كنت أعرفه من دراستي الثانوية. كانت الكيمياء والفيزياء وكل المعادلات معقدة بقدر مشاعري المعقدة في محاولة للتنبؤ بشأن مستقبلي الدراسي. كيف سننهي الفصل؟ تسلل بعض المدرسين والطلاب إلى الجامعة مدعين أنهم بحاجة إلى جلب بعض الأشياء من المكاتب، وقاموا بتدريس بعض المواد في الأروقة للطلاب الذين تبعوهم. والتقى البعض في الشوارع والبيوت والمقاهي، لكن استيعاب كل ذلك كان أمراً صعباً. وأصرت أمي على أنني فتاة شابة وليس من اللائق أن أتوجه إلى بيوت الناس لحضور الصفوف.

وعدنا بعد شهرين، وكانت الامتحانات ستجري فوراً. ولكن الجامعة أغلقت مرة أخرى بعد ذلك بوقت قصير. واستغرق الفصل الأول في بيرزيت من تشرين الأول إلى حزيران، مما جعل بعض زملائي ينسحبون وينتقلون إلى جامعات أخرى.

وبدأ الفصل الثاني في حزيران دونما عطلة تقريباً. وانتقلت إلى دراسة الأدب، حيث قلت لنفسي إنه سيكون بإمكاني على الأقل قراءة المادة وحدي، وبإمكاني أن أكتب وحدي، وتكون حاجتي إلى الأساتذة أقل خلال الإغلاقات التي كانت تبدو كثيرة.

ومع انتقالي إلى دراسة الأدب، انتقلت دراستي من الحرم الجديد إلى الحرم القديم، وهو أمر أسعدني. فحتى في الأيام التي لم يكن لدي فيها حصص، كنت آتي إلى بيرزيت. فالجلوس مع الزملاء في ساحة بيت عائلة ناصر القديم، والذي يقع في قلب الحرم القديم، ومناقشة الشعر والقصص والكلمات كان يشكل لي السعادة المطلقة. وكنا نتبادل أطراف الحديث عن الأحداث القاسية مثل مجازر صبرا وشاتيلا ضد الفلسطينيين في لبنان وتبعاتها فيما كنا نحاول متابعة الدراسة خلال الفصلين الثاني والثالث. وكنا نناقش الأخبار، ونستشيط غضباً، ثم نهدّئ بعضنا البعض. وكنا نكتب الشعارات والأناشيد. وعملت في تسجيل القراءات للطلاب المكفوفين. وكثيراً ما كنا نقوم بإضرابات أو مظاهرات طلابية ضد الاحتلال.

وأغلقت الجامعة مرة أخرى وانقطعت الدراسة، ومع ذلك فقد تمكن الكثيرون منا من التخرج في غفلة من الزمن، لأن مدرّسينا في بيرزيت كانوا يتصرفون وكأن مستقبلنا هو مستقبلهم، فلم يكونوا يبخلون علينا بأي جهد في سبيل أن نتعلم. وكانت الرغبة في التعلم والنجاح مشتعلة في نفوسنا جميعاً فأضاءت لحظاتنا الحالكة.

ابتسام بركات (خريجة ١٩٨٦)، المؤلفة التي ذاع صيتها لكتاب تلمس السماء: طفولة فلسطينية (٢٠٠٧).

أحداث ٤ كانون الأول ١٩٨٦

في خريف عام ١٩٨٦، حاول الاحتلال الإسرائيلي فرض أمر جديد يطلب من الطلاب القادمين من غزة الحصول على تصريح حتى يتمكنوا من الإقامة في الضفة الغربية لمتابعة دراستهم في الجامعة. وكان هذا الأمر يمنح الاحتلال السلطة القانونية لإبعاد أي طالب من غزة غير حاصل على تصريح، ولذا رفض جميع الطلاب التعاون. ولأن الكثيرين من طلاب جامعة بيرزيت مقيمون في رام الله، فقد أقيمت الحواجز الطيارة للتدقيق في البطاقات الجامعية للطلاب والقبض على من ليس معه تصريح.

عندما أصبحت طالباً في بيرزيت، سكنت مع أخي غسان في رام الله. وفي ٤ كانون الأول ١٩٨٦، عرفنا أن هناك حاجزاً بين رام الله و بيرزيت لا يسمح للطلاب الغزيين بالمرور إلى حرمي الجامعة القديم والجديد. وتظاهر الطلاب داخل الجامعة تضامناً مع الطلاب الذين لم يتمكنوا من الوصول، وأصيب عدة أشخاص وتم نقلهم إلى مستشفى رام الله الحكومي. وبما أننا لم نكن نستطيع التوجه إلى الجامعة، قررت أنا وغسان التوجه إلى المستشفى للتبرع بالدم ومساعدة الجرحى.

وخلال وجودنا في المستشفى علمنا بمقتل طالبين هما جواد أبو سلمية من مخيم خان يونس للاجئين، وصائب ذهب من غزة. في تلك الأيام، كان الجنود الإسرائيليون كثيراً ما يتحفظون على جثامين الشهداء، حيث كان الجيش يدعي أنه يريد تشريح الجثة للتحقق من أسباب الوفاة، لكننا كنا نعتقد أن السبب الحقيقي هو سرقة الأعضاء الداخلية أو انتهاك الجثامين بشكل أو بآخر. وبما أننا نؤمن بأهمية دفن الشهداء بملابسهم ودون غسل جثامينهم، قررنا أن نأخذ الجثتين من المستشفى بأسرع وقت ممكن وأن نسلمهما إلى ذويهما، حتى يتمكنوا من تشييع ولديهما بكرامة.

واندفع عدد منا إلى المشرحة وقمنا بوضع الجثتين في السيارات خارج المستشفى، وأوصلناهما إلى شقتي. ثم حاولت العودة لمساعدة الذين كانوا يحاولون إخلاء الجرحى إلى البيوت في مخيم الأمعري للاجئين القريب لمنع اعتقالهم من المستشفى. لكن الجيش كان قد حاصر المستشفى وأصبح الدخول مستحيلاً، لذا عدت إلى البيت وانتظرت أخي.

وسرعان ما عرفت أنه اعتقل خلال محاولته مغادرة المستشفى. عندما قمنا بإخلاء الجثتين، لم تكن لدينا خطة حول كيفية نقلهما إلى العائلتين. وبعد اعتقال أخي، أدركت أن المسؤولية باتت علي وحدي.

وخفت من العواقب فيما لو شعر الجيش بوجودهما وهاجم شقتي. وأذكر أنني حاولت ألا أبقى داخل الشقة لأكثر من خمس دقائق في المرة الواحدة في محاولة مني لتجنب الإمساك بي ومعي جثتان في حال مهاجمة الشقة.

وقمت بالاتصال ببعض الطلاب من غزة، فتطوعوا لنقل جثمان صائب إلى عائلته. وأحضروا سيارة فيات بيضاء اللون إلى الشقة، و قمنا بلف الجثة ببطانية داكنة اللون. كان صائب طويلاً، ولم نتمكن من ثني ركبتيه لكي نجلس الجثة في المقعد الخلفي للسيارة، لذا وضعنا رأسه خلف مقعد السائق وكانت قدماه الملفوفتان تتدليان إلى الخارج من نافذة السيارة. وفيما ابتعدنا بالسيارة في وقت متأخر من بعد الظهر، حركت الرياح البطانية فانكشف القدمان. وبدل أن نتوقف لإعادة لفّهما، واصلنا المسير. وقمنا بتسليم الجثمان للطلاب الذين كانوا يعرفون صائب جيداً، وعدت أنا إلى شقتي لحراسة الجثمان الثاني.

كنت أعرف جواد معرفة وثيقة جداً لأننا كنا قد تخرجنا في نفس السنة من ثانوية خان يونس عام ١٩٨٢. وعندما فتحت باب الشقة شاهدت جسد جواد ممدداً على السرير في غرفة الجلوس ولاحظت أن وجهه كان مشرقاً جداً ومليئاً بالسكينة كما لو أنه كان حياً.

كنت قد تحدثت إلى نشطاء من غزة بشأن إيصال الجثمان إلى عائلته وتم وضع الخطة. حوالي منتصف الليل، تتوقف شاحنة تجارية تستخدم في شحن الحصى في الشارع الذي تقع فيه شقتي، والتي تقع في الطابق الثاني. نقوم بتحميل الجثمان على الشاحنة ثم يتم ملؤها بالحصى بشكل يغطيه، مما يمكن من نقله بشكل آمن عبر الحواجز إلى عائلته.

عرف رئيس الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت بنبأ رحيل جواد فأتى إلي، حيث أدينا صلاة الجنازة. وسألني عما أنوي فعله، وطمأنته بأن كل الأمور تحت السيطرة. وغادرني والحزن يعتصر قلبه وعيوننا ممتلئة بالدمع.

إلا أن أعضاء مجلس الطلبة وصلوا إلى شقتي وأرادوا أخذ جواد إلى مؤتمر صحفي كانوا قد دعوا إليه. وتجادلنا بهذا الشأن، إلا أنهم أكدوا لي أنهم يضمنون نقله إلى عائلته في خان يونس. ولكنهم لم يفعلوا. وبعد يومين، قام الجيش الإسرائيلي في خان يونس بتسليم جثمان جواد إلى عائلته.

وقد علمت لاحقاً أنه بعد المؤتمر الصحفي، لم يعرف الطلاب ماذا يفعلون بالجثمان، فوضعوه في المقعد الخلفي لإحدى الشاحنات الصغيرة، وتركوه في مكان ما لبث أن اكتشفه الجيش الإسرائيلي. أما صائب، فقد علمت في وقت لاحق أن الطلاب الذين أخذوه تمكنوا من وضع جسده في وضعية جلوس في وسط المقعد الخلفي لسيارة تاكسي، وأنهم وضعوا نظارة شمسية على عينيه وقبعة رياضية على رأسه، ثم وضعوا رأسه على كتف الشخص الجالس قربه. وعندما اقتربوا من حاجز إيريتز، قاموا بتسليم الجندي بطاقة هوية صائب وقالوا له أن صائب كان مريضاً طيلة اليوم وأنه نائم. فأعاد الجندي الهويات ومضوا في طريقهم. وبفضل هؤلاء الشبان الشجعان، لم تعانِ عائلة صائب كما عانت عائلة جواد.

فيما أنظر إلى الوراء إلى هذه الأحداث كبالغ الآن، ينفطر قلبي عندما أفكر بهذا الجيل من الشباب الغض الذي لم يكن عليه تحمل موت الكثير من الأصدقاء فحسب، بل أيضاً تحمل مسؤولية الاعتناء بهم بعد الموت.

محمد أبو عرف (خريج سنة ١٩٨٧)، هاجر إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٨٩ وهو مدير قسم في شركة إيكوم للمياه AECOM Water.

الفصل السابع

تجنيد الأموال لبناء حرم جديد

حنا ناصر

لقد وفر الدعم المالي الذي تلقته جامعة بيرزيت من الأفراد والمؤسسات والحكومات على مدى سنين الإمكانية لبناء الحرم الجامعي، وتأمين استمرارية البرامج المختلفة وتقديم المنح للطلاب. وفي هذه المقالة، أود التركيز على النشاط الذي شغلني خلال فترة إبعادي القسري والطويل من فلسطين بين عام ١٩٧٤ وعام ١٩٩٣، وبعد عودتي إلى فلسطين أيضاً، وهو تجنيد الأموال من العالم العربي من أجل بناء الحرم الجامعي. بالتأكيد لم أكن وحيداً في هذا المسعى، بل شاركني فيه كثيرون، والحرم الجامعي الرائع الرابض فوق تلة مشرفة على بلدة بيرزيت شاهد على العمل الجماعي الذي بذله طاقم جامعة بيرزيت وعلى كرم العديد من أصدقائها الفلسطينيين والعرب. هذا الفصل ليس هو الرواية الكاملة، كما أنه ليس سرداً متسلسلاً زمنياً، بل أنه يهدف إلى إلقاء الضوء، وأحياناً سرد بعض الحكايات حول بعض الأعمال التي مكّنت بيرزيت من بناء الحرم الجامعي الحالي.

تم وضع حجر الأساس للحرم الجامعي الجديد في عام ١٩٧٦، حيث كان من المقرر إنشاء مبنى كلية العلوم أولاً، وذلك بتمويل جزئي من مؤسسة "الخبز للعالم" Brot für die Welt، وهي مؤسسة ألمانية. أما بقية التمويل فكان من عدة متبرعين، فلسطينيين وعرباً. وقد انتهت عملية البناء في عام ١٩٨١، مما شكل بداية مشجعة، ولكن بقي علينا بناء حرم جامعي كامل.

في أوائل عام ١٩٧٧، توجهت إلى المملكة العربية السعودية، حاملاً معي مخططات الحرم الجديد، حيث التقيت بأول مانح عربي كبير لنا في العالم العربي، عمر العقاد، وهو رجل أعمال يعمل في مجال الاستثمار والاتصالات، وهو من مدينة يافا، وقد اضطر بسبب النكبة للهجرة عن فلسطين والإقامة في بلد عربي آخر.

الصفحة المقابلة: وضع حجر الأساس للحرم الجديد، ١٩٧٦.

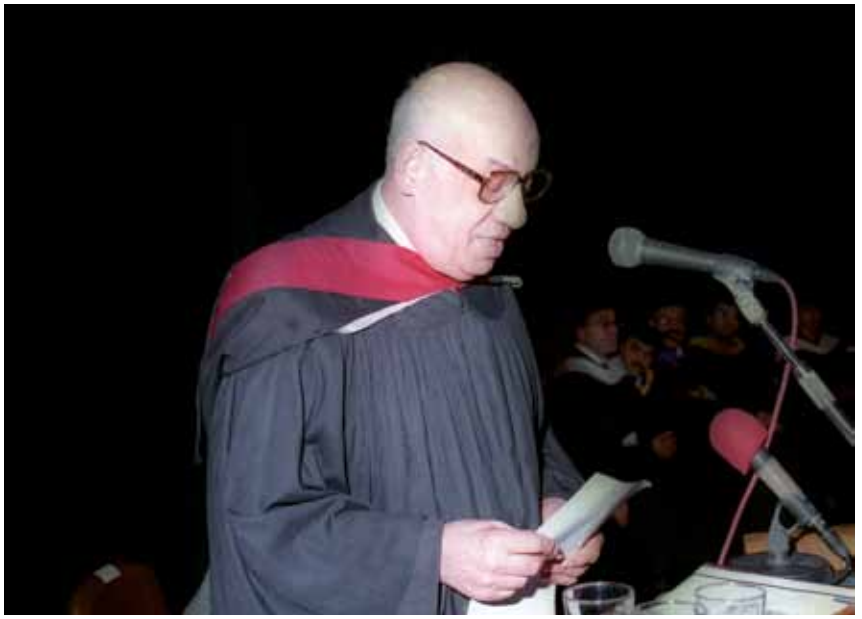

عبد المحسن القطان يلقي كلمة بعد نيله شهادة الدكتوراه الفخرية من الجامعة، ١٩٩٩. وقد تبرع بتكلفة بناء قاعة كمال ناصر.

بمجرد وصولي إلى اللقاء الأول معه، شعرت بجديته الشديدة. لاحظت أنه كان يضع ساعة توقيت محددة بعشر دقائق، فحكيت له حكاية بيرزيت في أقل من خمس دقائق، وقدمت له نشرة تتضمن المشاريع المختلفة للجامعة، حيث كان هناك أولوية لكلية الهندسة، والتي كانت تكلفة بنائها تقدر ب٢,٤ مليون دولار. وقد وعد بالنظر في الأمر. وقفلت راجعاً إلى الأردن دون وعود، ولكن كان هناك أمل. كان أخوه قد درس في كلية بيرزيت خلال المرحلة الثانوية، وكان يكن الكثير من الإعجاب لما حققته بيرزيت على مدى السنين.

وبعد شهرين، اتصل بي السيد العقاد في عمان وأبلغني أنه وزوجته سيتعهدان ببناء كلية الهندسة وأنني سأتلقى رسالة تأكيد على هذا الوعد الشفهي قريباً. وكان هذا إنجازاً كبيراً.

وتبين أن تقديراتنا لتكلفة البناء كانت تنقص عن التكلفة الحقيقية مبلغ ٣,٥ مليون دولار. كانت الجامعة ما تزال في المراحل الأولى من برنامجها الإنشائي، ولم تكن لديها خبرة كافية في تحليل التكلفة. ومع ذلك، فقد تولى السيد العقاد المشروع حتى النهاية. وفي أوائل التسعينات، قام بزيارة حرم الجامعة، وعبر عن فخره وسعادته لمشاهدة ذلك المبنى المهيب الذي يحمل اسمه، كلية عمر العقاد للهندسة.

كذلك جاء التبرع السخي الثاني من المملكة العربية السعودية، ولكن هذه المرة من حكومتها. فقد اقترح علينا بعض أصدقائنا من السعودية إرسال وفد من الجامعة للالتقاء بالأمير فهد، والذي كان على وشك تولي العرش آنذاك. وفي صيف عام ١٩٧٨، توجهت مع رئيس مجلس الأمناء توفيق أبو السعود إلى الرياض لهذا الهدف. وطلبنا اجتماعاً مع الأمير فهد، وأبلغنا بأن الرد سيأتي قريباً. وبعد اثنين وأربعين يوماً، تلقينا اتصالاً يفيد بأن الاجتماع سيعقد في اليوم التالي. وأبلغنا رئيس التشريفات أنه قد خصص للاجتماع خمس عشرة دقيقة فقط، فاتفقنا على الإيجاز في مطالبتنا بالدعم.

بدأ الاجتماع بمجاملة من رئيس مجلس الأمناء الذي قال أنه قادم من القدس حاملاً معه تحيات المدينة المقدسة. ثم تحدث الأمير عن اهتمامه وتعلقه بالقدس وفلسطين. وانتهى الاجتماع دون أن تسنح لنا أي فرصة للحديث عن بيرزيت أو عن الهدف من اللقاء.

واتصلت برئيس التشريفات في اليوم التالي سائلاً إياه عن أي نتائج للاجتماع، فأجابني بالنفي. وأصبت بالهلع من أن نكون قد أمضينا اثنين وأربعين يوماً في الانتظار دون فائدة. إلا أنه عاد واتصل بي بعد يوم وأبلغني بوجود شيك بقيمة خمسة ملايين دولار بانتظاري. كان هذا أمراً لا يصدق، فهو أكثر بكثير مما توقعت. لكنه كان دليلاً على كرم الأمير. وقد استخدم هذا المبلغ في دعم عمليات البناء بشكل عام وفي إقامة البنية التحتية للحرم الجامعي، وكذلك للنفقات الجارية لعدة سنوات. وقد كانت الجامعة في أمس الحاجة إلى هذا التبرع في تلك المرحلة من تطورها.

والتقيت في زياراتي اللاحقة إلى الرياض برجلي أعمال فلسطينيين هما زين الميّاسي ووليد القطان اللذين كانا يملكان شركة ناجحة للإعمار والتطوير.

وقد عبّر الرجلان عن اهتمامهما ببيرزيت وتعهدا بمبلغ ٨٠٠,٠٠٠ دولار لدعم أعمال بناء مبنى الإدارة. بعد ذلك، تكفل وليد القطان بمشروعٍ جديد، وهو إقامة مختبر العلوم الذي يحمل اسم زوجته هيلين، كما قام مؤخراً بدعم إنشاء مبنى وليد وهيلين قطان (الإدارة ٢). وفي وقت لاحق، عملنا معه على تطوير الخطط والبرامج لإقامة متحف للعلوم داخل حرم الجامعة، إلا أن الأزمة المالية العالمية التي اندلعت في عام ٢٠٠٩ أدت إلى تأجيل المشروع بشكل مؤقت.

وفي إحدى الزيارات اللاحقة للمملكة العربية السعودية، قام عمر العقاد بتعريفي على صديقه السعودي الشيخ حمد الحنطي، الذي قرر بناء كلية التجارة والاقتصاد بتكلفة تقدر بثلاثة ملايين دولارٍ. وقام الشيخ بدفع المبلغ فوراً، فهو إنسان مؤمن بالقضاء والقدر، وكان راغباً في الوفاء بوعده فوراً، خشية حدوث مكروه له في اليوم التالي!

وتم الانتهاء من تشييد المبنى في عام ١٩٩٣، وقرر الشيخ حمد إطلاق اسم صديقه عبد الرحمن الجريسي على المبنى. وقد شعرت بالأسى والحزن على رحيل الشيخ حمد بعد أشهر قليلة من افتتاح المبنى.

أما الساحة الرئيسية الأخرى لتجنيد الأموال لجامعة بيرزيت فكانت الكويت. فخلال رحلتي الأولى، سعدت بلقاء عبد المحسن القطان، أحد أبرز قيادات الجالية الفلسطينية في الكويت (والأخ الأكبر لوليد). وكان مهتماً بدعم بناء أحد المرافق إحياء لذكرى صديقه العزيز (وابن عمي) كمال ناصر، القائد السياسي والشاعر الذي اغتالته في بيروت عام ١٩٧٣ قوة كوماندوز إسرائيلية. فقام بدعم بناء قاعة كمال ناصر، وهي قاعة الاجتماعات الرئيسية في الجامعة التي تتسع لمائتين وثمانية وثمانين مقعداً، كما تحتوي على قاعة معارض تستخدم لأنشطة الجامعة والأنشطة المستضافة كذلك.

وخلال زيارة أخرى قمت بها للكويت لحضور مؤتمر عقد تحت رعاية جمعية الخريجين العرب الأمريكيين (منظمة قائمة في الولايات المتحدة)، استمعت إلى عرض رائع قدمه قتيبة الغانم، وهو رجل أعمال كويتي حائز على رخصة للبناء المعدني (كيربي). فطلبت لقاءه وعبرت له عن رغبتي في بناء مكتبتنا بالطريقة التي قام بوصفها. وقد رحب بالفكرة وقام بإرسال فريق من الخبراء من إيطاليا لإنشاء المبنى المعدني. ثم قمت بزيارته لاحقاً مرة أخرى لطلب مزيد من الدعم لإتمام المبنى (لتغطية المبنى المعدني بالحجر) فوافق فوراً. يضم المبنى المكتبة الرئيسية للجامعة ويحمل اسم والده يوسف الغانم.

وخلال الزيارة نفسها للكويت، تعرفت بالدكتور داود مساعد الصالح الذي كان يعمل في قطاع العقارات، وأخيه الذي كان محرراً لإحدى الصحف المحلية. وقد أبدى اهتماماً بالغاً بفلسطين وقدم تبرعاً سخياً باسم والده غطى تكلفة بناء جناح في مبنى العلوم. وقد عُين في وقت لاحق محافظاً لمدينة الكويت، وسنحت لي فرصة لقائه ثانية في عام ٢٠٠٨، بعد تقاعده من العمل الحكومي. كما واصل التزامه بالقضية الفلسطينية وتبرع بسخاء لإحدى مكتبات الجامعة التي تحمل الآن اسم والده.

في أوائل ثمانينات القرن الماضي، توجه وفد من أعضاء مجلس الأمناء بقيادة رئيس المجلس د. سعدي الفقيه إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث التقى بالشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم، حاكم دبي الذي وافق على تقديم منحة بلغت قيمتها ٢,٤ مليون دولار، وذلك لبناء مركز مجتمعي للطلاب وللخدمات. وقامت الجامعة بتحويل المبلغ إلى الدينار الأردني (وهو العملة المستخدمة في قطاع الإعمار). وقد خسر المبلغ جزءاً كبيراً من قيمته بشكل سريع مما اضطرّنا إلى وقف البناء.

انتهت سنوات منفاي التسع عشرة في نهاية عام ١٩٩٣. من الصعب وصف مدى سعادتي عندما رأيت شخصياً الحرم الجديد لدى عودتي، بعد أن كنت أرى صوره فقط في المنفى. كان مشهداً مؤثراً ومليئاً بالعواطف الجياشة. كان هناك ست بنايات هي كلية العلوم، وكلية عمر العقاد للهندسة، ومبنى الإدارة، وقاعة كمال ناصر، ومكتبة يوسف الغانم، ومبنى كلية التجارة والاقتصاد (في مراحله النهائية)، بالإضافة إلى مبنى المكتوم غير المكتمل. لم تكن بداية سيئة، لكن الجامعة لم تكن لتتوقف عند هذه المرحلة، فقد كانت هناك حاجة لمساحات إضافية من البناء لاستيعاب الارتفاع في عدد الطلاب الملتحقين وفي عدد البرامج التي يتم تدريسها.

وكان أول مشروع أتابعه لدى عودتي هو الحصول على تمويل لاستكمال العمل في مبنى المكتوم. فكتبت رسالة إلى الشيخ مكتوم شرحت فيها الوضع، فقام بتوفير التمويل اللازم لذلك. وهكذا انتهى العمل بالمبنى وتم افتتاحه في عام ١٩٩٩.

نسيب شاهين في افتتاح مبنى كلية الآداب. ٢٠٠٧. تصوير: ياسر درويش.

أما المهمة الأخرى التي قمت بمتابعتها فهي إقامة عيادة جامعية للتعامل مع حالات الطوارئ وتقديم الاستشارات الطبية العادية. وتبرع بالتمويل اللازم عزيز شاهين، وهو أحد أبرز المحسنين في رام الله. وتم إنجاز العيادة في آذار ١٩٩٨ (للأسف بعد وفاة عزيز شاهين عن عمر يناهز ١٠١ سنة). وخلال حفل افتتاح العيادة، قام نجله د. نسيب شاهين، وهو أستاذ في الأدب الإنجليزي في جامعة ممفيس في ولاية تينيسي الأميركية، بالتعهد شخصياً بتوفير التمويل اللازم لبناء كلية الدراسات العليا. وقد تم بناء الكلية بسرعة وافتتحت في عام ٢٠٠١. رحل د. نسيب شاهين في العام الماضي، بعيداً عن رام الله، بلده الحبيب.

أما شوقي شاهين، وهو أيضاً نجل عزيز شاهين ويقيم في الولايات المتحدة، فقد تبرع بسخاء باسم والده لبناء كلية الآداب التي كانت الجامعة في أمس الحاجة إليها. كما أسهم متبرعون آخرون في تقديم الدعم لاستكمال هذا المبنى، ومن بينهم لبنى عليان، و مروان السايح، وبسام أبو ردينة، وكريم عجلوني وزوجته، ومحمد بامية، ومحمد طربوش، وأفراد من الجيل الثاني في عائلة شاهين هم ديفيد شاهين، وجون وأنجيلا شاهين. وقد تم افتتاح المبنى في سنة ٢٠٠٧.

ومع إنجاز هذا المبنى، بات بإمكان الجامعة أن تعتز بوجود ثلاثة مبانٍ فيها بفضل التزام عزيز شاهين وأبنائه بالتعليم في فلسطين.

من بين أبرز المتبرعين لبيرزيت (وللعديد من المؤسسات الفلسطينية الأخرى) حسيب الصباغ، وهو من مدينة صفد. (وقد رحل للأسف خلال كتابتي لهذا الفصل). كان شريكاً رئيسياً في شركة المقاولون المتحدون (سي. سي. سي)، وهي إحدى أهم شركات الإعمار في العالم. وقد تبرع بسخاء لتأسيس مركز ديانا تماري الصباغ إحياءً لذكرى زوجته التي كانت قد رحلت قبل بضع سنوات. أما شريكه سعيد خوري، فتبرع أيضاً لمبنى دراسات التنمية الذي تم افتتاحه في حزيران ٢٠٠٩، وهو يضم كلاً من مركز دراسات التنمية، ومعهد الصحة العامة والمجتمعية، ومعهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية.

كانت الجامعة بحاجة إلى ملاعب لكرة القدم والأنشطة الرياضية الأخرى، فقام منير عطا الله، وهو رجل أعمال مقدسي معروف يقيم حالياً في عمان (وقد تعرفت إليه على مقاعد الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت) بتوفير التمويل للملعب الذي تم افتتاحه في تشرين الأول ٢٠٠٤. لكننا كنا أيضاً بحاجة إلى

حسيب الصباغ يفتتح مركز ديانا تماري الصباغ. ويظهر رئيس مجلس الأمناء درويش نزال، الرئيس حنا ناصر. ٢٠٠٠. تصوير: ياسر درويش.

قاعة رياضة داخلية، ولحسن الحظ، فقد تمكنّا من إنجازها بسرعة ومباشرة بعد افتتاح الملعب الرياضي. ففي عام ١٩٩٦، قام عمر العقاد بزيارة الجامعة مرة أخرى، وأحضر معه محمد عمران بامية، وهو من يافا. وقد أبدى إعجابه الشديد ببيرزيت وقام بالتبرع للعديد من المرافق خلال عدة سنوات. لكن تبرعه الرئيسي (ومعه صديقه وليد الكيالي) كان لبناء القاعة الرياضية المغلقة التي تم افتتاحها في عام ٢٠٠٦. كما قام مؤخراً بالتبرع لبناء محطة لتوليد الكهرباء باتت ضرورية بسبب تزايد عدد المباني في الحرم الجامعي.

في عام ٢٠٠٨، قام السيد يوسف نعواس وزوجته اللذان يملكان وكالة للسياحة والسفر في كاليفورنيا، بالتبرع بمنحة لأحد الطلاب من بلدته الأصلية الطيبة، بالإضافة إلى مختبر وجزء من متحف وصالة عرض للفنون الجميلة. السيدة نعواس لبنانية، وقد اكتشفت مؤخراً أن والدها الراحل حنا جرداق كان أستاذاً معروفاً لمادة الرياضيات في الجامعة الأميركية في بيروت، وأنه درّس والدي في عام ١٩١٤!

لقد ساعدتنا الحكومة الكويتية مؤخراً في بناء ملحق للمكتبة الرئيسية زاد من مساحتها بنسبة ٢٥٪. أما بنك التنمية الإسلامي، ومقره المملكة العربية السعودية، فقد وفر لنا قرضاً طويل الأمد لبناء سكن للطالبات في موقع قريب من الحرم الجامعي ويقع تحت إشراف الجامعة. وقدم الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية خلال العشرين سنة الماضية الدعم لمشروع في مجال استخدام المياه، وذلك بهدف الاستفادة من مياه الأمطار. ويتكونّ المشروع من بناء عدة آبار للمياه تحت الأرض، وبرج مائي، بالإضافة إلى البنية التحتية اللازمة لاستخدام مياه الأمطار، وهو مشروع مهم جداً، حيث إنه ساعدنا في التقليل من اعتمادنا على المصادر التجارية للمياه.

كما ساعدنا عدة أشخاص في إقامة مختبرات الحاسوب وفي بناء البنية التحتية، كالطرق داخل حرم الجامعة والغرف الصفية و القاعات. يجدر بي التنويه ببعض هؤلاء الأشخاص: الأول هو د. كمال الشاعر صاحب شركة دار الهندسة في الأردن، وهي شركة استشارية تعمل على مستوى عالمي، وقد كان دعمه محل تقدير. ومن بين هؤلاء الأشخاص سليم إدة، الذي يملك شركة متخصصة في التوقعات المالية، ومقرها بيروت ولها مكاتب في شتى أنحاء العالم. أود التنويه أيضاً ببسام جبر، رجل الأعمال الفلسطيني المقيم في السعودية، وسمير عويضة،

وزراء العدل القطري، والفلسطيني والفرنسي في افتتاح معهد الحقوق، الذي قامت بتمويل بنائه الحكومتان الفرنسية والقطرية، ١٩٩٨. تصوير: ياسر درويش.

افتتاح كلية التجارة والاقتصاد، ١٩٩٣. تبرع بتكلفة البناء عبد الرحمن الجيوسي. تصوير: ياسر درويش.

رجل الأعمال الفلسطيني المقيم في دولة الإمارات العربية، وعوني وهاشم فرسخ، وهما من بيرزيت ويعملان في دولة الإمارات العربية. يملك عوني شركة تدقيق حسابات. أما هاشم (والذي كان زميلي على مقاعد الدراسة في الثانوية) فهو يملك ويدير شركة استشارات هندسية.

في عام ٢٠٠٨، أسعدنا افتتاح مركز نجاد الزعني للتميز في الجامعة، وذلك بتمويل وتنفيذ مؤسسة أنيرا، وبهبة مقدمة من نجاد الزعني، وهو فلسطيني مقيم في دولة الإمارات العربية و يعمل في مجال بناء منصات ومرافق استخراج النفط والغاز في قاع البحر. والجدير بالذكر أنه قام بدعم إنشاء مشاريع مشابهة في جامعتين فلسطينيتين أخريين. وفي تلك السنة أيضاً، وبفضل جهود رئيس الجامعة نبيل قسيس، تلقينا منحة من الحكومة الفرنسية لإضافة ملحق إلى معهد الحقوق، مما مكن المعهد من مضاعفة مساحته تقريباً.

ورغم أن معظم الجهود الخاصة بتجنيد الأموال بذلها إما رؤساء مجالس الأمناء أو رؤساء الجامعة، فلا يسعني إلا أن أنوه بحالتين لعبت فيهما الهيئة التدريسية دوراً في الحصول على تمويل للبناء. الأولى هي معهد الحقوق، الذي تم افتتاحه في عام ١٩٩٨ بتمويل من حكومتي فرنسا وقطر. وقد توفر التمويل بفضل جهود د. كميل منصور، مدير معهد الحقوق آنذاك. أما الحالة الثانية، فهي مبنى معهد دراسات المرأة الذي تم بناؤه بتمويل من غرفة التجارة البحرينية في عام ٢٠٠٤، وذلك بفضل جهود السيدة آيلين كتاب التي كانت مديرة لبرنامج دراسات المرأة آنذاك.

في كانون الأول ٢٠٠٩، أنهت الجامعة العمل في مبنى كلية التمريض والمهن الصحية المساندة وذلك بفضل منحة سخية قدمها غالب يونس الذي كان مدرساً في بيرزيت في الخمسينات، ثم قام بتأسيس شركة مقاولات ناجحة في الكويت. كان د. قسيس قد عرف باهتمام السيد يونس بتطوير مهنة التمريض، فاتصل به وعرض عليه مقترح مشروع، مما أدى إلى تقديمه منحة تعدت مبلغ ٣,٧ مليون دولار.

نحن الآن بصدد بناء كلية التربية، بمساحة تبلغ ٥,٠٠٠ متر مربع، وذلك بتمويل من عدد من الأصدقاء الذين التقيت بهم مؤخراً في عمان. وهم متعاطفون بشكل

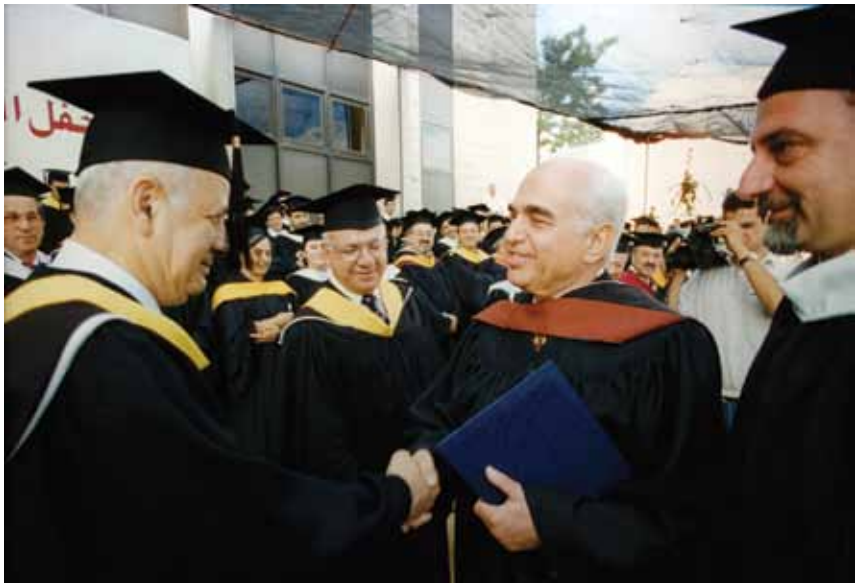

عمر العقاد، الذي نال شهادة الدكتوراه الفخرية عام ١٩٩٥. يظهر رئيس الجامعة حنا ناصر إلى اليسار ومدير مكتب العلاقات العامة ألبرت أغازريان إلى اليمين. قام السيد العقاد بتمويل بناء كلية الهندسة، والتي تحمل اسمه.

رئيس الجامعة نبيل قسيس يمنح خريج الجامعة طلال ناصر الدين جائزة الجامعة، ٢٠٠٦. تصوير: ياسر درويش.

كبير مع بيرزيت ويستخدمون في هذا المشروع المحدد اسم "أصدقاء جامعة بيرزيت في العالم العربي". من المتوقع الانتهاء من أعمال البناء في تموز ٢٠١٠. كما تلقينا مؤخراً تعهداً سخياً من السيد منيب المصري، وهو من كبار رجال الأعمال والمحسنين الفلسطينيين، وذلك لتشييد مبنى كلية تكنولوجيا المعلومات. ونقوم حالياً باستكمال التصاميم، والخطة أن يكون البدء بعملية البناء حوالي شهر تموز٢٠١٠.

كما أشرت في المقدمة، فإن هذا الفصل هو مجرد إضاءة على المحسنين الكرام الذين ساعدوا في توفير المساحة لآلاف الطلاب الفلسطينيين تحت الاحتلال، وأتاحوا لهم فرصة التحصيل العلمي من الدرجة الأولى. لا شك في أن قصتنا هي قصة كدٍّ ونجاح. ما تزال الجامعة تبحث عن تمويل لمشروعين رئيسيين، هما مبنى كلية القانون والإدارة العامة، وقاعة كبيرة قادرة على استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب واستضافة شتى البرامج الداخلية والعامة للجامعة. وبعد أن ننجز هذين المبنيين، يمكننا الاطمئنان إلى أن المرحلة الهامة الأولى من بناء الحرم الجامعي قد أنجزت، ويتعين علينا آنذاك التخطيط للمرحلة الثانية. لكن تلك رواية أخرى، نأمل أن تكون قصة نجاح أخرى يتم سردها عليكم.

افتتاح حديقة للطلاب بتمويل من جمهورية ألمانيا الفدرالية، ٢٠٠٧. تصوير: ياسر درويش.

مركز نجاد الزعني للتميز في تكنولوجيا المعلومات، تأسس من أجل تشجيع البحث والتطوير، والابتكار والتدريب، والخدمات الاستشارية في تكنولوجيا المعلومات، وبناء جسر بين الجامعة والمجتمع المحلي. هذه المنحة السخية لم تغطِّ تكلفة البناء والتأثيث والتجهيز فحسب، بل أنها تسهم في تشغيله وإدارته لمدة سنتين. تصوير: ياسر درويش.

الفصل الثامن

بيرزيت والمجتمع الدولي

روجر هيكوك

منذ تأسيسها، كانت بيرزيت مشروعاً وطنياً، وبقيت كذلك لدى تطورها إلى جامعة. فقد نجحت في المزج بين أصالة المؤسسة الفلسطينية والعربية، وبين انفتاح المراكز التي تتقاطع فيها الثقافات العالمية. لقد تأسست الجامعة بالرغم من الاحتلال الإسرائيلي وليس بفضله، فكان لزاماً عليها ابتكار الوسائل للتغلب على العقبات. من هنا، طالما كانت العلاقات الدولية محل ترحاب، حيث إنها مصيرية لبقاء الجامعة وتطورها، كما أنها كانت علاقات مهمة لشركائها الدوليين، الذين انغمسوا في العمل من أجل ما اعتبروه قضية نبيلة.

طالما جمعت بيرزيت بين صفات المؤسسة المحلية الخالصة من حيث التزامها الثابت بالمجتمع المحلي، وبين ما هو عالمي بامتياز، أي أن المحلي والعالمي في هذا المكان يكمّلان بعضهما البعض. فلمعسكرات العمل الدولية التي تقام في حرم الجامعة مع امتداد في المجتمع المحلي تاريخ طويل، ومميز ومستمر.

لعبت الجامعة، ولعقود، دوراً في الأحداث المرتبطة بالقضية الفلسطينية، على المستويات المحلية، والإقليمية والدولية، كما كانت مسرحاً لبعضها. وقد تمكنت الجامعة بسبب ذلك من إقامة علاقات مع مؤيدي رسالتها من كل أصقاع الأرض من أفراد، ومؤسسات (في الغالب جامعات) ومناطق جغرافية كانت تضم شعوباً قادرة على التماهي مع الوضع الفلسطيني، مثل جنوب إيطاليا، واسكتلندة، وجنوب أفريقيا. كما كانت تتلقى الدعم والتأييد من المؤسسات، كالحكومات، والأحزاب السياسية، والمنظمات الأهلية التي كانت تتحرك بدافع من قناعاتها السياسية التقدمية، مثل البلديات الفرنسية. كذلك أدى دعم المعسكر السوفييتي لتحرر العالم الثالث، حتى نهاية الحرب الباردة، إلى توطيد العلاقات مع الجامعة، وهيئتها التدريسية وطلابها.

المؤتمر الدولي حول الدبلوماسية الذي استضافته جامعة بيرزيت عام ٢٠٠٧. من اليسار إلى اليمين: ألين ريمي، القنصل العام الفرنسي في القدس؛ د. روجر هيكوك، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، وخورخي توريس بيريرا، ممثل البرتغال لدى السلطة الوطنية الفلسطينية. تصوير: ياسر درويش.

الصفحة المقابلة: تصوير: ياسر درويش.

كانت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرئيسية للتدريس منذ أن أصبحت بيرزيت كلية متوسطة، لكن هذا الأمر بدأ بالتغير التدريجي منذ أوائل الثمانينات، حيث رافقت عملية التعريب النمو السريع لبيرزيت. وكجامعة قائمة في الأساس من أجل طلابها، تكيفت بيرزيت مع تزايد عدد الطلاب القادمين من الريف ومن المخيمات، فساعدتهم على تخطي واقعهم ليصبحوا مفكرين ناضجين وتقدميين يشكلون النخبة الوطنية والثقافية لفلسطين. وقد لعبت العلاقات مع العالم الخارجي، في ظل تزايد القيود على سفر الطلاب إلى الخارج دوراً رئيسياً في ضمان استمرارية ونجاح العملية التعليمية. يصعب على المرء إيجاد مثيل لبيرزيت بين مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي وحتى خارجه، من حيث كونها قائمة من أجل خدمة أفضل الطلاب بصرف النظر عن أصولهم الاجتماعية، ووعيها في نفس الوقت لمستلزمات المحافظة على موقعها وتعزيزه كلاعب هام في العالم الأكاديمي.

دور أعضاء الهيئة التدريسية الأجانب

لعب أعضاء الهيئة التدريسية الأجانب دوراً تعليمياً هاماً في المراحل الأولى ينبغي استذكاره. فقد كان الفلسطينيون في الأرض المحتلة يحتاجون للعديد من السنوات حتى يتمكنوا من تغطية حاجات الجامعة من الهيئة التدريسية بشكل كامل، وكانت سلطات الاحتلال تفرض قيوداً أكبر من تلك التي تفرضها اليوم على استقدام الفلسطينيين من خارج الأرض المحتلة. وقد لعب العديد من الأساتذة الأجانب أدواراً حيوية في مجالات أكاديمية متعددة مثل كاثي جلافانيس Kathy Glavanis (علم الاجتماع وعلم الإنسان)، وبيتر هيث Peter Heath (الأدب العربي)، وليتون برات Leighton Pratt (اللغة الانجليزية) وتوميس كابيتان Tomis Kapitan (الفلسفة). ويستحق هيو هاركورت Hugh Harcourt، أستاذ الفلسفة والدراسات الثقافية من عام ١٩٧٧ إلى ١٩٨٦ التنويه الخاص، حيث إنه ساعد على وضع البرامج الأكاديمية وتدريب العديد من أعضاء الهيئة التدريسية المستقبليين (وبعضهم كان قد درس معه في الجامعة الأميركية في بيروت). وبعد منتصف الثمانينات، لم يعد من الضروري جلب المزيد من الأساتذة الأجانب لكي يحلوا محل من يغادرون.

التضامن الدولي

كان مكتب العلاقات العامة في مرحلة ما قبل أوسلو، نقطة ارتكاز للجهود المتسقة الهادفة إلى حماية مجتمع الجامعة ووجودها كمؤسسة. وكان ألبرت أغازريان، وهو فلسطيني أرمني مقدسي، هو صوت هذا المكتب لمدة طويلة من الزمن. وبقيادته، أصبح هذا المكتب (الذي كان في كثير من الأحيان افتراضياً بسبب أوامر الإغلاق المتكررة ولفترات طويلة) وطاقمه الذي كان يضم إحدى الشخصيات الأجنبية التي لعبت دوراً محورياً في ذلك الوقت وهي بيني جونسون، مركزاً لقرع أجراس الإنذار في أنحاء الأراضي الفلسطينية المحتلة، وفي المنطقة وعلى الساحة الدولية أيضاً. كما كان هذا المكتب مدخلاً لجزء كبير من أعمال التضامن. كم من الوفود والمسيرات، والمظاهرات نظمت، وبكم لغة خاطب ألبرت والآخرون أولئك المشاركين؟ كان مكتب العلاقات العامة يتولى التغطية الإعلامية وشكل مركزاً للعلاقات الدولية، بما فيها العلاقات الأكاديمية مع الجامعات الأخرى. كما شكل المكتب خلية نحل لبذل الجهود من أجل حشد الدعم المحلي والدولي للطلاب والأساتذة المعرضين للملاحقة أو الاعتقال على أيدي الاحتلال. وكان هذا الدعم يأتي إما من طاقم الجامعة أو من الأطر القانونية الدولية، ومن بينها لجنة الحقوقيين الدوليين، ومقرها جنيف – سويسرا.

وكان للعلاقات الدولية أهمية في بقاء بيرزيت مفتوحة وفي إعادة فتحها عند إغلاقها المتكرر. فبسبب خلفيات الطلاب، ومحدودية قدراتهم، والقيود المفروضة على حركتهم، فإنهم لم يكونوا قادرين على تولي قيادة هذا العمل. لذا، كان أعضاء الهيئة التدريسية والطاقم الإداري يبادرون للاتصال بالجهات الدولية التي لديهم علاقات معها، وخصوصاً في العالم الأكاديمي، والذين كانوا بدورهم يحاربون من أجل إبقاء شعلة بيرزيت ورسالتها التعليمية والوطنية حية، وذلك باسم الحق في التعليم الذي تكفله كافة المواثيق الدولية.

بعد حرب الخليج عام ١٩٩١، بدأت العلاقات العامة بالانفصال عن العلاقات الأكاديمية. وفي هذه الحقبة الجديدة، أصبح الإغلاق بسبب الأوامر العسكرية أمراً نادر الحدوث (رغم أن الاعتقالات، والقيود على الحركة، والحواجز لا تزال تعيق الجامعة حتى الآن). هذا الوضع، إضافة إلى الأجواء السياسية التي شهدت انفراجاً تدريجياً وإن كان متقلباً (رغم أن الاحتلال وقمعه ظل هو القضية الكبرى التي يواجهها المجتمع ومؤسساته)، أدى إلى تغييرات بنيوية في العلاقات

الدولية لبيرزيت. كما أن هذا التغيير يعود أيضاً إلى الدعم الدولي الواسع الذي حظيت به بيرزيت وتنامي سمعتها الأكاديمية. وأخيراً فإن هذه التوجهات الجديدة كانت مستندة إلى التجربة السابقة وإلى التصميم بعدم السماح لنظام الإغلاقات الجديد بأن يلقي بظلاله على العملية التعليمية مرة أخرى.

من التضامن إلى التعاون الأكاديمي

كان التعاون العلمي الدولي في الأساس مرتبطاً باعتبارات التضامن وخاضعاً له بحكم الظروف. بدأ التحول التدريجي حتى قبل توقيع اتفاقية أوسلو في عام ١٩٩٣، وقد لعب إبراهيم أبو لغد، الذي كان قد عاد إلى الوطن وانضم إلى دائرة العلوم السياسية في عام ١٩٩١ دوراً هاماً في هذا التحول. فقد أصبح صديقه الحميم وزميله إدوارد سعيد ضيفاً مألوفاً في الجامعة، محاضراً ومشاركاً في المؤتمرات. لقد أدت الانتفاضة الأولى (١٩٨٧–١٩٩٣) والقمع الوحشي الذي واجهته إلى تحسن ملحوظ في العلاقات الأكاديمية الدولية، وذلك بسبب الدعم العالمي الذي حققته الانتفاضة للقضية الفلسطينية والعلاقات المختلفة التي توثقت مع مرور الزمن، وقد يكون في ذلك مفارقة. من الأمثلة على ذلك برنامج التعاون الأكاديمي الفلسطيني الأوروبي PEACE، وهو مبادرة مشتركة أطلقت عشية حرب الخليج سنة ١٩٩١، وانطلقت من العلاقة بين بيرزيت ومجموعة كويمبرا Coimbra والتي تضم أعرق وأهم الجامعات في أوروبا. وأصبحت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) الراعي لهذا الائتلاف، مما شكل نموذجاً للشراكة الثلاثية. وانطلاقاً من ذلك، تعززت العلاقة من ناحية كمية ونوعية، وخصوصاً من خلال الاتفاقيات والأنشطة التي نفذت في التدريس، والأبحاث، والتبادل للطلاب والباحثين والأفكار.

منذ عام ١٩٩٢، ابتدأت المؤتمرات الأكاديمية الدولية الجامعية الشاملة في مجالي العلوم والعلوم الإنسانية بالانعقاد بشكل سنوي، وهي تتناول شتى المواضيع وتهدف إلى تعزيز المعرفة مع الأخذ في عين الاعتبار خصوصية الوضع الفلسطيني والاحتياجات بعيدة المدى في نفس الوقت. وقد أصبحت هذه المؤتمرات أحداثاً سنوية يشارك فيها باحثون من كافة أنحاء البلاد والعالم، إضافة إلى الهيئة التدريسية لبيرزيت. وتؤدي هذه المؤتمرات من ناحية إلى إنتاج جملة من الإصدارات الهامة، كما أنها تؤدي إلى توثيق علاقات بيرزيت الدولية

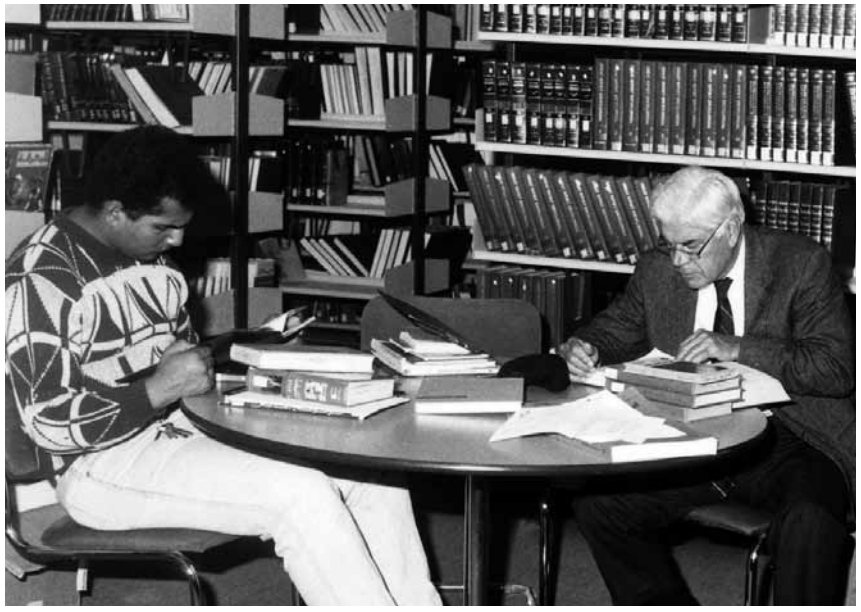

د. إبراهيم أبو لغد (إلى اليمين) في المكتبة الرئيسية. قال إدوارد سعيد عن أبو لغد: «إن كل عربي أميركي تقريباً يحارب الصورة النمطية العنصرية، والعنصرية الإيديولوجية التي يعاني منها الفلسطينيون، والعداء الدائم للإسلام. ندين بالكثير لإبراهيم فهو بدأ النضال وبالنسبة لمعظمنا، فهو في الأصل جعل النضال ممكناً. ... فيما يتعلق بشرح قضية فلسطين، فإنني أعتقد أن إبراهيم سيظل نموذجاً للمرء الذي يكرس نفسه لفكرة - ليس بمعنى الانحناء أمامها، بل بمعنى أن يعيشها ويعيد بحثها بشكل متواصل». تصوير: ياسر درويش.

الأستاذ نعوم تشومسكي، من معهد ماساتشوستس للتقنية MIT يخاطب طلاب بيرزيت، ١٩٩٧. د. محسن يوسف (دائرة التاريخ والآثار) إلى اليسار؛ رئيس الجامعة حنا ناصر إلى اليمين. تصوير: ياسر درويش.

بفضل علاقاتها الناضجة مع العالم الأكاديمي. فقد قامت بيرزيت بنشر الدوريات والدراسات والكتب باللغتين العربية والإنجليزية، بمشاركة مفكرين محليين عالميين. من بين هذه المنشورات:
Palestine at the Crossroads (1990); The Frankish Wars and their Influence on Palestine (1994); Equivocal Poetry: Landscape Perspectives on Palestine (1999); The Becoming of Returnee States: Palestine, Armenia, Bosnia (2000); Political Transitions in the Arab World (2001-2002); and The Palestinian Refugees in Comparative Perspective (2008).

تصوير: ياسر درويش.

من ناحية أخرى. وأصبحت الجامعة بمختلف كلياتها ومعاهدها وتخصصاتها مقصداً بارزاً للطلاب والأساتذة الباحثين عن مواقع وشركاء لإجراء أبحاثهم. وقد استمرت هذه الأنشطة الدولية الأكاديمية والعلمية وتواصلت إصداراتها خلال الانتفاضة الثانية (٢٠٠٠-٢٠٠٤)، حتى عندما كان الطريق إلى الجامعة مغلقاً بالسواتر والحواجز العسكرية. فقد شارك الكثير من الأساتذة، والباحثين والكتاب الأجانب في المؤتمرات والورشات، أذكر منهم على سبيل المثال الروائي جوزيه ساراماغو الحائز على جائزة نوبل.

واليوم، تعمقت علاقات بيرزيت مع المجتمع الدولي أكثر من أي وقت مضى. ما من حاجة إلى ذكر القائمة الطويلة للجامعات التي تربطها ببيرزيت علاقات أكاديمية. فرئيس الجامعة، ونائب الرئيس للشؤون الأكاديمية (مكتب التطوير الأكاديمي)، وعمداء الكليات، ومدراء المعاهد وحتى الطلاب أنفسهم يسهمون في إقامة العلاقات الدولية التي تتعاظم بطريقة تسهل الحركة، والأبحاث والنشر للباحثين وللطلاب على حد سواء. ومن بين أهم البرامج الثنائية والمتعددة التي تشارك فيها الجامعة شبكات تمبوس Tempus الأكاديمية المتعددة الأطراف والمتعددة المؤسسات، والتي تضم الجامعات الأوروبية تحت رعاية الاتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى الاتفاقيات المبرمة مع النرويج، وسويسرا، وكندا وغيرها، وكذلك مع ائتلاف من الجامعات الفرنسية. كما تعززت علاقات بيرزيت خلال السنوات القليلة الماضية بجامعات العالم الثالث، حيث إن هناك تعاوناً قائماً مع العلماء والمفكرين من الشرق الأوسط، وأفريقيا، وجنوب آسيا وأميركا اللاتينية. وقد تعمدت عدم سرد قائمة شاملة لكل هذه العلاقات والاكتفاء بلمحة تعكس صورة التطور الكبير الذي حدث مؤخراً في العلاقات الأكاديمية الدولية للجامعة.

الفرص والمخاطر

يترافق الوضع الراهن للجامعة والذي يتسم بوجود هذه الشبكة العالمية من العلاقات التي انخرطت فيها جامعة بيرزيت، مع جملة من الفرص وعدد من التحديات، إن لم نقل المخاطر. فالحسنات واضحة للجميع، من حيث تزايد عدد البرامج، والمراكز والمعاهد التي تتناول قضايا رئيسية في مجالات حقوقية عامة كالقانون، والنوع الاجتماعي، والديمقراطية، وتتناول أيضاً الفيزياء، وتكنولوجيا المعلومات، والمياه والتمريض في مجال العلوم، والدراسات الدولية، والصحة العامة، والإعلام والعلوم الاجتماعية. إن التحديات الماثلة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالفرص القائمة، وهي تتعلق بجذب التمويل الدولي وبالأجندات الدولية التي لا تتطابق دائماً مع أجندة الشعب الفلسطيني، وخصوصاً في محطات تاريخية معينة. فالإغراء المادي يجعل من الصعب مقاومة العروض التي يقدمها بحسن نية أعضاء العالم الأكاديمي وداعموه من القطاعين الحكومي والخاص في أحسن الأحوال (ومن المعروف أن هذا ينطبق على الجامعات أينما كانت). والخطر الماثل هنا هو تزايد الاعتماد على المانحين الدوليين إلى درجة الاغتراب المحتمل عن القاعدة الاجتماعية المحلية. إن المعادلة معقدة، فاتخاذ الهيئة التدريسية والإدارة القرار حول قبول أو رفض أحد المشاريع ليس بالأمر السهل.

حتى الآن، ما يزال سجلّ بيرزيت إيجابياً، وسياستها واضحة: نسعى سعياً حثيثاً للحصول على الدعم الدولي ونرحب به طالما أنه ينسجم مع أولوياتنا.

وينطبق المبدأ نفسه على مجال التبادل الأكاديمي والتعاون العلمي، ويتم التعبير عنه بوضوح من خلال التبادلية: فبيرزيت توافق على المشاريع التي يمكنها فيها أن تعطي (بنفس القدر، وإن بطرق غير ملموسة) كما تأخذ. نعمل كأعضاء في فرق أو شبكات تتخطى الحدود القومية ونتحرك في جميع الاتجاهات. لقد ذهبت تلك الأيام التي كانت فيها بيرزيت مجرد متلقٍ للمساعدات الدولية عن طريق التضامن أو الدعم الأكاديمي. لم ينته التضامن (ومنظمة "أصدقاء جامعة بيرزيت" البريطانية هي خير مثال على ذلك)، ولأن الطريق إلى تقرير المصير لفلسطين وشعبها ومؤسساتها التعليمية ما زال طويلاً، فإنه من غير المرجح أن يزول هذا التضامن. إلا أن جامعة بيرزيت كانت تسعى دائماً إلى التأكيد على قدراتها الخاصة، وقد تمكنت من خلال نضال مرير وطويل على مدى العقود الأربعة الماضية، ومن خلال إصرارها على توثيق وتنويع صلاتها مع المجتمع الأكاديمي في شتى أنحاء العالم، من أن تصبح عضواً فعالاً وشريكاً مساوياً في المؤسسة الأكاديمية الدولية.

وزير المخابرات في جنوب أفريقيا رونالد كاسريلز يخاطب أبناء جامعة بيرزيت، ٢٠٠٧. طالما تحدث كاسريلز عن التشابه بين السياسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة وبين الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. تصوير: محمد عوض.

الرئيس بالوكالة جابي برامكي يندد بإغلاق الجامعة في مؤتمر صحفي عام ١٩٨٤. يظهر مدير مكتب العلاقات العامة ألبرت أغازريان إلى اليمين.

الرعيل الأول من المساندين

عندما تم إبعاد حنا ناصر في عام ١٩٧٤، عرض أستاذ الفيزياء الإسرائيلي المعروف دانيال عميط التدريس مكانه تعبيراً عن تضامنه. أصبحت بيرزيت في ذلك الوقت منارة جذابة للإسرائيليين. فاليسار كان منقسماً جداً كالعادة، لكنه وجد لنفسه في بيرزيت قاسماً مشتركاً. أعتقد أن دور اليهود الذين دافعوا عن بيرزيت يستحق أن يشكل جزءاً من سجلنا هذا. (تشكلت اللجنة الإسرائيلية للتضامن مع بيرزيت رداً على الأمر العسكري رقم ٨٥٤، وشكل عميط "عنصراً حاسماً" في تشكيلها، على حد تعبير أحد أعضاء اللجنة - ملاحظة من المحرر).

في عام ١٩٨٢، وفي أعقاب الاجتياح الإسرائيلي الثاني للبنان، قام بزيارتنا بول كيسلر Paul Kessler، وهو أستاذ في الفيزياء في "الكوليج دو فرانس" College de France، وسونيا دايانSonya Dayan، وهي عالمة اجتماع من جامعة باريس. وكان كيسلر ناشطاً من أجل حرية الأكاديميين السوفييت واليهود. ومع حلول عام ١٩٨٢، أدرك أنه من غير الممكن دعم حرية التعليم للسوفييت دون القيام بالشيء نفسه تجاه الفلسطينيين. لذا، قام بتأسيس "رابطة التضامن مع بيرزيت". وأبلغه وزير العلوم الإسرائيلي في ذلك الوقت، يوفال نيمان (والذي كان أيضاً من مؤسسي حزب هاتحيا ومعادٍ لاتفاقيات كامب دافيد) أنه على الرغم من أنهما غير متفقين سياسياً، إلا أنه سينظر في أية حوادث محددة يتم تبليغه بها. وهذا ما فعله كيسلر بالضبط، حيث قام بكتابة تقارير بالغة الدقة عن انتهاكات محددة ترتكب ضد التعليم الفلسطيني وقام بتسليمها لنيمان للتعامل معها.

ألبرت أغازريان (خريج عام ١٩٧٠)، مدير مكتب العلاقات العامة في جامعة بيرزيت من عام ١٩٧٩ وحتى ٢٠٠٢.

مجتمع يصنع مصيره بيده

بدأت فكرة التوجه إلى بيرزيت بعد عودة زوجتي، نانسي من معسكر العمل التطوعي الدولي الثامن المنعقد في مدينة الناصرة، وفي جعبتها قصص التضامن الدولي مع الشعب الفلسطيني. كان التدريس في جامعة بيرزيت يمنحني فرصة للتعبير عن تضامني والمساهمة بشكل ملموس في تحسين معيشة الشعب الفلسطيني الرازح تحت احتلال وحشي وغير قانوني. وصلت وعائلتي في خريف عام ١٩٨٥ وبقيت هناك مدة أربع سنوات، وهي فترة أعتبرها واحدة من أكثر مراحل حياتي إمتاعاً وإشباعاً رغم كل الصعاب اليومية.

كانت بيرزيت قد أصبحت المؤسسة الوطنية الأولى للتعليم العالي. وكانت هيئتها التدريسية متميزة رغم العقبات الدائمة التي كانت تضعها إسرائيل في طريقها. وقد شكلت سمعة الجامعة عنصراً أساسياً ساعدها على التوصل إلى اتفاقيات مع العديد من الجامعات، مثل جامعة أمستردام. مع نهاية شهر تشرين الثاني ١٩٨٧، توجهت إلى الولايات المتحدة لحضور مؤتمر رابطة دراسات الشرق الأوسط، حيث قمت بتقديم بحث كنت قد أنهيته لتوي. وفي طريق عودتي، توقفت في أمستردام، حيث ألقيت محاضرة أمام جمع من الطلاب والأساتذة في جامعة أمستردام. وفي وقت لاحق من المساء، عقدت اجتماعاً آخر مع مجموعة أصغر من أعضاء الهيئة التدريسية. ثم التقيت بمجموعة من الطلاب كان لديهم نشاط في وقت متأخر من الليل، وقد أبلغني أحدهم أن طائرة شراعية قد نجحت في اجتياز الأجواء في الحدود الشمالية. وقد أدى هذا الحادث إلى العديد من التطورات المأساوية المتلاحقة في أوائل شهر كانون الأول والتي توّجت باندلاع الانتفاضة.

أغلقت السلطات العسكرية الإسرائيلية جامعة بيرزيت بعد ذلك بوقت قصير. واضطرت الإدارة، والهيئة التدريسية والطلاب إلى التعامل مع شكل آخر من الإغلاق ومع التحدي المتعلق بالتقليل من آثار ذلك الوضع على التعليم العالي. في النهاية، تم استئجار بيوت وشقق في محيط رام الله، فأصبحت غرف النوم غرفاً صفية، وتم تحويل المطابخ إلى مختبرات، وغرف المعيشة إلى قاعات للمحاضرات. كان المطلوب إيجاد حلول حيوية ومرنة، وقد نجحت بيرزيت في ذلك. إن الطاقات الإبداعية والواثقة التي أطلقتها الانتفاضة شكلت تحدياً للافتراضات السائدة حول المجتمع الفلسطيني. بالنسبة لمؤرخ مثلي، كان أمراً استثنائياً أن أشهد (وأن أشارك) في تحرك مجتمع نحو تقرير مصيره بنفسه. وقد شكلت هذه الفكرة أساس بحث بدأته في صيف عام ١٩٨٨، وهو عبارة عن جمع أفكار، وانطباعات، وآراء الشبان الذين "قادوا الشارع الفلسطيني". أجريت مئات الساعات من المقابلات الشفوية مع

أجبرت الحواجز الإسرائيلية الطلاب والعاملين في الجامعة على سلوك طرق بديلة للوصول إليها. تصوير: ياسر درويش.

«خلية للتعليم غير القانوني»، وهي إحدى الطرق المبتكرة الكثيرة التي استخدمت خلال إغلاق الجامعة الذي دام واحداً وخمسين شهراً.

عقدان من الاحتلال: من المقاومة إلى الانتفاضة
٢٥-٢٦ آذار ١٩٨٨

نظم المؤتمر جمال نصار (رئيس لجنة البرنامج) وموسى البديري ومحمود إبراهيم، وزياد أبو عمرو، وعيسى مصرية، وألبرت أغازريان، وبيني جونسون، وجورج جقمان. وضم المشاركون الدوليون كلاً من جون بونزل John Bunzl، من المعهد النمساوي للدراسات الإستراتيجية، ونيلز بوتنشون Niels Butenschon من جامعة أوسلو، وجان بول شانيولو Jean-Paul Chagnollaud من جامعة نانسي، وريتشارد فولك Richard Falk من جامعة برينستون، وبندليس جلافانيس من جامعة ديرهام، وبيتر غران Peter Gran من جامعة تيمبل، وألان غريش Alain Gresh من صحيفة لوموند ديبلوماتيك، وهيرب كيلمان Herb Kellman من جامعة هارفارد، وشيريل روبنبيرغ Cheryl Rubenberg من جامعة فلوريدا الدولية، وإدوارد سعيد من جامعة كولومبيا، وإيليا زريق من جامعة كوينز.

الشبان الفلسطينيين، رغم كل المخاطر، وقد شكلت هذه المادة أساساً لمؤتمر دولي وكتاب (من تأليف طوم ريكس وعادل يحيى) حول التاريخ الشفوي للانتفاضة (من يصنع التاريخ: التجربة الفلسطينية في التاريخ الشفوي).

يعاني التعليم عادة في ظل الاستعمار. وقد أظهر التاريخ أن الاستعمارين البريطاني والفرنسي أغلقا أو تسببا بتأخر المؤسسات التعليمية الوطنية بشكل قسري. فالحقيقة هي أن تعلّم الشعوب هو في عكس مصالح الاحتلال. وإن مجرد وجود جامعة بيرزيت يشكل تحدياً للاحتلال. إن توفير التعليم الجيد يشكل جزءاً من رسالتها. و هذا أمر نسعى لتحقيقه رغم الإغلاقات، ومنع التجول، والسواتر، والحواجز التي توضع في طريقنا، علاوة على المخاطر الأخرى للعيش في ظل الاحتلال. (مثلاً، بلغت عقوبة المشاركة في اللجان الشعبية للتعليم عشر سنوات من السجن). لكن كان على جامعة بيرزيت مسؤولية أخرى هي تثقيف المجتمع الأوسع أيضاً. وهذه هي الروح التي دفعت د. نبيل قسيس إلى دعوتي مع عدد من أعضاء الهيئة التدريسية لمناقشة إمكانية عقد مؤتمر حول الانتفاضة وآثارها التاريخية. فقد أصبحت الانتفاضة، كحركة اجتماعية وأحد أشكال المقاومة اللاعنفية ضد الاحتلال الإسرائيلي، مفصلاً هاماً في تاريخ فلسطين الحديث، وإن نجاح المؤتمر كان أمراً هاماً، ليس للجامعة فحسب، بل للانتفاضة أيضاً. وتم تنظيم المؤتمر تحت رعاية جامعة بيرزيت، وكانت مسألة ضمان نجاحه مسؤولية كبيرة بسبب عدوانية سلطات الاحتلال الإسرائيلي تجاه جامعة بيرزيت ورسالتها التعليمية ضمن معاداته لكل ما هو فلسطيني.

وعقد المؤتمر في القدس، في ٢٥-٢٦ آذار ١٩٨٨ تحت عنوان "عقدان من الاحتلال: من المقاومة إلى الانتفاضة". وكان من بين المتحدثين الراحل إدوارد سعيد، وكان يفترض أن تكون تلك هي أول عودة له إلى أرض الوطن. في النهاية، تم تبليغه أن السلطات الإسرائيلية لن تمنحه تأشيرة دخول ولم يتمكن من الحضور. لكن المشاركين استمعوا إلى كلمته مسجلة على شريط، في تذكير حاد لظلم الاحتلال. وشارك لفيف من المفكرين المحليين والعالميين في تلك النقاشات التي استمرت ليومين، وتُوِّجت بطاولة مستديرة لتقييم الانتفاضة. كان المؤتمر ناجحاً ومثمراً. وبسبب الظروف التي أحاطت بحضور المؤتمر، فقد شكل إنجازاً كبيراً ومصدراً إضافياً للفخر والاعتزاز خلال الشهور الأولى للانتفاضة. فعلى الرغم من الهجوم الحاد، فإن إصرار بيرزيت والفلسطينيين ساهم في كسر شوكة الاحتلال. لقد قدمت لي بيرزيت الفرصة، وكنت هناك لكي أشهد، وأشارك وأساهم. إن التجارب التي خضتها وعائلتي خلال وجودي في بيرزيت ساهمت في تشكيل حياتنا من جديد، وخلقت رابطاً لا ينكسر.

محمود إبراهيم، أستاذ في التاريخ في جامعة بوليتكنيك كاليفورنيا، بومونا California State Polytechnic University.

أصدقاء بيرزيت في بريطانيا: مذكرات شخصية

شكل لقاء حدث صدفة في شوارع القدس إلى إقامة علاقة وطيدة ودائمة مع جامعة بيرزيت. ففي عام ١٩٨١، كنت أحضر دورة تحت عنوان "فلسطين يسوع" في كلية المطران في القدس. وكنت أتجول في البلدة القديمة في إحدى أمسيات شهر رمضان الممتلئة حركة، حيث كنت مدعواً إلى تناول فنجان قهوة مع أحد أصحاب الحوانيت ومن ثم زيارة جاره وأحد أصدقائه حازم قطينة، والذي كان طالباً في جامعة بيرزيت، والذي دعاني إلى زيارة بيرزيت.

وبعد بضعة أيام، قدمت إلى الحرم القديم وتعرفت إلى ألبرت أغازريان، الذي كان مسؤول العلاقات العامة والدولية. وناقشنا إمكانية جلب طلاب من كلية سانت ماري (والتي أصبحت الآن كلية سانت ماري الجامعية) حيث كنت أدرس، وذلك للمشاركة في المعسكر الصيفي الدولي الذي تنظمه بيرزيت. ثم سألت إن كان بإمكاني أن أحضر مجموعة منهم في كانون الثاني أو شباط ١٩٨٢.

وبفضل كرم إحدى الصناديق الخيرية، تمكنت مجموعة مكونة من ثلاثة وثلاثين طالباً ومدرّساً من الانطلاق أخيراً من مطار هيثرو. لكننا أبلغنا قبل يوم من المغادرة أن الجامعة تعرّضت لثالث أمر لإغلاقها. فكان البرنامج الخاص الذي تم ترتيبه لنا عقب ذلك تجربة فتحت أعيننا على الواقع، وأدت إلى إقامة علاقة استمرت لعدة سنوات من الزيارات المتبادلة بين طلاب سانت ماري وبيرزيت.

ففي العامين ١٩٨٣ و١٩٨٥، قمت أنا وألبرت بتنظيم جولات لفرقة الرقص الشعبي التابعة لبيرزيت التي كانت تقدم الدبكة الفلسطينية في الجامعات المنتشرة في شتى أنحاء إنجلترا واسكتلندة، وحتى عبر بحر الشمال إلى الطلاب في أمستردام وبريمين. وقد ساهم زميلي وصديقي الراحل الأب مايكل بريور Michael Prior بطريقته الخاصة في هذه الجولات، حيث كان يعزف لنا الأغاني الوطنية الفلسطينية على الجيتار بعد ترجمتها سريعاً إلى الإيرلندية!

وسرعان ما تم اختياري كعضو في لجنة أصدقاء بيرزيت، وهي جمعية خيرية بريطانية أسستها في عام ١٩٧٩ المؤرخة إليزابيث مونرو Elisabeth Monroe التي كانت تدير الجمعية الجديدة من شقتها. وكان من بين المؤسسين الصحفيين كيث كايل Keith Kyle وروجر هاردي Roger Hardy، والأكاديمي محمد مهدي، والكاتب والمتخصص في الشؤون العربية بيتر مانسفيلد Peter Mansfield. وفي عام ١٩٨٣، تم اختياري كعضو في اللجنة، والتي رأستها لمدة تزيد على عشرين سنة. وخلال تلك السنوات، وبفضل بعض المنسقين الممتازين، فقد حققت اللجنة النجاح تلو الآخر، بحيث حصلت على تمويل الشركات للمشاريع الجامعية، وقامت بتنظيم الزيارات، وحشد المشاركين في معسكرات العمل، والمشاركة في المناصرة من أجل الحرية الأكاديمية لفلسطين. وبعد عشرين سنة، استقلت من منصبي كرئيس وأصبحت منذ ذلك الوقت أحد الرعاة الأكاديميين للجنة. وإنه ليسعدني أن أكون ما زلت مرتبطاً بهذه المنظمة على أسس من الصداقة الحقة والتضامن مع جامعة حافظت، ومعها الجامعات الفلسطينية الأخرى، على التعليم وعلى الكرامة الوطنية في وجه أعتى الضغوط التي يقوم بها الاحتلال العسكري الإسرائيلي.

دنكان ماكفيرسون، مدرس جامعي متقاعد، وهو باحث زميل في جامعة ويلز في لامبيتر، وراعٍ أكاديمي في لجنة أصدقاء بيرزيت في المملكة المتحدة، وشماس دائم في كنيسة اللاتين.

الفصل التاسع

ومضات من تاريخ الحركة الطلابية

غسان الخطيب

شكلت الحركة الطلابية في جامعة بيرزيت دائماً مكوناً أساسياً من عوامل نجاحها وتميزها.

تحولت بيرزيت إلى جامعة في السبعينات، في فترة من تاريخ شعبنا الفلسطيني في الأراضي المحتلة شهدت عنفوان النشاط الجماهيري السياسي، حيث تبلورت مؤسسات شعبيةٌ عريضة البنيان، ونضجت مفاهيم زج المجتمع بشكل منظم ومثابر في مقاومة الاحتلال؛ أولاً بالاهتمام بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية لتعزيز صمود المجتمع، وثانياً بتكريس الوعي بأهمية رفض المجتمع للاحتلال والتعبير الجماعي عن الرغبة بالخلاص منه، وأخيراً بالالتفاف حول كل المبادرات الهادفة إلى مقاومته.

في هذه الأجواء الشعبية الكفاحية العارمة، كانت جامعة بيرزيت تحتضن أكبر تجمع شبابي في الأرض المحتلة في حينه، تجمع يجمع نخبة من الشباب الفلسطيني من مختلف مدن وأرياف ومخيمات الوطَن، أغنياء وفقراء وما بين ذلك.

ولم يكن ذلك ممكناً لو لم تكن الهيئة التدريسية وإدارة الجامعة ملتزمتين بخدمة المجتمع والتفاعل معه، ومؤمنتين بوعي الطلبة والتزامهم الوطني، وواثقتين من أن حرية العمل والتنظيم الطلابي تطلق العنان لمواهبهم وإبداعهم ومساهماتهم.

الأبعاد الوطنية، والديمقراطية والمجتمعية

يمكن ملاحظة وجهين لتميز دور الحركة الطلابية في بيرزيت: الأول يتعلق بالبناء الداخلي وما فيه من تربية وروح تعددية تسامحيه ديمقراطية، والثاني خارجي يتعلق بمساهمة الجامعة وطلبتها في العمل الوطني الكفاحي، وفي النظام السياسي الفلسطيني الداخلي.

ومنذ أوائل السبعينات، انخرط الطلبة في العمل التنظيمي النقابي من خلال مجلس الطلبة الذي تشكل في ذلك الوقت من مجموعة من النوادي (الاجتماعي والثقافي والفني والعمل التطوعي)، ومن هيئةٍ مكونةٍ من خمسة مسؤولين هم الرئيس، ونائب الرئيس، وأمين الصندوق، ومسؤول العلاقات الخارجية والسكرتير.

ومنذ تلك السنوات، وحتى الآن، وبالرغم من تغير الظروف الداخلية والخارجية، وتغير نوعية وتوجهات الطلبة، واظبت الجامعة على تنظيم انتخابات سنوية ديمقراطية شدت اهتمام المجتمع الفلسطيني وشكلت مؤشراً، أولا على توجه المجتمع الديمقراطي، وثانياً على توازنات القوى السياسية التي كانت تتنافس على أن تتمثل في المجلس لما يمثله من أداةٍ فعّالة للعمل، ومظهر مهم للتمتع بالقوة الجماهيرية.

الصفحة المقابلة: مناظرة خلال حملة انتخابية لمجلس الطلبة.

إحياء يوم الأسير ٢٠٠٩. تصوير: لمياء يوسف.

وقد تغيرت موازين القوى في الحركة الطلابية في الجامعة مع تغير الخارطة السياسية في الوطن. فبسبب تغليب قوى منظمة التحرير الرئيسة للعمل الفدائي على العمل الشعبي، ولساحات الخارج على الداخل، استحوذ على التمثيل في انتخابات المجلس في السبعينات القوى اليسارية. فتوالى على رئاسة مجلس الطلبة في السبعينات قادة طلابيون أغلبهم من اليسار، مثل إياد البرغوثي، وعبد الكريم الفايد "الكحيان"، وأسعد سنقرط، وإلهام خوري، وسلام الصالح وبسام الصالحي.

أما مرحلة الثمانينات التي شهدت التفاتة قوى منظمة التحرير إلى العمل الجماهيري داخل الوطن المحتل، فقد أفرزت الانتخابات فيها رؤساء لمجلس الطلبة أغلبهم من فتح مثل مفيد عبد ربه، ونايف السويطات، وسمير صبيحات، ومروان البرغوثي وجمال إدريس، وكلهم من قادة حركة فتح.

أما مرحلة التسعينات التي شهدت تراجعاً في المكانة الشعبية لقوى منظمة التحرير، ومنافسة لها من القوى الإسلامية السياسية، فقد شهدت تبادلاً للسيطرة على مجلس الطلبة بالانتخاب بين قادة طلابيين من حركتي حماس وفتح.

وبموازاة ذلك، حافظت الجامعة على دورية ونزاهة الانتخابات. ومن جانبها، حافظت الحركة الطلابية على دور فعال في الحياة السياسية، ودور طليعي في العمل الوطني والكفاحي. وهناك محطات كثيرة للتدليل على المساهمة في العمل الكفاحي، والاستعداد لدفع الثمن والتضحية، فخلال انتفاضة أواسط السبعينات، بادرت الجامعة إلى تنظيم مظاهرات جماهيرية حاشدة، مما أدى إلى اعتقال رئيس مجلس الطلبة وإبعاد رئيس الجامعة وإغلاق الجامعة فترة من الزمن، الأمر الذي تكرر في السنوات اللاحقة إلى أن وصل إلى إغلاق الجامعة لعدة سنوات خلال الانتفاضة الأولى.

كان هذا الدور الكفاحي واعياً ورياديا، فقد بادرت الحركة الطلابية إلى تنظيم مؤتمر وطني في الجامعة حدد موقفاً رافضاً لزيارة الرئيس المصري أنور السادات لإسرائيل. وتفتخر الحركة الطلابية بهذا الحدث وبالمشاركة الشعبية الواسعة، وكذلك بموقفها الرافض لاتفاقية كامب دايفيد. فقد أدى ذلك في النهاية إلى حسم النقاش والجدل في الأوساط القيادية، خاصة وأن هذا المؤتمر فجر هبّة من الفعاليات السياسية الجماهيرية التي أظهرت إجماعاً سياسياً أثّر على موقف القيادة وساهم في تبنيها للموقف نفسه.

واشتركت الحركة الطلابية في بيرزيت بعضوية لجنة التوجيه الوطني ومثلت مجالس الحركة الطلابية في الوطن في اللجنة. وقد قادت هذه اللجنة، المكونة من رؤساء البلديات المنتخبين ورؤساء المؤسسات الجماهيرية العمالية والطلابية والنسائية وغيرها، الكفاح الشعبي والجماهيري السياسي ضد الاحتلال في النصف الثاني من السبعينات.

ولم تخلُ الحياة الطلابية، التي كانت متفاعلة كثيراً مع واقع المجتمع ومتأثرةً بسلبه وإيجابه، من شوائب وسلبيات. فقد كان الصراع الفئوي أحياناً يأخذ طابعاً غير صحي، إذ تفاقم التنافس بين أطر م.ت.ف الطلابية إلى حد الاشتباك العنيف في عامي ١٩٨١ و١٩٨٥. كما وصل التنافس بين قوى م.ت.ف الطلابية والطلبة المؤيدين للكتلة الإسلامية حد الاشتباك بالأيدي في عام ١٩٨٣، الأمر الذي أدى في الحالتين إلى أضرار مادية في الجامعة، إضافة إلى الإضرار بسمعة الحركة الطلابية.

من ناحية أخرى أخذت وتيرة الصراع مع الاحتلال في الثمانينات بعداً أكثر شراسة، حيث صعّد الاحتلال في طرق تعامله مع الاحتجاجات الطلابية السلمية وانتقل من الاعتقال، والضرب، وقنابل الغاز، والرصاص المطاطي وإغلاق الجامعة، إلى إطلاق الرصاص الحي بقصد القتل. ومع حلول ٣١ آذار ٢٠٠٨، كان خمسة وعشرون طالباً قد سقطوا شهداء.

وعلى عكس الاعتقاد السائد، فالحركة الطلابية في بيرزيت لم تكن مستغرقة في العمل السياسي على حساب الأنشطة الطلابية الأخرى. فقد كانت بيرزيت، وبفضل الأنشطة الطلابية، مركزاً ثقافياً وفكرياً وفنياً ازدحم بكل أنواع الأنشطة التي جذبت قطاعات المجتمع المختلفة للمشاركة.

ولعل المثال الأبرز على ذلك "أسبوع فلسطين" السنوي. وكان يشمل أنشطة طلابية تستضيف مختصين بارزين في مختلف أوجه النشاطات المجتمعية، من الثقافة إلى الفن والأدب إلى الاقتصاد والسياسة وغير ذلك، ويتخلله معرض

للمنتجات الوطنية تشارك فيه كبريات المؤسسات الإنتاجية الصناعية والزراعية والتراثية، ومعرض للكتب تبيع فيه المكتبات والناشرون الكتب بأسعار مخفضة للطلبة وزوار الجامعة.

وكان هذا الأسبوع يستقطب عروضٍ أهم الفرق المسرحية والفلكلورية ويشمل مسابقة شعرية، يحضرها – ضيوفاً وحكاماً – أبرز شعراء الوطن تحت اسم سوق عكاظ. وكان أسبوع فلسطين ينتهي "بعرس فلسطين" الذي يحاكي العرس التقليدي الشعبي من حيث الفقرات التقليدية ويمثل فيه طالب وطالبة دور العريس والعروس، والهدف إحياء التراث وحفظه في وعي الأجيال الجديدة.

كانت هذه الأنشطة تستقطب آلافاً من المهتمين بهذه النشاطات المتنوعة التي تعبر عن تواصل الحركة الطلابية مع مختلف قطاعات المجتمع. لقد كان لهذه الحياة الطلابية أثر بارز في صقل شخصية الطلبة بعد التخرج والانصهار في المجتمع. فقضاء أربع سنوات تقريباً في أجواءٍ مفعمة بالنشاطات المجتمعية، وقائمة على الشعور بالمسؤولية العامة تجاه مجتمع الجامعة والمجتمع عموماً، ومنظمة على أسس ديمقراطية تبنى فيها القدرة على إقناع اكبر عدد من الطلبة، من شأنها أن تخلق مرشحين للعب أدوارٍ قياديةٍ في المجتمع، سواء في مجال العمل الكفاحي، أو في مجال العمل العام أكان اجتماعياً أم سياسياً أم ثقافياً.

ومن ناحية أخرى، فان الانخراط في العمل السياسي، وكذلك في مواجهة الاحتلال، شكل مدرسةً في العمل الوطني خرجّت قادة وطنيين وسياسيين ساهموا في رفع مستوى العمل السياسي الجماهيري. فلم يكن من قبيل الصدفة ازدحام المراكز القيادية في التنظيمات السياسية، وكذلك السجون، ولاحقاً المواقع القيادية في النظام السياسي بخريجي الجامعة، خاصةً أولئك الذين لعبوا دوراً طلابياً قيادياً.

بعد أوسلو

ومثل باقي أوجه العمل الأهلي، تغير دور وعمل الحركة الطلابية كماً وكيفاً في أواسط التسعينات مع نشوء السلطة الوطنية الفلسطينية وعودة القيادة الفلسطينية إلى الوطن وخروج جيش الاحتلال الإسرائيلي من المدن والقرى، وبالتالي تراجع الاحتكاك المباشر معه.

انتخابات مجلس الطلبة. الصور: محمد عوض (فوق)؛ عامر عثمان (الوسط)؛ سامر الشريف (تحت).

فمن ناحية، تراجع الدور المجتمعي للحركة الطلابية الذي كان ناتجاً عن جهود ملء الفراغ بسبب غياب سلطة أو حكومة وطنية، ومن ناحية أخرى تراجعت حدَّة الاحتكاكات والاشتباكات والفعاليات الكفاحية المباشرة للحركة الطلابية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلية.

ولكن في المقابل، تفاعلت الحركة الطلابية بأشكال مختلفة مع مرحلة بناء السلطة، ولعبت في هذا الصدد أدواراً مختلفة، فشاركت في كل أنواع الجدل والحوار الوطني الذي رافق التجربة مما سبب أحياناً احتكاكات واحتجاجات ضد بعض الممارسات التي كانت موضع انتقاد في المجتمع، الأمر الذي أدى إلى اعتقال بعض نشطاء الطلبة أحياناً.

ولكن من ناحية أخرى، استمرت أوجه العمل المجتمعي، وأهمها العمل التطوعي، وأخذت طابع التفاعل مع مؤسسات السلطة الناشئة. ولكن، لا شك أن طابع الانقسام السياسي الذي اتسمت به المرحلة عكس نفسه سلباً على أجواء الحركة الطلابية وبالذات أنشطتها السياسية، وبدرجة أقل المجتمعية.

ممثل جمهورية الصين الشعبية في زيارة إلى معرض للتراث في الجامعة. ٢٠٠٩. تصوير: سامر الشريف.

بيرزيت في أواخر السبعينات

في أول فصل دراسي لي في جامعة بيرزيت (الفصل الثاني من العام الدراسي ١٩٧٧-١٩٧٨) كانت الجامعة وطلابها يتهيأون لانتخاب مجلس الطلبة ولم يكن ذلك نشاطاً عادياً، فتجد الطلبة كخلية النحل في مقصف الجامعة وأزقتها يتشاورون ويطرحون برامج انتخابية ووعوداً بتحقيق مطالب ومصالح الطلبة في جميع المجالات. ومنذ تلك اللحظة بدأ التفكير بتطوير دستور مجلس الطلبة وتوسيعه لتلبية احتياجات الطلبة وتحقيق مصالحهم مع تزايد أعداد المقبولين بشكل ملحوظ . نجحنا بعد عام كامل في وضع دستور جديد يرفع عدد أعضاء مجلس الطلبة من خمسة إلى تسعة مشتملاً على لجان وصل عدد أعضائها إلى أكثر من خمسين عضواً تغطي جميع مناحي الحياة الطلابية.

حمل العام ١٩٧٨ زخماً سياسياً حقيقياً في الجامعة، فقد تسارعت الأحداث بعد عملية المقاومة التي نفذتها دلال المغربي ومجموعة معها في ذلك العام (عملية الساحل). ولم يتأخر الرد، حيث نفذ الجيش الإسرائيلي اجتياحاً لجنوب لبنان، فتصدت له المقاومة بكل بسالة. وهنا برز دور طلبة جامعة بيرزيت في الاستجابة للمتطلبات الوطنية، فكانت الجامعة أول موقع فلسطيني تنطلق فيه المظاهرات ضد الغزو وتشتبك مع جنود العدو، وانتشرت التظاهرات لتشمل معظم الأراضي الفلسطينية وعلى رأسها مخيم الدهيشة، ومخيم بلاطة، ومخيم جنين وقرى ومدن كثيرة لا يتسع المجال لتسميتها، واستمرت هذه التظاهرات اليومية طوال فترة الغزو حيث كانت تمريناً حقيقياً لما جرى في الأراضي الفلسطينية بعد تسع سنوات خلال الانتفاضة الشعبية عام ١٩٨٧.

حسن اشـتيوي (طالب في جامعة بيرزيت ١٩٧٨-١٩٨١)، وقد انتخب لعضوية المجلس الثوري لحركة فتح في عام ٢٠٠٩.

تذكر القرى الفلسطينية المدمرة عام ١٩٨٤. تصوير: سامر الشريف.

ثلاثة رؤساء سابقين لمجلس الطلبة يتبادلون الخبرات مع الطلاب. من اليسار إلى اليمين: حسن اشتيوي، بسام الصالحي، غسان جرار. تصوير: ياسر درويش.

ما تمثله بيرزيت

يمتزج في جامعة بيرزيت العام بالخاص: الشخصي بالوطني، والاجتماعي بالديمقراطي والأكاديمي بالمجتمعي. تلك هي أهم الملامح التي تشكلها جامعة بيرزيت بالنسبة لي شخصياً وبالنسبة لجيل واسع ممن تعلموا فيها وتخرجوا منها.

بالنسبة لي، فإن جامعة بيرزيت تمثل التالي:
جامعة بيرزيت كان يحتضنها مجتمع بأسره يمدها بالطاقة والقوة والحيوية التي أعانتها دائماً على مواجهة الصعاب وعلى الشعور بالاعتزاز.

جامعة بيرزيت بادلت المجتمع تلك المحبة بالترابط معه في المعارك الوطنية وفي الهموم اليومية، فكانت جزءاً من روافع المجتمع في مواسمه الزراعية، وفي دعم مؤسساته، وفي جعل التعليم في متناول الجميع من خلال المنح الدراسية والحلول الإبداعية لمشاكل الطلبة ممن لا يستطيعون توفير تكاليف التعليم.

جامعة بيرزيت كانت باحة لاحتضان الإبداع الفكري والثقافي والتراث الشعبي والفن والزجل في مهرجان "أسبوع فلــسطين" السنوي الذي كانت تنظمه رغم الحظر الإسرائيلي وإغلاق الجامعة والذي كان مناسبة لاختلاط المبدعين البارزين والناشئين.

جامعة بيرزيت احتفظت بنكهة أكاديمية متميزة تدافع عن حرية الرأي والتعبير وكانت المحاضرات والمؤتمرات والندوات التي تنظمها نقدية جريئة وغير تقليدية.

قامت إدارة جامعة بيرزيت، ومدرسوها والعاملون فيها باحتضان ورعاية تجربة متميزة. فقد واجهوا المعارك الوطنية بشجاعة، كما قابلوا الصراع الديمقراطي الداخلي بتسامح.

بسام الصالحي (خريج سنة ١٩٨٣)، رئيس مجلس الطلبة في جامعة بيرزيت بين سنة ١٩٧٩ وسنة ١٩٨١، وهو الأمين العام لحزب الشعب الفلسطيني.

جامعة بيرزيت نموذج مصغر للشعب الفلسطيني

تتميز بيرزيت بكونها أول جامعة في فلسطين، وقد شكلت مركزاً وطنياً وثورياً بارزاً في الوطن، وواحة ونموذجاً للديمقراطية الفلسطينية. وكان أثرها في المجتمع الفلسطيني أكبر بكثير من مساحتها وعدد أساتذتها وطلبتها، فقد كان خريجو الجامعة ولا يزالون مثالاً للنجاح في مواقعهم أينما كانوا.

بالنسبة لي، فإن جامعة بيرزيت هي صورة مصغرة للشعب الفلسطيني، والدولة والمجتمع الذي أتطلع إلى أن أراه في المستقبل. وهي مثال رائع وعظيم، وشهادة حية على قدرة، وطاقة وإبداع الفلسطينيين عندما يحظون بإدارة وقيادة لديها رؤية، وفلسفة، واستقامة، ووفاء وتعمل وفق النظام والقانون والمؤسسات. إني أعتز بكوني واحداً من خريجي هذه الجامعة بدرجتي البكالوريوس والماجستير.

وشكراً لبيرزيت التي تعلمت فيها ومن أساتذتها، وإدارتها وطلبتها الكثير.أنا في شوق دائم لها، وأحمد الله أن أولادي الأربعة هم من طلبة الجامعة، "اختاروا وقد أحسنوا الاختيار".

مروان البرغوثي (خريج عام ١٩٩٣)، مقتطفات من رسالة وجهها من سجن هداريم، قسم ٣، زنزانة رقم ٢٨.

PALESTINE
joma
JAKO
Birzeit Univer

الفصل العاشر

الطريق نحو المستقبل

رمزي ريحان

منذ أن بدأت مدرسةً للبنات في قرية صغيرة عام ١٩٢٤، شهدت جامعة بيرزيت تحولات كثيرة، بعضها بمساع ذاتية وبعضها استجابة لظروف خارجية. خلافاً لمدارس كثيرة أنشئت في ذلك الزمن ولم تصمد طويلاً استمرت بيرزيت وتطورت بشكل فريد، الأمر الذي يمكن من خلاله استخلاص العبر المفيدة للمضي قدماً على درب التطور.

على الدوام كان التحدي أمام بيرزيت أن تطور خططاً لتحقيق أهدافها كمؤسسة في ظل بيئة شديدة التقلب، ومع مرور السنين كانت هذه الخطط تصبح أكثر تفصيلاً وتعقيداً. في صيف عام ١٩٧٢ لخصت وثيقة قصيرة الخطوات الضرورية في سبيل التحول من كلية إلى جامعة. وفي عام ١٩٧٧ نُشرت وثيقة أكثر طموحاً وتفصيلاً تضمنت خطة التطوير للفترة الممتدة بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٨٦. وعلى مدى العقد المنصرم عقدت ورشات تخطيط استراتيجي لتحديد الأهداف العامة ووضع خطط تنفيذية لتحقيقها. وقد كانت ثمرة أحدث هذه الورشات – وعقدت عام ٢٠٠٧ – خطة لثلاث سنوات تعالج تسعة أهداف رئيسية، بعضها إداري (يتعلق مثلاً بالاستقرار التمويلي والإجراءات الإدارية)، وبعضها أكاديمي (يتضمن مجالات من قبيل استبقاء الأساتذة والموظفين، ودمج البحث الأكاديمي في النشاط التدريسي)، بينما تناولت أهداف أخرى الطلبة.

ويجري الآن العمل ضمن استراتيجيات خلاقة، وضعها بجهد مشترك الإدارة العليا وعدد من الموظفين، في سبيل معالجة بعض المشكلات الصعبة التي تواجه الجامعة. وعوضاً عن تقديم ما يشبه التقرير عن سير هذه العملية ضمن هذا الفصل، أفضل أن أقدم تصوري لبعض التحديات الحالية التي ما فتئنا نواجهها، أو تلك التي سوف نواجهها في السنوات المقبلة.

كان الواقع الفلسطيني وما زال، محكوماً بالسياسة، ولاسيما بالصراع الدائر لترسيخ الهوية الوطنية والحصول على الاستقلال. وقد رافقت التغيرات السياسية في فلسطين بالضرورة تحولات اجتماعية. لقد ترك إنشاء جامعة بيرزيت في أوائل السبعينات أثراً كبيراً على المجتمع الفلسطيني بتوفير فرصة لم تكن من قبل متاحة للحصول على التعليم العالي لكل شرائح المجتمع؛ ولا سيما لأهالي الريف وللفتيات. خلقت الجامعة حراكاً اجتماعياً غير مسبوق نقل المجتمع الفلسطيني نقلة كبيرة لا سبيل للنكوص عنها. أصبح حرم جامعة بيرزيت، ولا يزال، صورة مصغرة فريدة لفلسطين تتمثل فيها كل طبقات وشرائح المجتمع. الريفي والمديني، والغني والفقير، والذكر والأنثى، والمنفتح والمحافظ، كل أولئك تفاعلوا إيجابياً في بوتقة واحدة، لم يغب عنها الاضطراب في بعض الأحيان. هذه الخصوصية تميز بيرزيت عن غيرها، وتمثل مصدر قوة يجدر الحفاظ عليه.

الصفحة المقابلة: فريق كرة القدم للبنات، ٢٠٠٩.

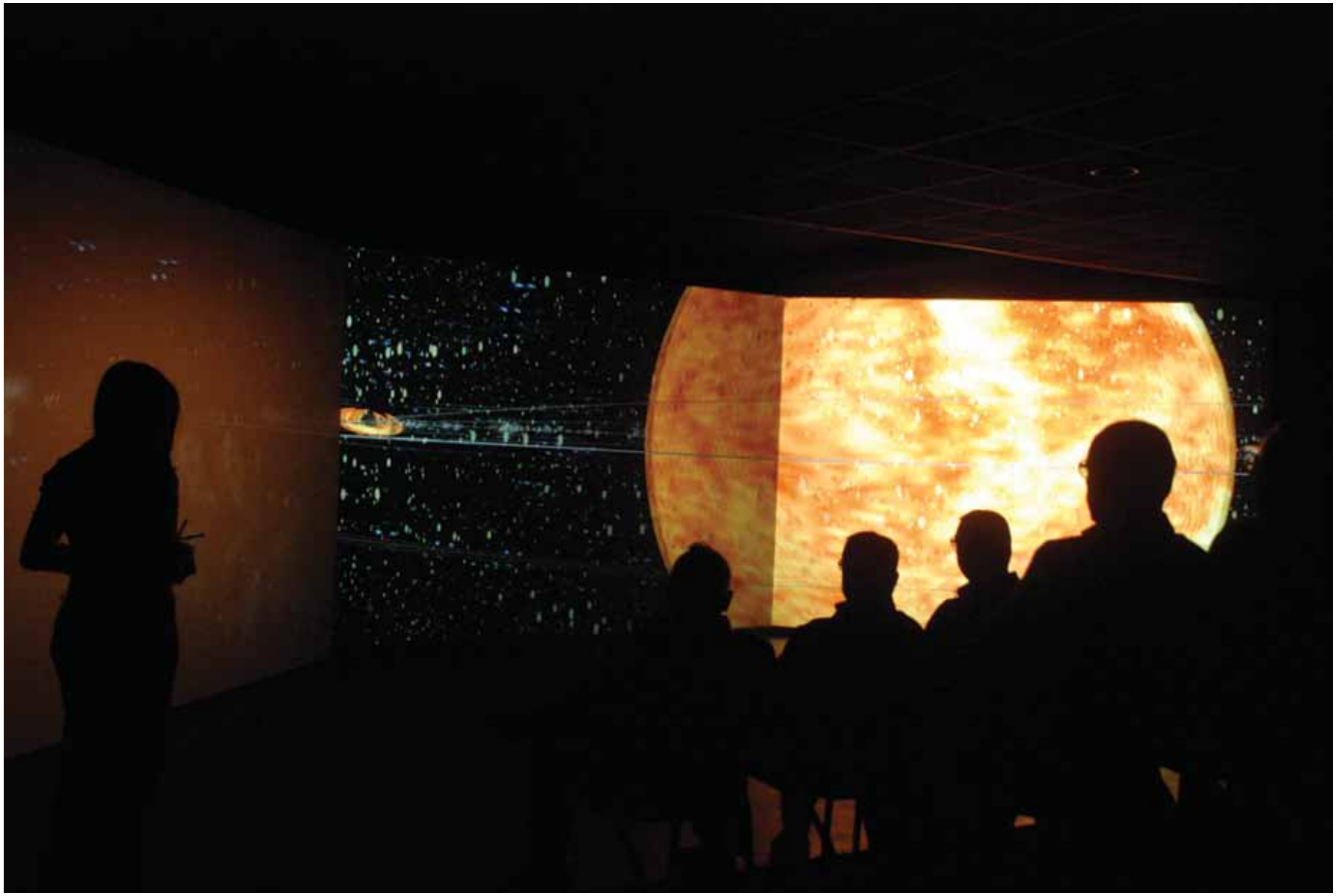

مسرح الواقع الافتراضي. تصوير: ياسر درويش.

وعلاوة على ذلك، فإن التحاق طلبة من كل المناطق بالضفة الغربية، وقطاع غزة، والجليل، والخارج بالجامعة جعلها تؤدي، لثلاثة عقود، دوراً ريادياً في إعادة توحيد الفلسطينيين المقيمين في مناطق كان قد تم فصل إحداها عن الأخرى. ثم كان أن أعيد فرض الحواجز بين المناطق. لكن بيرزيت تبقى في موقع يسمح لها بدور توحيدي مماثل من جديد عندما تسقط الحواجز، وحتماً ستسقط يوماً. وفوق ذلك سيكون من شأن الطلبة القادمين من العالم العربي أيضاً إثراء الجامعة.

على أن هذه الجوانب الإيجابية محاطة بالتحديات. فالمجتمع الفلسطيني تعرض لتغييرات لم نفهم سوى جزء منها. وأهمها ما يتعلق بالجيل الجديد. لقد نشأت منظومة سلوكية للشباب في أوروبا بُعيد الحرب العالمية الثانية، ثم غدت ظاهرة عالمية. ويمكن للمرء أن يلاحظ اليوم لدى الفتية في فلسطين منظومات سلوكية مختلفة. هناك أولئك الذين يلتمسون الطمأنينة بالتمسك بقيم مرت عليها القرون، وهناك من انغمسوا انغماساً في منظومة السلوك الشبابية الغربية، وثمة من يحاولون التوفيق بين التقليدي والمعاصر، ومن وقفوا حائرين بين الاتجاهات المتضاربة. إن ظهور منظومة السلوك الشبابية، والصراع بين منظومات السلوك الفرعية ضمن الجسم الطلابي بجامعة بيرزيت، مظهر شديد البروز في الحياة الجامعية، وقد تفاعل مع التنوع السياسي. وتعاملت الجامعة مع هذه الحقيقة المعقدة بنجاح معقول. إن تطوير مجموعة عريضة ومتسقة ومستمرة من الحلول والاستجابات أمر ذو أولوية قصوى الآن وفي المستقبل المنظور.

تحسن كثيراً اهتمام الجامعة بالمصاعب التي يواجهها الطلبة الجدد، ولكن المزيد مطلوب في هذا الاتجاه. لا بد أن يستمر التمهيد والتوجيه والإرشاد للطلبة الجدد طوال السنة الأولى على الأقل، وأن يتضمن عناصر اجتماعية وأكاديمية ونفسية. ولا بد أن يتبعه بعد حين تمهيد إرشادي للدخول للحياة العملية، وتوجيه بشأن استكمال التحصيل العلمي.

إن خريجي أي جامعة هم الهبة الكبرى التي تقدمها لمجتمعها، بل وللعالم. وقد اجتهدت جامعة بيرزيت في الحفاظ على صلتها بخريجيها الذين برَّز الكثيرون منهم محلياً وعالمياً. وفي المجمل ترك خريجو جامعة بيرزيت أثراً ايجابياً قوياً على الحياة الفلسطينية اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً. ويجب بذل جهد أكبر وأكثر تنظيماً لعقد الصلات مع معظم، إن لم نقل كل، الخريجين. فهم مرتبطون نفسياً بشكل لافت بجامعتهم؛ ارتباط يستحق أن يقابل بمثله.

لقد نوعت جامعة بيرزيت برامجها الأكاديمية بشكل كبير على مستويي البكالوريوس والماجستير. ورغم أنها ما زالت تجتذب أفضل الطلبة من حيث المستوى، فإنها تواجه مسألة التميز الأكاديمي. هذه مشكلة عامة في البلاد ترتبط بارتفاع مستوى الالتحاق بجميع المراحل التعليمية، ومن الثابت أنها مشكلة للمنطقة ككل أيضاً. ومن بين طرق التصدي لهذه المشكلة معالجة المناهج، وطواقم التعليم، وطرق التدريس، وموارد التعلم، والتنبه مجدداً إلى "ثقافة التعمق العلمي». التحديات الأكاديمية التي تواجهها جامعة بيرزيت ليست مقصورة عليها؛ فالتعليم العالي يمر، عالمياً، بفترة مخاض. والجامعات الفلسطينية والعربية تواجه أيضاً هذه التحديات، علاوة على أمور أخرى.

تمثل التيارات الحالية فرصة وتحدياً لجامعة بيرزيت. فالتعليم العالي يشهد تحولات عميقة كثيرة في العقود الأخيرة. تنشأ باستمرار تخصصات جديدة؛ وتبتكر طرق جديدة للتعليم. وقد زاد عدد مؤسسات التعليم العالي في فلسطين. وحدثت تطورات مهمة في العالم العربي. وظهرت أنماط جديدة من الحاكمية المؤسسية. وعلى بيرزيت أن تقر بكل هذه العناصر وتستوعبها كي تختط نهجها المستقبلي.

لقد خطت الجامعة خطوات واسعة لتوفير الوسائل الإلكترونية لطلبتها. غير أن النظام المدرسي في البلاد، وهو ما يشكل وعي الطلبة، يعتمد إلقاء الدروس وسيلة تعليم رئيسية، وحفظها استظهاراً وسيلة تعلّم رئيسية. وعلى جامعة بيرزيت أن تتغلب على هذه التركة الثقافية المترسخة كي يفيد الطلبة بالقدر المنشود من الموارد التي تتيحها الجامعة. ومن نتائج توفر وسائل التعليم إلكترونياً تراجُع دور المعلم. وفي الواقع فإنه من الضروري أن ترافق توفر هذه الوسائل زيادة في التأثير الشخصي للمعلم على الطلبة بحيث يتجاوز مسألة إكساب المعارف والمهارات إلى غرس القيم والمواقف.

ما زال ينظر إلى المنهاج وتطبيقه والوسائل التعليمية المرتبطة به بالطريقة التقليدية إلى حد بعيد. ويجب توسيع ذلك للتركيز على المهارات العامة، التي

تصوير: ياسر درويش.

تتضمن المبادرات الفردية والجماعية، والإحساس بالمسؤولية، والتفكير الإبداعي، والمهارات اللغوية والاجتماعية، وتوفر الحافز والقدرة على السعي وراء المعرفة وتعميمها ونقلها. وتزداد أهمية ذلك كله في زمن تتغير فيه بسرعة متطلبات مكان العمل، وهذا يقتضي تحولاً كبيراً في توجه الجامعة.

تبنت الجامعات العربية، ومن ضمنها جامعة بيرزيت، هدف تعريب التعليم العالي قبل ثلاثة عقود. لقد رؤي أن الاعتماد شبه الكلي على اللغات الأجنبية في التعليم، وعلى الكتب الأجنبية ككتب مقررة معيق لتقدم الثقافة العربية. سعت حركة التعريب إلى جعل اللغة العربية لغة المقررات والتعليم. ورغم وجود مسوغات كثيرة لهذا المسعى فقد كانت له نتائج سلبية، إذ لم يعد الطلبة يتعاملون مع اللغات الأجنبية بطواعية؛ على أن الأثر الأعمق تمثل في أن الأفق الثقافي أصبح أضيق في زمن غدا فيه التواصل والتداخل الثقافي مفتاحاً للتقدم. يجب على جامعة بيرزيت أن تجعل من إكساب طلبتها مهارات لغوية – بالعربية والإنجليزية – في مقدمة أهدافها التعليمية.

ومع اتساع حقول الدراسة والمقررات انتقلت الجامعة من التعريف الواسع للتعليم إلى تعريف يؤكد على المعارف الوظيفية. وقد رأى الكثيرون في هذا انتقالاً يجعل الخريجين أكفأ في حقولهم المعرفية المتخصصة. تكاثرت المساقات الدراسية المتقدمة في التخصصات المختلفة، بينما تراجع الاهتمام بالمساقات التمهيدية والمعرفية العامة. على أنه يمكن القول إن العكس تماماً قد يكون أفضل لتحقيق الغايات نفسها. فالتركيز القوي على اللغات، وخلق أساس متين من خلال المساقات التمهيدية التي تطور مهارات أساسية، من شأنهما تمكين الطلبة من استكمال الدراسة المتخصصة بقدر أكبر من الفاعلية.

تتعزز الرسالة التعليمية للجامعة بأنشطتها البحثية. وقد قطعت جامعة بيرزيت شوطاً على طريق التحول من مؤسسة تعليمية إلى مؤسسة تجمع بين التعليم والبحث. البحث الذي يجري في جامعة بيرزيت ذو بال حقاً، وهو يزداد حجماً وتنوعاً. على أن مفهوم التعمق العلمي لم يتأقلم مع نمو الجامعة؛ يجب أن يكون التعمق العلمي بوصلة للنشاطات الجامعية وأن يكون له أثر على الجسم الطلابي بمجمله، وأن يعطي الجامعة صورتها العامة. والنشاطات البحثية المتفرقة، مهما بلغت من الأهمية، لا تفي بذلك. إن تعزيز هذا المفهوم عامل مهم في تحديد خط سير الجامعة ونجاحها.

رمزي ريحان يعبر عن شكره لتكريم الجامعة له على السنوات الكثيرة التي قضاها في خدمتها.
تصوير: ياسر درويش.

بما تراكم لها من خبرة تستطيع جامعة بيرزيت مدَّ أنشطتها في حقول شتى من البحث التطبيقي تتضمن التقنية المتقدمة، والبيئة، والتعليم، والمظاهر الملائمة من العلوم الاجتماعية. ولن يعطل هذا الأمر البحث في التخصصات الأكاديمية التي تمثل أساس معظم البحث التطبيقي. لقد اتخذت الجامعة خطوات مهمة في كلا الجانبين، الأمر الذي يضع أساساً لمزيد من الانغماس في أنشطة البحث. يتطلب تحقيق الأهداف الآنفة الذكر أن تَعدل الجامعة عن نهج التوسع الحالي إلى نهج من التثبيت المؤسسي والابتكار، رغم ما بين هذين الأخيرين من تضاد واضح في الغالب. يمكن توجيه النمو المستقبلي باتجاه التعميق العام، والتنويع الانتقائي. ولدى الجامعة من القدرة والسمعة ما يؤهلها للسير بشجاعة في طريق جديد يجعلها تستمر في التميز عن غيرها محلياً وفي المنطقة.

تصوير: سامر الشريف.

الطلاب يحتفلون بإعلان القدس عاصمة للثقافة العربية، ٢٠٠٩. تصوير: ياسر درويش.

كانت جامعة بيرزيت متميزة عربياً بتأسيسها عدداً من المراكز والمعاهد الموجهة للمجتمع. وكانت هذه الوحدات رائدة فلسطينياً في عدد من الحقول كبرنامجي الصحة العامة ومحو الأمية. وثمة الكثير من المكاسب التي تنتظر الجامعة من وراء تقوية انغماسها الاجتماعي. وهذا الانغماس لم يكن مفيداً بسبب الأثر الذي أحدثه فحسب، بل لأنه قضى على الفصل المتعسف بين البحث الأكاديمي والتطبيقي. ثم إنه غدا جزءاً من هوية الجامعة.

جامعة بيرزيت مساهم رئيسي في الحياة الثقافية في المناطق المحتلة، وهذا دور يمكن توسيعه بشكل هائل. فالجامعة تقع متوسطة داخل المناطق الفلسطينية، ولديها حرم واسع. فهي على هذا مهيئة لتجعل من نفسها مركزاً ثقافياً رئيسياً في فلسطين، وربما المركز الأول. ولا يمكن لأي مؤسسة أو هيئة في فلسطين أن تداني بيرزيت في الوفاء بهذا الغرض. وبالاضطلاع بهذا الدور لا تعلي بيرزيت من مكانتها فحسب، بل تسد ثغرة وتؤدي مهمة مطلوبة على صعيد الوطن.

يمكن لجامعة بيرزيت أيضاً أن تعُدَّ، ضمن نقاط قوتها، شبكتها الواسعة من العلاقات الدولية. وهي تتضمن مشاريع بحث مشتركة وبرامج تبادل. فالزيارات الأكاديمية للدارسين الأجانب والفلسطينيين المقيمين في الخارج، وفي تخصصات شتى، كثيرة للجامعة. وثمة حاجة لجهد خاص للحفاظ على هذه العلاقات وتوسيعها في الظروف الحاضرة.

الطريق أمام جامعة بيرزيت لا يخلو من عقبات، أهمها تمزق المناطق الفلسطينية. وقد كان هذا التمزق عنصر تعطيل أساسياً. قبل عقدين كان الجسم الطلابي يتألف من طلبة من قطاع غزة، ومن شمال ووسط وجنوب الضفة الغربية. وأما الآن فإن أغلبية الطلبة هم من وسط الضفة، رغم أن الجامعة ما زالت تجتذب طلبة من مناطق أخرى. لقد تم تقييد مؤسسة وطنية وإرغامها على أن تصبح مؤسسة محلية. ولئن كان صعباً القفز على هذا العائق في الفترة الحالية فإن على جامعة بيرزيت أن تستمر في اعتبار نفسها مؤسسة ذات دور قومي، وذات صلات إقليمية وعالمية.

ومن الصعوبات قلة الموارد البشرية. فتوفر الأشخاص المؤهلين لم يكن بمستوى النمو في الجسم الطلابي. والتوتر السياسي والضائقة الاقتصادية يحولان بين كثيرين وبين القدوم للعمل في بيرزيت رغم توفر الرغبة لديهم. يمكن في هذا الصدد البحث عن تمويل لبرنامج تطوير للهيئة التدريسية، ولدعم أنشطة ومشاريع منتقاة.

إن عدم كفاية الموارد المالية عائق غني عن الذكر، وهو يحول دون تحقيق أهداف كثيرة. لقد غدا التعليم العالي سلعة عالمية، وغدت عناصر التكلفة فيه خاضعة للمعايير العالمية. على أن مصادر الدخل للمؤسسة التعليمية خاضعة للمعايير المحلية، وهي أقل كثيراً. لذا يتعسر الحفاظ على المستوى العالي مع تغطية النفقات التشغيلية من الدخل التشغيلي. والحل الوحيد توسيع شبكة اجتذاب التبرعات، وبدء مسعى طويل الأمد لتأمين وقفية جارية تؤمن الجامعة مالياً.

طريق المستقبل أمام جامعة بيرزيت واعد، لكنه مليء بالصعاب. المشكلات تبعث على الإحباط، ولكنه لا سبيل إلا مواجهتها على خير وجه ممكن؛ ويجب ألا تمنع العقبات الجامعة من النظر إلى مستقبل أفضل في المدى البعيد، ومن الاستمرار في المثابرة لتحقيقه. لا بد من مقاربة على مستويين: التعامل مع المشكلات الحاضرة، مع الحفاظ على رؤية للمستقبل تظل ماثلة منار استرشاد. العبرة التي تستخلصها المؤسسة بعد أكثر ثمانين سنة عاشتها صموداً ومغالبة هي أن كل عقبة يمكن تخطيها بالإرادة والبصيرة.

3

الجامعة والمجتمع

الفصل الحادي عشر

الصحة العامة والمجتمعية

ريتا جقمان

عندما عدت إلى فلسطين في أيلول ١٩٧٨ للانضمام إلى الهيئة التدريسية في دائرة الأحياء، وجدت الجميع، أساتذة، وطلاباً وعاملين منخرطين في أنشطة تنموية ومجتمعية. طالما شكلت خدمة المجتمع مكوناً هاماً في رسالة الجامعة (بقدر أهمية التميز الأكاديمي). وكان الأساتذة قد أطلقوا كلاً من برنامج العمل التطوعي (منير فاشة)، وبرنامج الآثار (ألبرت جلوك)، وبرنامج محو الأمية وتعليم الكبار (خليل محشي ولاحقاً هيام أبو غزالة)، ومركز الأبحاث (خليل محشي وكمال عبد الفتاح). شكلت خدمة المجتمع وبناء المؤسسات الفلسطينية المستقلة عن الاحتلال العسكري الإسرائيلي أحد أشكال المقاومة اللاعنفية ضد هذا الاحتلال.

اللبنات الأولى في الصحة العامة والمجتمعية الفلسطينية

بدأت مع أحد طلابي (محمد سعيد الحميدي) بوضع برنامج للصحة العامة والمجتمعية من "مكتب" هو أقرب إلى مرآب للسيارات أو مستودع. ولأن جامعة بيرزيت كانت صغيرة، كانت العلاقة بين الأساتذة والطلاب حميمة وغير رسمية، ويسودها التعاون، الأمر الذي يسر تشكيل فريق باحثين ونشطاء متعدد التخصصات، وشكل خطوة حاسمة في تحديد نهجنا المتبع حيال الصحة العامة، والذي يمزج بين المعرفة الطبية البيولوجية وبين فهم الظواهر الاجتماعية والواقع الذي يعيش فيه الناس.

الصفحة المقابلة: العاملون وأعضاء الهيئة التدريسية في معهد الصحة العامة والمجتمعية.
تصوير: ياسر درويش.

الشباب في قرية فقوعة، ٢٠٠٤. التقى العاملون في معهد الصحة العامة والمجتمعية بمجموعة من الشبان لمناقشة نتائج مشروع بحثي حول الصحة النفسية للشباب في شمال الضفة الغربية، قرب جدار الفصل العنصري. قام أعضاء المجموعة بتحديد أهم المشاكل النفسية-الاجتماعية القائمة برأيهم استعداداً للقيام بتدخل. الصورة من طاقم معهد الصحة العامة والمجتمعية.

وبدأنا في وقت مبكر في إنتاج البيانات اللازمة لتخطيط وتنفيذ الخدمات الصحية. وفي ذلك الوقت، كانت معظم عمليات التخطيط للخدمات الصحية تستند إلى فرضيات حول الاحتياجات الصحية للناس (وكنا نسمي ذلك "بالتخطيط من وراء المكاتب"). نفذت أول دراسة لجامعة بيرزيت بقيادة عالم الاجتماع سليم تماري في قرية الزبيدات في وادي الأردن (الأغوار). وهدفت الدراسة إلى تقييم الأثر الاجتماعي لإدخال تقنية الري بالتنقيط على هذا المجتمع الريفي. وقمنا بتقصي الأوضاع الصحية. وقد دلت الدراسة على أن الصحة هي شأن اجتماعي، وأن السكن، والمياه، والصحة العامة والتغذية هي كلها عوامل رئيسية في إنتاج الصحة أو التسبب بالمرض، وأن العيادات والمستشفيات تعالج الأمراض فقط بعد وقوعها. واستخلصنا أن هناك ضرورة للعمل داخل وخارج الخدمات الصحية والمجتمعات المحلية من أجل منع انتشار الأمراض وتحسين الصحة وحمايتها.

وقد استخدمت نتائج الدراسة في فتح عيادة في الزبيدات وإرسال أحد العاملين الصحيين من الزبيدات إلى جامعة بيت لحم لتلقي التدريب هناك (حيث إنها كانت تقدم هذا التدريب للعاملين الصحيين الريفيين الذكور)، على أن يعمل على قضايا مثل الصحة العامة، والثقافة الصحية والتغذية. ولكن لسوء الحظ، لم تستمر العيادة طويلاً، لأننا لم نقم بمتابعتها وتوفير الدعم اللازم لموظف الصحة في هذه القرية المعزولة. وقد علمتنا التجربة أن إجراء الأبحاث لا يكفي، بل علينا أن نعمل بشكل متواصل في التدريب والإشراف على العاملين ومتابعة وتقييم المشاريع الصحية التي نساعد على تأسيسها. بالفعل، هذه هي دورة العمل والقاعدة التي طبقناها في معهد الصحة العامة والمجتمعية في جامعة بيرزيت.

كذلك تعلمنا من أخطاء الآخرين. فعندما بدأنا بتنفيذ المسح الصحي الثاني في عام ١٩٨١ في ثلاث قرى قريبة من بيرزيت، كنا قد استنتجنا من تجربة جامعة بيت لحم أن علينا أن ندرب الإناث وليس الذكور لهذا الغرض، ذلك أن الإناث فقط يستطعن دخول البيوت وجمع المعلومات حول الواقع، والبيئة، والتغذية وما إلى هنالك، وكلها أمور أساسية لتقديم الرعاية الصحية الأولية الفعالة.

وساعدتنا هذه الخبرة على فهم الرعاية الصحية الأولية قبل أن نقرأ عن تعريف منظمة الصحة العالمية للمصطلح في إعلان ألما أتا، وخصوصاً الأسس الثلاثة التي تقوم عليها وهي المشاركة المجتمعية، والتعاون ما بين القطاعات، والإنصاف. فقد اكتسبنا معرفتنا وفهمنا للصحة من التجربة أولاً، ثم جاءت النظرية لتساند الأدلة التي أوجدناها من التجربة الحية والأبحاث. وما يزال الاعتماد على البيانات الناتجة عن الأبحاث والممارسة هو ما يميز نهج معهد الصحة العامة والمجتمعية.

وتحولت دراسة القرى المحيطة ببيرزيت إلى أحد أهم برامج معهد الصحة العامة والمجتمعية لأن الدراسة بنت على الإخفاقات السابقة وحققت النجاح، ولأنها علمتنا أن نقوم بالتقييم باستمرار قبل المضي قدماً، وساعدتنا على تقدير أهمية التعاون مع المؤسسات المحلية الأخرى. فقد تم تنفيذ هذا البرنامج بالتعاون مع جمعية بيرزيت الخيرية النسائية التي كانت تدير عيادة في قرية بيرزيت تحت قيادة ممرضة قديرة هي جورجيت عبد. وكان هناك طبيب يعمل في العيادة لبضع ساعات أسبوعياً، حيث كان يقوم بتوفير اللقاحات ومتابعة النمو لأطفال بيرزيت والقرى المحيطة.

واستندنا إلى ما هو موجود، فأقمنا مختبراً طبياً، وهو ضروري من أجل تقديم تشخيص طبي جيد. وقمنا بزيادة عدد ساعات الدوام للطبيب في العيادة،

ووضعنا المناهج ثم دربنا عاملات صحيات من القرى السبع المحيطة ببيرزيت. ثم قمنا بتعيين قابلة للعمل في العيادة وفي البيوت، وأشرفنا على العاملات الصحيات ووفرنا لهن الدعم. وركزنا على الزيارات المنزلية، والتثقيف الصحي، وحشد تأييد المجتمع المحلي لحل المشاكل التي يقع عليها الاختيار، مثل صحة البيئة والإسكان. وعملنا بشكل وثيق مع كافة الأطراف المعنية لتشغيل برنامج شامل للرعاية الصحية الأولية، بما في ذلك العمل مع الفلاحين في تمديد أنابيب لمياه الشرب، وذلك من أجل تحسين صحة البيئة وتمهيد الطريق أمام دخول برنامج الجامعة لمحو الأمية وتعليم الكبار إلى القرى المستهدفة. كذلك قمنا بدمج البرنامج الصحي للقرى مع برنامج الخدمات الصحية للطلاب، وكانت تلك هي بداية الخدمات الصحية للطلاب في الجامعة.

بناء طاقم مؤهل للعمل في الصحة العامة

شكل نجاح برنامج عيادة بيرزيت نموذجاً لبرامج الرعاية الصحية الأولية الأخرى التي ما زالت قائمة حتى يومنا هذا. وقامت وزارة التربية والتعليم العالي في أواسط التسعينات باعتماد برنامج تدريب العاملين الصحيين كدبلوم متوسط بعد المرحلة الثانوية. إن العاملين الصحيين المجتمعيين هم ركيزة المبادئ التي تقوم عليها الرعاية الصحية الأولية، وقد تفردت فلسطين بين جميع الدول العربية في اعتماد مثل هذا البرنامج. في الواقع إن برنامج الدبلوم المتوسط هو دليلٍ على أنه يمكن للعمل الجماعي والنضال من أجل التحرر أن يحققا تقدماً جوهرياً في طبيعة الصحة العامة وعلى مستوى الممارسة. وتكمن المفارقة في الواقع الذي نعيشه في ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلي، والذي يمكن من تحقيق تغيير بنيوي كبير من الصعب تحقيقه في ظل ظروف مختلفة.

سعينا خلال ثمانينات القرن الماضي إلى الحصول على منح دراسية لطلابنا من أجل متابعة دراستهم والحصول على شهادة الماجستير من الخارج، والتي لم تكن متوفرة في الجامعات المحلية. فبناء المؤسسات كشكل من أشكال مقاومة الاحتلال يعني أولاً وقبل كل شيء بناء قدرات المتخصصين في الأبحاث والمهن اللازمة محلياً. وقد كان أول أخصائي في علم الطفيليات، وأخصائي تغذية، ومثقف صحي، وأخصائي في صحة البيئة في البلاد من بين طلاب الأحياء الذين درّستهم. لقد وفر لي التدريس في دائرة الأحياء الفرصة للتأثير على الطلاب

برنامج القبالة. فوق: ورشة عمل عقدت كجزء من برنامج تدريب وإرشاد القابلات في سلفيت، ٢٠٠٩. مستشفى سلفيت هو واحد من ثلاثة مستشفيات تتلقى المساعدة من معهد الصحة العامة والمجتمعية من أجل تحسين جودة الرعاية للولادة. تحت: عيادة الأم والطفل. الصورة من طاقم معهد الصحة العامة والمجتمعية.

الشؤون الصحية الفلسطينية في المجلة الطبية "لانسيت"

في عام ١٩٩٧، قام د. ريتشارد هورتون Richard Horton، رئيس تحرير المجلة العالمية المعروفة والمتخصصة في الشؤون الطبية وشؤون الصحة العامة «لانسيت» بتكليف الهيئة التدريسية والباحثين في معهد الصحة العامة والمجتمعية بكتابة خمس مقالات حول الأوضاع والخدمات الصحية الفلسطينية. وقد تضمنت هذه العملية جهداً مكثفاً لجمع الأدلة العالمية والمحلية، والوصول إلى قواعد البيانات المحلية، وتقييم جودة المواد التي تم جمعها. وقد شارك في كتابة هذه المقالات الخمس ثمانية وثلاثون شخصاً، من بينهم تسعة عشر أكاديمياً وباحثاً فلسطينياً من جامعة بيرزيت ومؤسسات محلية أخرى، وتسعة عشر أكاديمياً وباحثاً خارجياً من لبنان، وأوروبا، والولايات المتحدة وكندا. وقد تم نشر هذه المقالات ضمن سلسلة اعتباراً من ٤ آذار ٢٠٠٩، وتناولت موضوعات الظروف والخدمات الصحية، وأمراض القلب والأوعية الدموية، والسكري والسرطان، والصحة والأمن الإنساني ومستقبل نظام الرعاية الصحية.

وانبثق «تحالف لانسيت - الصحة الفلسطينية» من العمل الذي نتجت عنه سلسلة المقالات، وجاء تعبيراً عن الإرادة المشتركة للعلماء والباحثين الفلسطينيين والدوليين لإجراء الأبحاث وكتابة التقارير حول الأوضاع الصحية للفلسطينيين، من خلال وضع الصحة ضمن إطار منسجم مع الواقع الاجتماعي والسياسي للفلسطينيين، وليس ضمن إطار طبي فحسب، ومن خلال وضع قياسات مفصلة والتحقق من صلاحيتها لتقييم الوضع الصحي في ظل الحالات الحربية المزمنة.

ومساعدتهم على إدراك أهمية تخصصات الصحة العامة، وهو أمر كان غائباً كلياً في بلادنا حتى ذلك الوقت، باستثناء اختصاصي الطب والتمريض كجزء من نموذج الطب البيولوجي، وهما تخصصان ضروريان ولكن غير كافيين.

في أواسط التسعينات، كان علينا تحقيق نقلة نوعية في أعمال معهد الصحة العامة والمجتمعية، بما ينسجم مع توجهنا نحو تحديد أنشطتنا بناءً على الاحتياجات الاجتماعية، حيث بات من الضروري المساهمة في تدريب الفلسطينيين على تولي مسؤولية الرعاية الصحية في البلاد، وهي صلاحية تم نقلها إلى السلطة الوطنية الفلسطينية الناشئة في ذلك الوقت. لذا، قمنا في عام ١٩٩٤ بإجراء مسح لكافة العيادات الموجودة في الضفة الغربية وقطاع غزة، استعداداً لوضع برامج لشهادة الدبلوم العالي في الرعاية الصحية الأولية والماجستير في الصحة العامة والمجتمعية. وقد استخدمت نتائج المسح في وضع المناهج التي أقرها خبراء في الصحة العامة ومزاولون للمهنة على المستويين المحلي والدولي، ومن بينهم خبراء من منظمة الصحة العالمية. وقد تخرج من المعهد لغاية حزيران ٢٠٠٩، ٢٣٥ خريجاً حائزاً على شهادة الماجستير في الصحة العامة، نصفهم من النساء، وتبوأ ثلثهم تقريباً مناصب رفيعة في شتى القطاعات الصحية. وما زلنا نسعى للحصول على منح لمساعدي الباحثين ولطلابنا لمتابعة تحصيلهم العلمي ونيل شهادة الدكتوراه، وذلك بعد أن يمضوا فترة من التوجيه والإرشاد في معهد الصحة العامة والمجتمعية.

نتبع في التدريس نفس المبادئ المتبعة في الأبحاث: نأتي بالنتائج من الأبحاث الميدانية إلى طلابنا للمناقشة. إن هذه النقاشات والتعليقات هي التي تضفي المعنى على نتائج الأبحاث. كما نقوم بزيارة الطلاب والخريجين بشكل منتظم في أماكن عملهم ضمن برنامج الزيارات الميدانية المستمرة، مما يساعدهم على التعامل مع بعض المعيقات التي يواجهونها في الممارسة العملية، كما يساعدنا على التعرف على بعض التغيرات المنهجية، والتي قد تكون سريعة في بعض الأحيان، ويمكننا في نفس الوقت من دمج هذه المعرفة البحثية والعملية المتبادلة في مواد التدريس. إن هذا النهج ضروري حتى تظل برامجنا التعليمية مستجيبة للحاجات الصحية للسكان.

المجتمعات المحاصرة

خلال الثمانينات كنا نقوم بالدمج ما بين الأبحاث، وبناء القدرات، والتخطيط وبناء النماذج من جهة، وما بين تنفيذ الأعمال الطارئة، مثل توفير الإسعافات الأولية للطلاب المصابين أو الذين تعرضوا لاعتداءات من الجيش الإسرائيلي. ثم أطلقنا خلال الانتفاضة الأولى مبادرات مثل فحص مستوى التلوث وإضافة مادة الكلور إلى خزانات المياه لمدينتي رام الله والبيرة التوأمين، تحسباً لاحتمال قيام الحكم العسكري الإسرائيلي بالانتقام من الأهالي عن طريق قطع إمدادات المياه عن المنطقة. وعندما قام الجيش الإسرائيلي بإغلاق مدارسنا، قمنا بالتدريس داخل البيوت، متحدّين بذلك أوامر الإغلاق، وتحولت مطابخنا إلى مختبرات تحتوي على معدات قمنا بنقلها من الجامعة كالمجاهر وغيرها.

أما خلال الانتفاضة الثانية، فقد اتبعنا سياسة المزج بين التنمية والإغاثة. فقمنا بأعمال الإسعاف الأولي ووفرنا الدعم عن طريق الهاتف والإنترنت للمحتاجين، كالمرضى المنتظرين لسيارات الإسعاف في ظل حظر التجول، والعائلات التي توجد لديها نساء في حالة ولادة، واللواتي كان عليهن انتظار رفع حظر التجول من أجل التوجه إلى المستشفى، وسائقي سيارات الإسعاف ومزودي الرعاية الصحية الذين كانوا يقومون بإيصال الأدوية والمستلزمات الأساسية الأخرى، مثل حليب وطعام الأطفال إلى القرى المعزولة التي كان لدينا اتصال معها.
وواصلنا تدريس طلابنا، رغم أننا كنا نعمل في مرآب للسيارات، كما كان الحال في البدايات (مع فرق أن مرآب السيارات هذا موجود داخل رام الله). ولكن، وخلافاً للأحوال في الانتفاضة الأولى، فقد استفدنا من خدمات البوابة الإلكترونية الممتازة لجامعة بيرزيت (رتاج) وتوفر الإنترنت والهواتف الخلوية للاتصال بطلابنا. كما عملنا على توثيق انتهاكات الجيش الإسرائيلي ضد الناس مثل السرقة، وتدمير الممتلكات، واحتلال البيوت لاستخدامها كمواقع للراحة أو للمراقبة بعد حبس العائلات في غرفة واحدة في البيت. وقمنا بتوثيق تبعات ممارسات الجيش الإسرائيلي من دمار للبنية التحتية والمؤسسات، إلى القتل والجرح والإعاقة والمشاكل الصحية الأخرى التي عاني منها الأهالي الرازحون تحت ذلك العنف السياسي الشديد منذ عام ٢٠٠٠. في الواقع، فإن بعض المقالات التي نشرناها والتي تم الاقتباس منها والاستشهاد بها، ركزت على تبعات اجتياح مدن الضفة الغربية عام ٢٠٠٢ على صحة السكان، والحالة الصحية والخدمات الصحية المتاحة للفلسطينيين تحت الاحتلال العسكري الإسرائيلي (وقد نشرت هذه المقالة الأخيرة عام ٢٠٠٩ في المجلة الطبية العالمية "لانسيت" *Lancet*) – أي أننا دمجنا بين العلم وبين المناصرة.

مع حلول ربيع عام ٢٠١٠، أنجزنا دراسة حول تبعات العدوان الإسرائيلي الوحشي على قطاع غزة في كانون الأول ٢٠٠٨ – كانون الثاني ٢٠٠٩، وقمنا بعرض النتائج الأولية في المؤتمر الثاني "لتحالف لانسيت – الصحة الفلسطينية" الذي انعقد في آذار ٢٠١٠. كما نواصل عملية توثيق المعاناة الاجتماعية للفلسطينيين نتيجة للحرب، ونقدم الأدلة على واقع العيش في ظل مثل هذه الظروف الصعبة والجائرة، ونبحث في تفاصيل تبعات الحرب على الصحة. إننا نقوم بذلك لغايات تتعلق بالسياسات والخطط ومساعدة الخدمات الصحية على تلبية احتياجات الناس. لكن لأبحاثنا هدفاً آخراً: يجب أن يعرف العالم.

EXIT

الفصل الثاني عشر

نسيم منعش من الثقافة الحية

فيرا تماري

يقع حرم جامعة بيرزيت فوق تلة مرتفعة مطلة على سلسلة من التلال الممتدة نحو البحر الأبيض المتوسط، على الموقع الأثري المعروف باسم خربة بيرزيت، وهي أطلال بيرزوتو "Berzotho"، التي ذكرها المؤرخ الروماني يوسيفوس. لقد شيدت مباني الجامعة الضخمة بواجهاتها الحجرية على نمط البناء الحديث، مغايرةً بشكل صارخ محيطها المكوّن من كروم الزيتون والسلاسل الحجرية والقرى الصغيرة الجاثمة في حضن المشهد الفلسطيني.

بالنسبة لمن عاصر الجامعة قبل حوالي عام ١٩٨٠، هذا هو الحرم "الجديد". أما الحرم "القديم" فهو ذلك المكان الحميم الذي كان يتكون من بيت عائلة ناصر والمباني المجاورة التي كانت في عام ١٩٢٤ مدرسة ابتدائية، ثم أصبحت لاحقاً كلية متوسطة ثم جامعة.

مديرة متحف المقتنيات التراثية والفنية فيرا تماري تتحدث إلى الطلاب في معرض «دورة»، والذي يضم أعمال خمس فنانات فلسطينيات، ٢٠٠٧.

في قلب الثقافة

ما يزال بيت ناصر الذي بُني في نهاية الحكم العثماني قائماً، وهو يشهد على جمال العمارة الفلسطينية الأصلية من ناحية المبنى والطراز. فهو نموذج للبيوت التقليدية للعائلات الفلسطينية الكبيرة التي انتشرت في

الصفحة المقابلة: زيارة لفريق كرة القدم الوطني الأردني للبنات في عام ٢٠٠٩. تصوير: ياسر درويش.

لعبت تانيا تماري ناصر، زوجة الرئيس السابق للجامعة وعضو اللجنة دوراً رئيسياً في التنمية الثقافية للجامعة، فكان دورها كبيراً في جلب خمسة وسبعين عملاً فنياً تبرع بها للجامعة الفنان مروان قصاب باشي، السوري المولد والمقيم في برلين. كما ساعدت على تنظيم معرض «لأجل أطفال فلسطين» الذي جال في ثماني عشرة بلدة فلسطينية بالإضافة إلى مجدل شمس في الجولان المحتل. وقد جرى تنظيم العديد من المعارض الأخرى في صالتي العرض القائمتين في الجامعة. وكان «يا شافي يا كافي» هو أول معرض مهم للتراث الثقافي من مجموعة الحجب الفلسطينية الخاصة بتوفيق كنعان. كما تضمنت المعارض التي تمت استضافتها معارض فردية لكبار الفنانين التشكيليين الفلسطينيين، من بينهم سليمان منصور، ويزيد عناني وتيسير بركات.

البلدات والقرى الفلسطينية في أواخر القرن التاسع عشر. وهو يحتوي على حديقة أو ساحة واسعة، وباب خشبي كبير على شكل قنطرة يفضي إلى إيوان أو قاعة مسقوفة بعقدة عربية تقليدية (مصلّبة)، وأرضيتها مرصوفة بالبلاط الضخم المصقول. أما النافذتان الضيقتان القائمتان على جانبي المدخل بشكل متناظر، فهما تدخلان ضوءاً خافتاً إلى القاعة وبعض النسيم البارد. ما تزال خزانات الطلاب موجودة هناك، تحيي ذكريات الأيام الخوالي. وتفضي الأبواب من الإيوان إلى ملحق معقد من الغرف الأخرى والصالات التي كانت تستخدم يوماً كقاعات طعام للطلاب والمدرسين، ومطبخ، ومكاتب لشؤون التسجيل والمالية.

عندما توسعت مدرسة بيرزيت لتصبح كلية متوسطة ومن ثم جامعة كاملة، توسعت مبانيها أيضاً. كانت الكليات، والصفوف والمكاتب مبعثرة هنا وهناك في مبانٍ مستأجرة وبيوت مقببة تقليدية وسط ما كان في ذلك الوقت "قرية" بيرزيت. كان "الحرم القديم" حميماً وجميلاً، فبساتين الفاكهة وكروم العنب كانت تحيط بالصفوف، ولم يكن أمراً غير مألوف سماع نهيق حمار أو صوت بائع متجول ينادي على بضاعته خلال الحصص، أو عنزة تطل بوجهها عبر قضبان النافذة، أو انبعاث رائحة خبز الطابون أو الطبخ من أحد البيوت القريبة. فحميمية ذلك المكان المتجذر في التاريخ والثقافة هي التي أضفت على الحرم القديم سحره وطابعه المحفور أكثر من أي شيء آخر في ذاكرة الخريجين.

تحدي العزلة

منذ تأسيسها كمدرسة للبنات في عام ١٩٢٤، أعطت بيرزيت أولوية للأنشطة الثقافية، معتبرة إياها أساساً في تنمية أفراد يتحلّون بالقدرة على الإبداع، والعطاء والخيال. وعلى مرّ السنين، لعبت جامعة بيرزيت دوراً كبيراً في تنظيم الأنشطة الثقافية الكبرى وفي استضافتها. وقد قدمت الفرق الطلابية المكونة من الهواة عروضاً في الموسيقى، والرقص والمسرح (سنابل، وجذور ومواسم على التوالي) محلياً وفي الخارج، ولعبت دوراً هاماً في تعزيز الروح الثقافية لبيرزيت ولفلسطين، وفي التصدي للعزلة الثقافية التي يفرضها واقع الاحتلال على المجتمع الفلسطيني. بالنسبة للفلسطينيين، بات الصمود وحماية التراث الثقافي الفلسطيني من أشكال المقاومة الضرورية لمواجهة المخاطر المتصاعدة، والمتمثلة بفقدان الأرض، وهدم البيوت، واقتلاع أشجار الزيتون والاستيلاء على التراث الثقافي المادي.

وبهدي من روح الصمود هذه، استضافت الجامعة خلال الثمانينات مهرجان فلسطين الصيفي الدولي للموسيقى والرقص، بالشراكة مع مركز الفن الشعبي. وكان هذا المهرجان حدثاً ثقافياً فلسطينياً بارزاً يجتذب آلاف المشاهدين سنوياً، وقد استضاف فرق رقص وغناء عالمية، مثل فرقة كيلابون للموسيقى الشعبية من التشيلي Quilapaun، وفرقة ستومب Stomp للإيقاع والحركة والعروض الكوميدية من المملكة المتحدة، والمطرب الفرنسي–الجزائري المعروف رشيد طه. وكان تجاوب المشاهدين مع هذه العروض كبيراً، حيث كانوا يغنّون معهم ويرقصون على أنغامهم. وفي أحد المهرجانات الصيفية، تم بناء مجسّم كبير للقرية الفلسطينية من مادة البوليستيرين المطلي، بما فيها الطرق المتعرجة، والساحات، والمقاهي التقليدية، ودكاكين الحرف التقليدية، حيث قام الحرفيون بعرض مهاراتهم التقليدية بكل فخر، كنفخ الزجاج وصناعة الخزف من الخليل، وحياكة السجاد من السَّموع، والحفر على الخشب والتطعيم بالصدف من بيت لحم. كان لتلك المهرجانات والأنشطة أثر يطهّر النفس ويشحذها في مواجهة القمع الوحشي للاحتلال العسكري الإسرائيلي.

أما أسبوع التراث، وهو نشاط سنوي كان الهدف منه مواجهة خطر العزلة الثقافية، والتوعية والتشجيع على المشاركة في حماية التراث الثقافي. كان

مجلس الطلبة ينفذ هذا النشاط الذي كان يجتذب الزوار من المجتمع المحلي لحضور المعارض والعروض الموسيقية والراقصة، والبرامج التثقيفية التي تستغرق أسبوعاً كاملاً. وكانت المعروضات تتضمن مقتنيات قديمة وفنية مثل أدوات الزراعة والفخار البيتي، ومنتجات القش والأثواب المطرزة.

وشكل "سوق عكاظ" ومسابقته الشعرية حدثاً ثقافياً سنوياً بارزاً ميّز بيرزيت منذ أن كانت مدرسة ابتدائية، حيث كان المشاركون في المسابقة يتنافسون على مهارة حفظ وإلقاء الشعر العربي الكلاسيكي.

التضامن الثقافي

بسبب موقعها المتميز كمؤسسة أكاديمية وطنية، شكلت بيرزيت مركز جذب للشخصيات الثقافية الدولية من مفكرين، وكتاب، وفنانين، وشعراء، وموسيقيين وغيرهم ممن كانوا يزورون فلسطين إما للعمل في برامج محددة، أو للتضامن، أو لمجرد التعرف على المؤسسة وعلى رسالتها الأكاديمية الهامة. تضم قائمة الضيوف المميزين الروائي وأستاذ الأدب أندريه برينك Andre Brink من جنوب أفريقيا، والناقد الفني، والروائي، والرسام والكاتب البريطاني جون بيرجير John Berger، ومصممة الأزياء البريطانية بيلا فرويد Bella Freud، والرسام الفرنسي إرنست بينيون–إرنست Ernest Pignon-Ernest، والروائية والناشطة الثقافية المصرية أهداف سويف.

قام الفنانون الفلسطينيون الحائزون على جوائز بتقوية أواصر علاقاتهم مع الجامعة. ففي عام ١٩٨١، قدم المخرج السينمائي ميشيل خليفي من الناصرة العرض الأول لفيلمه "ذاكرة خصبة" في حرم الجامعة، أعقبه نقاش للفيلم مع الطلاب. كما قدم كل من المخرج الفلسطيني إيليا سليمان (مخرج يد إلهية، وسجل اختفاء، والزمن المتبقي) والفنانة العاملة في الفنون البصرية إميلي جاسر إلى بيرزيت لتدريس المساقات والمشاركة في الحياة الثقافية للجامعة. وأمضت الفنانة الفلسطينية الأميركية سامية حلبي شهراً في عام ١٩٩٦ للعمل على مشروع فني مع طلاب الهندسة المعمارية في جامعة بيرزيت.

رئيس الجامعة حنا ناصر (إلى اليسار) يرحب بالسيدة ليلى منتورة، كريمة د. توفيق كنعان وأبنائها بمناسبة افتتاح معرض مجموعة توفيق كنعان للتمائم الفلسطينية، ١٩٩٦. وزير الثقافة ياسر عبد ربه يقف بجانب د. ناصر. تصوير: ياسر درويش.

بناء المقتنيات الفنية للجامعة

تستعمل الفنانة التلحمية الأصل إميلي جاسر العديد من الوسائط في فنها (الأفلام، والصور الفوتوغرافية، والرسم والتركيب). وقد أسهمت في تطوير أرشيف أشرطة الفيديو الخاص بالجامعة من خلال تبرعها بما يزيد على ١٠٠ شريط قامت بجمعها من فناني فيديو عالميين من ثمانية وعشرين بلداً. كما قامت في عام ٢٠٠٢ بتنظيم مهرجان فلسطين الدولي للفيديو مع جون مينك.

من ناحيتها، قادت سامية حلبي حملة في الولايات المتحدة لجمع أعمال فنانين وتقديمها هدية لمتحف المقتنيات التراثية والفنية. كما تبرعت ببعض لوحاتها ورتبت للحصول على أعمال أصلية للفنان الفلسطيني-الأميركي سري خوري، والذي توفي بعد ذلك بوقت قصير. كما تبرع كل من كمال بلاطة، وفلاديمير تماري، وفيرا تماري، وناصر سومي، وإيناس ياسين، وسميرة بدران ببعض أعمالهم للمتحف.

كما قدم آخرون هدايا قيّمة للجامعة بدافع من تضامنهم مع بيرزيت وفلسطين، أو تقديراً لدور الجامعة الوطني، والأكاديمي والثقافي. ففي عام ١٩٩٦، قامت عائلة د. توفيق كنعان، وهو طبيب وباحث متمرس بالتبرع بمجموعته النادرة من الحجب الفلسطينية، والبالغ عددها ١٤٠٠ حجاب، والتي كان كنعان قد وثّقها بنفسه. وفي عام ١٩٩٤، قام الرسام السويسري رينيه فورير Rene Feurer بإهداء الجامعة ست لوحات كبيرة جميعها مستوحاة من كتابات الفيلسوف والشاعر الصوفي من القرن التاسع أبي يزيد البسطامي. ويتذكر العاملون والطلاب كم كان صعباً إدخال هذه اللوحات الضخمة من المدخل الضيق نسبياً، حتى أن فورير اضطر إلى تفكيك لوحاته، ونشرها وسط أحد الطرق الداخلية للجامعة وإعادة تركيبها وتأطيرها داخل المبنى. وتزدهي بها الآن المكتبة والردهة في قاعة كمال ناصر.

قد تكون الأمسية الشعرية للشاعر الفلسطيني العالمي محمود درويش لدى عودته من المنفى في عام ١٩٩٥ إحدى أهم المحطات في تاريخ جامعة بيرزيت. فقد اختار الشاعر الراحل جامعة بيرزيت لتلك اللحظة التاريخية، التي حضرها آلاف الناس المتحمسين لتحية ابن فلسطين تحية الأبطال. وفي زيارة أخرى، قاد درويش وفداً من الكتاب العالميين والحائزين على جائزة نوبل من أعضاء البرلمان العالمي للكتّاب في زيارة إلى جامعة بيرزيت: من أفريقيا الروائي النيجيري الحائز على جائزة نوبل وولي سوينكا Wole Soyinka والشاعر وكاتب السِّير من جنوب أفريقيا برايتين برايتنباخ Breyten Breytenbach، ومن الصين الشاعر المنشق باي داو Bei Dao، ومن أوروبا الروائي الإسباني خوان غويتسولو Juan Goytisolo، والحائز على جائزة نوبل البرتغالي خوزيه ساراماغو José Saramago، والروائي الإيطالي فينسينزو كونسولو Vincenzo Consolo، والكاتب الفرنسي والأمين العام للبرلمان العالمي للكتّاب كريستيان سالمون Christian Salmon، ومن الولايات المتحدة الروائي راسل بانكس Russel Banks. لقد جاءوا كلهم للتضامن مع محمود درويش وللتعبير عن تقديرهم لصمود الفلسطينيين وقدرتهم على التكيّف خلال الاجتياح الوحشي والحصار الإسرائيلي. وفي بيان صدر بمناسبة هذه الزيارة ووقعه جميع الكتاب، قال محمود درويش:

"تذكروا هذا اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار ٢٠٠٢. هذا يوم تاريخي زار جامعة بيرزيت فيه كبار كتاب العالم. إنه لشرف لي أن أكون هنا بصحبتهم".

كان كل من الراحلين درويش وإدوارد سعيد المفكر الفلسطيني المعروف والأستاذ

الروائية المصرية أهداف سويف تلقي محاضرة في جامعة بيرزيت في تشرين الأول ٢٠٠٣ خلال زيارتها الأولى إلى فلسطين. يظهر إلى اليسار عميد كلية الآداب. د. أحمد حرب. تصوير: ياسر درويش.

الشاعر سميح القاسم. تصوير: ياسر درويش.

في جامعة كولومبيا زائرين يترددان كثيراً على جامعة بيرزيت وتربطهما بها علاقة خاصة. فكلاهما حصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من الجامعة. وقال سعيد ممازحاً أصدقاءه ذات مرة أن هذه الشهادة هي ربما الدكتوراه الفخرية الوحيدة التي حصل عليها في حياته، وأنه فخور بأن مؤسسة فلسطينية قدّرت كتابته وإسهاماته الأدبية.

وكرّمت الجامعة سعيد بإطلاق اسمه على المعهد الوطني للموسيقى الذي أصبح اسمه "معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى". وكان سعيد المتحدث الرئيسي في المؤتمر الدولي الذي نظمته الجامعة سنة ١٩٩٨ تحت عنوان «نظرة إلى المشهد الفلسطيني» Landscape Perspectives on Palestine والذي كان يهدف إلى جذب الانتباه إلى التغييرات التي تؤثر على المشهد الفلسطيني. وقدم سعيد ورقة بعنوان:"فلسطين: الذاكرة والابتكار والمكان Palestine: Memory, Invention and Space". وبالإضافة إلى سعيد، فقد ضمت قائمة المفكرين العالميين الذين شاركوا في المؤتمر إبراهيم أبو لغد من جامعة بيرزيت، والأستاذ مالكولم واجستاف Malcolm Wagstaff من جامعة ساوثهامبتون، والأستاذ و.ج.ت. ميتشل W.J.T. Mitchell من جامعة شيكاغو.

طلاب وضيوف جامعة بيرزيت يرحبون بالشاعر محمود درويش خلال أول لقاء شعري يجريه في فلسطين بعد عودته من المنفى في عام ١٩٩٥. تصوير: ياسر درويش.

إطلالة معاصرة على الثقافة والفن

يسعى الفلسطينيون الرازحون تحت الاحتلال بجدٍّ نحو تعميق الاهتمام، وزيادة الوعي وتشجيع المشاركة في الأنشطة الثقافية والإبداعية. وطالما كانت جامعة بيرزيت مبادرة في هذه المساعي. ففي عام ١٩٩٧، قامت الجامعة بتشكيل اللجنة التأسيسية لدعم التراث الثقافي، والتي انبثق عن جهودها تأسيس صالة عرض الفنون التراثية في مكتبة يوسف أحمد الغانم في عام ١٩٩٨ وصالة عرض "القمرية" للفنون في مركز ديانا تماري صباغ للتراث الثقافي في عام ٢٠٠٢.

وقد شكلت صالات العرض هذه مقدمة لتأسيس متحف المقتنيات التراثية والفنية الذي يهدف إلى حفظ وصيانة، وتسجيل وترويج المقتنيات التراثية والفنية الهامة لدى الجامعة. وتتضمن هذه المقتنيات مجوعة توفيق كنعان للحجب (١,٤٠٠ حجاب)، ومجموعة المطرزات التقليدية الفلسطينية (٢٥٠ قطعة من الأثواب

إدوارد سعيد عقب تسلمه الدكتوراه الفخرية من جامعة بيرزيت - وهي الأولى التي تمنحها الجامعة - في تموز ١٩٩٣. تصوير: ياسر درويش.

المطرزة، والحلي والمجوهرات)، والمجموعة الفنية (حوالي ٢٠٠ عمل فني لفنانين فلسطينيين، وعرب وأجانب). قد يكون متحف المقتنيات التراثية والفنية أحد أول الأماكن الثقافية المتخصصة في أي مؤسسة أكاديمية فلسطينية، حيث إنه أصبح المركز الثقافي الرئيسي في رام الله، ورسالته الرئيسية هي إثارة الاهتمام العام والعلمي بالمحافظة على التراث الثقافي الفلسطيني وإحيائه، وتنشيط وتشجيع الانخراط في المشهد الفني والثقافي المعاصر داخل الحرم الجامعي. لذا، فإن الجامعة تفتح معارضها وأنشطتها للطلاب، والعاملين ومختلف الزوار، مجموعات وأفراد. ومن بين المجموعات التي تحظى بالاهتمام تلاميذ المدارس الذين تصمم من أجلهم الأنشطة والورشات الهادفة إلى تعزيز قدرتهم على تقدير الفن والتراث الفلسطيني وتشجيعهم على المشاركة.

استضاف المتحف ونظم الكثير من المعارض للتراث والفنون البصرية منذ تأسيسه في عام ٢٠٠٥، مجتذباً آلاف الزوار، وذلك بالتنسيق في كثير من الأحيان مع المؤسسات الثقافية المحلية والعالمية.

كان هذا الاهتمام بالتواصل مع المجتمع ومحاكاة اهتمامه بنشر الفن والثقافة هو الدافع المحدد لإطلاق المتحف الافتراضي في عام ٢٠٠٤، وهو موقع إلكتروني متخصص في الفنون البصرية الفلسطينية المعاصرة. وقد جاء نتيجة للحصار الذي فرض في السنوات الأخيرة وكأحد أشكال محاربة عزلة الفلسطينيين عن بعضهم البعض وعن العالم الخارجي، وحبسهم في بلداتهم وقراهم، وهو وضع تفاقم مؤخراً نتيجة بناء جدار الفصل العنصري.

وفيما يتطور دور الجامعة كمركز ثقافي يواجه التحديات الجديدة وتغير الأزمان، فإنها ما تزال تعمل بهدي من روح البدايات وتواصل دورها كمؤسسة تتسم بروح الثقافة الحية.

تركيب فني من تنفيذ طلاب الهندسة المعمارية (محاكاة لمؤتمرات قادة دول العالم) في متحف المقتنيات التراثية والفنية. أما أجزاء الجدار فهي من التركيب الفني لجواد المالحي بعنوان «البيت ١٩٥».

قائمة جزئية لبعض المعارض

«شعب بلا دولة»، لساندي هلال وأليساندرو بيتي، وهو المعرض الذي تم افتتاح المتحف به عام ٢٠٠٥

«حسن في كل مكان»، لحسن حوراني

«الجانب الأكثر خضرة من الخط»، لألبان بياسو

«مشروع الزيتون»، وهو معرض دولي جماعي نظمه ميزوكو ياكوا

«عائلة بدران: قرن من التقاليد والابتكار»، نظمته سلوى مقدادي

«القدس:معجم من الألوان»، نظمته فيرا تماري وتينا شيرويل

«القدس بيتنا»، نظمه فيرا تماري وبهاء الجعبة (المعرض الأول ضمن سلسلة من المعارض عن المدن الفلسطينية خطّط المتحف لاستضافتها بين ٢٠٠٩ و٢٠١١.)

«من صنع يديها»، نظمه فيرا تماري، وبهاء الجعبة، وميسون الشرقاوي.

إنتاج الفن

عندما استدارت سيارة التاكسي وشاهدت حرم جامعة بيرزيت عبر الوادي الصغير، شعرت بالفخر وأحسست بفلسطين. شعرت برغبة صادقة ونابعة من القلب بدعم الجامعة. وشعرت بسعادة عارمة عندما دعتني فيرا تماري إلى التدريس معها والعمل مع طلابها على مشروع خاص.

وفكرت في الطريقة التي يمكن لي فيها أن أعرّف الطلاب على فكرة استلهام الواقع وتجاربهم الخاصة لخلق شيء مجرّد. وقررت أن المواد المستخدمة يجب أن تكون متوفرة بكثرة، وممتعة ورخيصة الثمن، لأن المهمة كانت صعبة. لذا، قررت أن أجعلهم يستخدمون معجون الورق papier-maché.

كان طلابي في جامعة بيرزيت يبدون أبرياء بالمقارنة مع الطلاب الأميركيين. وقد أحبوا المشروع بالدرجة الأولى بسبب متعة العمل بمعجون الورق. واجتمع الطلاب في لقاءات اجتماعية لتمزيق الورق وعجنه، فيما كانوا يضحكون ويثرثرون. وقام أحد الطلاب بزيارة جدته في القرية وعاد ومعه دوائر من معجون الورق المجفف، مستلهماً في ذلك خبرتها في الخبيز.

كنت قد أشرت إلى أن بإمكانهم استخدام الحجارة كدعامة للورق خلال تجفيفه، وفي أحد الأيام دخلت مجموعة منهم إلى الصف ومعها عربة يد مليئة بالحجارة، حيث شرح أحدهم قائلاً: "آنسة، هذه هي حجارة بلادي". حركت هذه الجملة البسيطة مشاعري فاستخدمتها عنواناً لأحد أعمالي.

فيرا تماري مدرّسة متمرسة، تكمن ميزتها الكبرى في تقديمها المساندة للطلاب بشكل شخصي، والتحدث إليهم بجدية حول كل عمل يقومون به. بعد عملي بشكل مباشر مع الطلاب، أنجزت فيرا المشروع وقامت بعد ذلك بدعوتي لحضور معرض شكل تتويجاً للنتائج الرائعة.

إن طلبة جامعة بيرزيت، مثلهم مثل الطلبة الفلسطينيين بشكل عام، يأخذون التعلم بجدية شديدة. قد تكون التجربة التي أثرت علي بشكل كبير هي عندما طلب مني أحد الطلاب أن أقوم بزيارة طالب آخر محتجز في أحد سجون السلطة الوطنية الفلسطينية لكي يتمكن من

تصوير: ياسر درويش.

زوار المتحف. تصوير: سامر الشريف.

إنهاء مشروعه. وقمت بذلك، وما رأيته لقنني درساً. إنني على ثقة أن إسرائيل لن تستمر، وأن فلسطين ستتحرر وأن طلابنا سيجربون التعلم دون مرارة الاحتلال والقمع.

سامية حلبي، فنانة وكاتبة فلسطينية.

الفصل الثالث عشر

البرامج والمبادرات الموجهة نحو المجتمع

تشكل خدمة المجتمع، إضافة إلى التدريس والأبحاث الأركان الثلاثة التي تستند إليها رسالة بيرزيت، بما يجعل ما تقدمه كمؤسسة تعليمية يتسم بالرجاحة والتوازن. بالفعل، فإن الجامعة التي لا تتواصل مع المجتمع الذي يفترض فيها خدمته تفشل بعد حين. وتأكيداً منها على التزامها نحو المجتمع، فقد أوجدت الجامعة منصب نائب الرئيس للشؤون المجتمعية بهدف الإشراف على البرامج والأنشطة المجتمعية، وتطويرها وتعزيزها.

يلقي هذا الفصل الضوء على المعاهد، والمراكز والبرامج التي أقامتها الجامعة من أجل خدمة المجتمع وتوعيته تجاه القضايا العامة، وذلك بمبادرة من العاملين في كثير من الأحيان. تقوم معاهد ومراكز بيرزيت بتوفير التدريب، والاستشارات، والتعليم المستمر، والأبحاث التطبيقية. علاوة على ذلك، تقدم المعاهد برامج دراسية عليا. وقد توقفت قبل بضع سنوات مبادرتان كانتا قد انطلقتا خلال السبعينات، هما مركز الأبحاث وبرنامج محو الأمية، إلا أنهما لعبا دوراً هاماً في خدمة المجتمع عندما كان المجتمع في أمسّ الحاجة إليهما، مما اقتضى ذكرهما في هذا السجل. أما برنامجا العمل التطوعي والصحة العامة اللذان انطلقا في تلك الفترة أيضاً، فإنهما ما يزالان قائمين حتى هذه الأيام.

منشورات بعض المعاهد والمراكز المجتمعية في الجامعة. تصوير: ياسر درويش.

الصفحة المقابلة: قطف الزيتون عند المغيب. تصوير: رلى حلواني.

يصف منير فاشة، عضو الهيئة التدريسية وعميد شؤون الطلبة السابق الروح التي انبثقت عنها تلك المبادرات الأولى بقوله، "بدأت مجموعات الأصدقاء بالقيام بما كانوا مقتنعين بضرورته. ما ساعد على دعم ذلك النهج هو أن مرجعية العمل للناس كانت داخلية وليست صادرة عن سلطة أو مؤسسة مانحة. فكلمة "مقترح مشروع" كانت غريبة، والسلطة الوحيدة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة كانت جيش الاحتلال الإسرائيلي، وكانت في أعين الناس سلطة غير شرعية. إن غياب السلطة الشرعية حفّز الناس للقيام بما كانوا يستشعرون ضرورته، بصرف النظر عن الثمن الذي قد يتعين عليهم دفعه بالمقابل. وكان من المفاجئ أن تحقق الانسجام بين الناس دون تخطيط مسبق".

أما البرنامج الأخير الذي يصفه هذا الفصل، وهو حملة الحق في التعليم، فقد انطلق للدفاع عن حقوق الطلاب والأساتذة الفلسطينيين وعن حرية المؤسسات التعليمية في العمل وللتعبير عن هموم المجتمع الأكاديمي الفلسطيني محلياً ودولياً.

شارك عدد كبير جداً من الأشخاص في وضع البرامج التي عمّقت علاقة جامعة بيرزيت مع المجتمع بحيث لا تتسع هذه الصفحات لذكرهم جميعاً. وفيما يلي وصف لمجموعة مختارة من هذه البرامج، بقلم أساتذة وموظفين حاليين وسابقين، ممن أسهموا في إطلاق هذه البرامج أو تطويرها.

المعاهد والمراكز

تأسست معاهد ومراكز جامعة بيرزيت من أجل معالجة احتياجات مجتمعية محددة. وهي تقدم برامج موجهة نحو المجتمع، وتيسر النقاش، وتجري الأبحاث الموجهة نحو السياسات. وجميعها وظائف ضرورية من أجل التنمية الشاملة للمجتمع الفلسطيني.

- معهد الصحة العامة والمجتمعية (١٩٧٨): هو معهد يتبع نهجاً ريادياً متعدد التخصصات تجاه الصحة، نهجاً يستند إلى التخصصات الطبية، والوبائية، والاجتماعية وغيرها.

ندوة. من اليسار إلى اليمين: د. مضر قسيس (الديموقراطية وحقوق الإنسان)؛ الكاتب والمحلل السياسي ممدوح نوفل؛ د. سليم تماري (دائرة علم الاجتماع وعلم الإنسان). تصوير: ياسر درويش.

إصلاح جاد تتحدث في ندوة تعقد تحت رعاية معهد دراسات المرأة. من اليسار إلى اليمين: نداء أبو عواد وإصلاح جاد. معهد دراسات المرأة. الكاتبة فيحاء عبد الهادي. ريما ترزي. الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية. الناشطة والباحثة جنان عبدو. والمحاضرة في كلية الحقوق في الجامعة العبرية نادرة شلهوب كيفوركيان.

- مركز التعليم المستمر (١٩٩١): يعمل على بناء القدرة المؤسساتية والمجتمعية من خلال تصميم، وتطوير وتنفيذ برامج في التنمية التنظيمية، وإصلاح التعليم ومجالات أخرى.

- معهد الحقوق (١٩٩٣): يسعى لتحديث وتطوير الأطر والنظم القانونية الفلسطينية.

- معهد دراسات المرأة (١٩٩٤): يعمل على مأسسة قضايا النوع الاجتماعي كفرع أكاديمي.

- معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية (١٩٩٤): يسعى لتنمية العمل السياسي والدبلوماسي الفلسطيني من خلال التدريس، والتدريب، والأبحاث، وبرامج التوعية المجتمعية والتعاون الإقليمي والدولي.

- مركز تطوير الإعلام (١٩٩٦): يوفر التدريب المتخصص للإعلاميين الفلسطينيين المحترفين.

- مركز دراسات التنمية (١٩٩٧): يسهم في تحقيق التنمية المستدامة والتشاركية من خلال إجراء الأبحاث متعددة التخصصات، وتوفير الموارد العلمية والأنشطة الموجهة نحو المجتمع.

- معهد الدراسات البيئية والمائية (٢٠٠٧، بدل معهد الدراسات المائية٢٠٠١): يسعى للحفاظ على البيئة وتحسين ممارسات استخدام المياه وصولاً إلى الممارسات الفضلى.

- مركز مختبرات جامعة بيرزيت للفحوص (٢٠٠٧، بدل مركز البيئة والسلامة المهنية ١٩٨٢): يفحص جودة المنتجات الغذائية والدوائية ويسهم في حماية البيئة.

مؤتمر القانون والتاريخ، ٢٠٠٨. من اليسار إلى اليمين: د.نوبيرت رولاند، من Institut Universitaire de France وجامعة بول سيزان؛ د. كميل منصور، عميد كلية الحقوق والإدارة العامة؛ د. محسن يوسف، دائرة التاريخ، د. عبد طيارة، Cleveland State University.

- مركز نجاد الزعني للتميز في تكنولوجيا المعلومات (٢٠٠٨): يشجع على الإبداع في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

- المتحف الافتراضي (٢٠٠٤): يتيح الوصول إلى المعلومات حول الفنون المرئية والثقافة المعاصرة والفلسطينية. كما يستضيف هذا الموقع الإلكتروني المَعارض، ويتضمن أرشيفاً جامعاً للفن الفلسطيني المعاصر يستخدمه الزوار، ويوفر للفن فرصة للعرض في بيئة تنقصها الفرص الثقافية وتعاني من تضييق شديد على القدرة على الحركة.

- متحف المقتنيات التراثية والفنية: يعمل على تشجيع وتطوير التراث الثقافي الفلسطيني والفنون المرئية والتوعية بشأنها من خلال التوثيق، والمعارض، والأنشطة الثقافية والتبادل.

منشورات مركز الأبحاث. تصوير: ياسر درويش.

مركز الأبحاث

بالنسبة لطاقم وطلبة بيرزيت في أواسط السبعينات، فإن بناء الدولة كان يعني بالضرورة وضع الأرضية وحجر الأساس لها، أي بناء المؤسسات الوطنية القوية، والتي كانت جامعة بيرزيت واحدة منها. بالنسبة لنا، قد تكون هي المؤسسة الأهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة. فبالإضافة إلى تخريج الموارد البشرية التي تتحلى بالكفاءة والالتزام، والضرورية من أجل بناء الدولة المستقبلية وإدارتها بنجاح، فإننا كنا نؤمن أن بإمكان الجامعة أن تسهم في بناء الدولة بطرق عديدة، من بينها توفير المعلومات والأبحاث اللازمة للقيادة الوطنية، أي م.ت.ف، من أجل صياغة السياسات واتخاذ القرارات. لذا، كانت هناك حاجة واضحة إلى مركز يقوم بجمع المعلومات، ومعالجتها، وتحليلها، واستخلاص الدروس واقتراح الأعمال المطلوبة في شتى القطاعات، ويشجع ويدعم الأبحاث حول الشؤون الفلسطينية تحت الاحتلال، والتي يجريها باحثون من داخل وخارج الأراضي الفلسطينية المحتلة. من هنا، نشأت فكرة تأسيس مركز الأبحاث في الجامعة في عام ١٩٧٦.

قمت باقتراح الفكرة على رئيس الجامعة بالوكالة جابي برامكي (الذي كان يرأس مجلس الجامعة حيث كنت عضواً). وطلب مني أن أعرض الفكرة على المجلس خطياً، فقمت بتقديم المقترح إلى زملائي أعضاء المجلس (عمداء ورؤساء الدوائر في الجامعة) وحظي بقبولهم السريع. كان المشروع بحاجة إلى بعض التمويل الخارجي، ولكن توفيره لم يكن أمراً صعباً.

قام المركز بتمويل ونشر عدد من الدراسات خلال السنتين الأوليين من عمله، حول مواضيع هامة مثل احتياجات الإسكان في فلسطين والقرى الفلسطينية التي دمرتها إسرائيل منذ عام ١٩٤٨. ومن أجل مساعدة الباحثين والطلاب الراغبين في إجراء الدراسات، قام المركز بجمع وحفظ المقالات من الصحف المحلية حول جملة متنوعة من المواضيع مثل مصادرة الأراضي الفلسطينية، وهدم بيوت الفلسطينيين، وإقامة المستوطنات، والتعليم والخدمات الصحية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. كانت هذه المقالات تحفظ في ملفات، ويوضع لها فهرست حسب الموضوع ينشر بشكل ربع سنوي. وكانت هذه التقارير الغنية بالمعلومات حول مواضيع هامة ترتب وفق التسلسل الزمني، وتوزع مجاناً على المؤسسات والأفراد المهتمين. شكلت تلك البدايات الأولى لمقاربة منهجية في جمع المعلومات عن المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال، وتشجيع الدراسات والأبحاث الموجهة نحو السياسات بهدف توثيق وتحليل الجوانب الهامة في التاريخ والحياة الفلسطينيين.

في أيلول ١٩٧٨، غادرت بيرزيت متوجهاً إلى المملكة المتحدة لمتابعة الدراسة ونيل شهادة الدكتوراه، حيث حصلت على منحة من المجلس الثقافي البريطاني بدعم من جامعة بيرزيت. وفي السنوات التي تلت، قام أساتذة متميزون بتوجيه أنشطة مركز الأبحاث، مثل الراحل بكر أبو كشك، وكمال عبد الفتاح وآخرين أسهموا في تحسين نوعية الأنشطة.

أعتقد أن مركز الأبحاث قدم مساهمة كبيرة في تشجيع الأبحاث في جامعة بيرزيت، وخاصة تلك التي تعالج الشؤون الاجتماعية والتنموية والتي يحركها عموماً السعي نحو إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. لقد شكل مركز الأبحاث، بالإضافة إلى برنامج محو الأمية وتعليم الكبار الذي أسسته مع هيام أبو غزالة خلال الفترة نفسها، الأرضية لإقامة مزيد من المراكز والمعاهد لخدمة المجتمع والتنمية في وقت لاحق.

كما أن المركز عزز التقاليد والثقافة المتعلقين بدور الجامعة تحت الاحتلال الأجنبي وفي المجتمع الذي يناضل من أجل التحرر والاستقلال، والذي ينبغي أن يكون دوراً نشطاً في خدمة المجتمع، والتنمية وبناء الدولة.

خليل محشي (خريج سنة ١٩٧١)، عضو الهيئة التدريسية بين سنة ١٩٧٥ و١٩٨٦.

برنامج محو الأمية وتعليم الكبار

في عام ١٩٧٦، أطلقت جامعة بيرزيت برنامج محو الأمية وتعليم الكبار، والذي صمم لتوفير الخبرة الفنية للمنظمات الأهلية التي تنفذ برامج محو الأمية ومساعدتها في التغلب على العقبات التي تواجهها.

وقام البرنامج بتطوير عدد من المصادر:

- *مراكز تجريبية في القرى المحيطة ببيرزيت (محو الأمية الوظيفية).
- *برامج تطويرية مترافقة مع دروس القراءة والكتابة- دروس في تنمية الحياة الأسرية، والزراعة، واستخدام آلات الحياكة، والقص والخياطة (التي استخدمت كحوافز للنساء اللواتي أبدين تردداً تجاه حضور دروس محو الأمية) والمهارات الأساسية في الحاسوب لمن أنهى لتوه دورة محو الأمية.
- *كتب دراسية ومواد للقراءة لمن أنهوا دورات محو الأمية (حول الثقافة الصحية، وعلم نفس الأطفال ومواضيع زراعية).
- *الدراسات والأبحاث التربوية.

منسقة برنامج محو الأمية هيام أبو غزالة تتلقى جائزة من د. درويش نزال، رئيس مجلس الأمناء. (يظهر رئيس الجامعة حنا ناصر إلى اليسار). تصوير: ياسر درويش.

علاوة على ذلك، قام البرنامج بتدريب ميسرين للعمل في مشاريع تقدّم المجتمع (مهارات محو الأمية، والزراعة وتنمية الحياة الأسرية) في جميع أنحاء الأراضي الفلسطينية المحتلة. وتم تشجيع بعض الطلاب المهتمين بأنشطة برنامج محو الأمية على المشاركة، حيث قام طاقم البرنامج بتدريبهم. وبدوره قام برنامج العمل التعاوني بتيسير عملية مشاركتهم من خلال تنسيق الخدمة المجتمعية المطلوبة من جميع الطلاب كمتطلب جامعي للتخرج. وقد تحدث الكثيرون عن الأثر الإيجابي لهذه التجربة، وخاصة الطلاب الذين لم يكونوا يعرفون الريف الفلسطيني من قبل. لقد قام مئات المدربين بتدريب أعداد كبيرة في المجتمع، إما من خلال الجمعيات المحلية أو كمتطوعين في أوقات فراغهم.

في عام ١٩٩٧، تم تكريم البرنامج في احتفال خاص أجرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الاليسكو) لتميزه في أنشطة تعليم الكبار. وتوقف البرنامج في عام ١٩٩٩، حيث تولت مسؤولية هذا العمل وزارة التربية والتعليم في السلطة الوطنية الفلسطينية. أنا أمثل فلسطين حالياً في شبكة إقليمية لمحو الأمية والتعليم مقرها القاهرة.

على المستوى الشخصي، لا بد لي أن أشير إلى أن التحاقي كطالبة في جامعة بيرزيت قد غير حياتي. ورغم الجهد الكبير الذي بذله طاقم برنامج محو الأمية في العمل، إلا أن الفضل الحقيقي يعود إلى الجامعة التي بادرت إلى معالجة مشكلة اجتماعية حقيقية.

هيام أبو غزالة (خريجة سنة ١٩٧٦)، كانت مديرة برنامج محو الأمية.

برنامج العمل التعاوني

من متطلبات التخرج لطلاب جامعة بيرزيت تنفيذ مائة وعشرين ساعة عمل في خدمة المجتمع. لكن عندما تخرجت من الجامعة، بلغ عدد ساعات العمل المسجلة رسمياً على كشف علاماتي خمسمائة ساعة، مما شكل مصدر فخر واعتزاز لي ربما أكثر من تحصيلي العلمي.

تعرفت على فلسطين من خلال برنامج العمل التعاوني. فمن خلال صديقي علي حسونة منسق برنامج العمل التعاوني في عمادة شؤون الطلبة استطعت التعرف على طبريا، والجليل الأعلى، والمثلث، وتعرفت أيضاً على جنوب فلسطين وبئر السبع. كما تعرفت على النقب كمتطوع من جامعة بيرزيت وليس كسجين معصوب العينين، وكذلك على الجولان السوري المحتل.

تعرفت على أغوار فلسطين وعلى أنماط حياة السكان هناك وعلى قسوة عيشهم، ليس من حرارة الطقس فحسب، بل كذلك من إجراءات الاحتلال التي كانت تستهدف مصادر رزقهم يومياً.

فقد كان صديقنا علي حسونة يدمج ما بين برنامج العمل التعاوني كمتطلب جامعي وبين الجغرافية السياسية التي حرمنا الاحتلال منها. فكان الفضل للجامعة التي أتاحت لي التعرف على فلسطين الجغرافية، وفلسطين السياسة، وفلسطين الأهالي وأنماط الحياة وعلى فلسطين الثقافة.

خالد فراج (خريج سنة ١٩٩٦)، المدير المساعد لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين.

الحال

تأسس مركز تطوير الإعلام في سنة ١٩٩٦ بهدف تدريب الصحفيين المحترفين. وخلال عشر سنوات، درب المركز أكثر من ٦٠٪ من جميع الإعلاميين المحترفين في الأراضي الفلسطينية المحتلة، تبعاً لمسح قامت به إحدى المنظمات السويدية في عام ٢٠٠٥. ويدير مركز تطوير الإعلام في جامعة بيرزيت محطة إذاعية (يغطي إرسالها بضعة كيلومترات فقط)، على أن المركز كان رائداً في إنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية التي بثتها عدة محطات في فلسطين. كما أنتج طلاب الإعلام مئات الساعات من البث الإذاعي والتلفزيوني التي كان لها أثرها على الاحترافية الإعلامية في البلاد.

في الإعلام المقروء، كانت جريدة "الحال" حالة فريدة.

صدر العدد الأول من "الحال" في شباط/فبراير ٢٠٠٤، ومنذ ذلك الوقت وهي تشكل حالة في الصحافة الفلسطينية. هي جريدة شهرية، لكنها تتظاهر بأنها يومية، فصفحتها الأولى تحمل الخبر والتحليل السياسي، وفي صفحاتها الداخلية تحقيقات وتقارير سياسية واجتماعية، وعلى الأخيرة مواد خفيفة. إنها تقدم الأنموذج. تميزت الحال عن الصحف الأخرى بقصر مقالاتها (قصارى المقال ٣٠٠ كلمة، والتحقيق ٧٠٠ كلمة) وبتنوع موضوعاتها، وبالتصاقها بهموم قرائها.

والآن، وهي في سنتها السادسة، تحافظ "الحال" على كونها جريدة غير حزبية، ومغرقة في محليتها. وفي كل عدد منها تجاور مقالات قادة الرأي مقالات الصحفيين الشبان. وتكثر فيها الرسوم الكاريكاتيرية والصور، وفيها من الموضوعات ما يتراوح بين "الحرب على غزة" و "لماذا تلبس ربطة العنق". وقد اقتبست من الإذاعة أسلوب "الفوكس بوب": فهي تجري اللقاءات القصيرة مع الناس في الشارع والمكتب والدكان، وتنشر آراءهم في القضية المطروحة (التي تكون عادة اجتماعية) مقرونة بصورهم.

كثيرون بدأوا يعدون "الحال" مدرسة صحفية. وقد بدأ أثرها يظهر على الصحفيين، ولكنه لم يجعل الصحف الكبيرة تغير من أسلوبها بعد. يقول قراؤها إنهم يقرأونها كلها: الأولى، والأخيرة، وما بينهما أيضاً. وربما كان السبب في شعبيتها أنها جريئة، وغير منحازة، وغير مطنبة، وتقول الأشياء ببساطة، ولا هم لها سوى القارئ، والقارئ وحده.

عارف الحجاوي (خريج عام ١٩٨٢)، مدير البرامج في قناة الجزيرة، وكان رئيس تحرير صحيفة الحال ٢٠٠٥-٢٠٠٦.

حملة الحق في التعليم

إن حملة الحق في التعليم هي نتاج تاريخ طويل من العمل في جامعة بيرزيت في مواجهة القمع الذي تتعرض له المؤسسات التعليمية الفلسطينية على يد قوات الاحتلال الإسرائيلي. والهدف من حملة الحق في التعليم هو المطالبة بالحق في التعليم لجميع الفلسطينيين، بما في ذلك الحق في الوصول إلى أماكن الدراسة دون أي معوقات. وتسعى الحملة إلى إطلاع المجتمع الدولي على الانتهاكات الإسرائيلية المتواصلة لحق الفلسطينيين في التعليم (مثل منعهم من الوصول إلى الجامعات من خلال إقامة الحواجز والإغلاقات).

تقوم الحملة بالتحرك على مختلف الأصعدة من أجل الدفاع عن التعليم المدرسي والجامعي في فلسطين، فتوفر المساعدة القانونية للطلاب والموظفين المعتقلين وتطلق النداءات من أجل دعمهم. وتقوم الحملة بتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان في الجامعات الفلسطينية، وتصدر التقارير القانونية وتقوم برفعها إلى هيئات الأمم المتحدة. كما تشن الحملات دعماً لقضايا محددة، مثل منع الموظفين حملة الجوازات الأجنبية من الدخول إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة والقيود التي فرضت على الطلاب الجامعيين من غزة. وتقوم الحملة بتسليط الضوء على العقبات التي يواجهها التعليم في فلسطين في موقعها الإلكتروني، ونشراتها الإخبارية التي تصدرها كل شهرين، والمواد الإعلامية، ومن خلال التواصل مع جماعات التضامن الدولي.

وقد انبثقت الحملة من مبادرتين انطلقتا في السبعينات والثمانينات. ففي عام ١٩٧٧ قام أعضاء الهيئة التدريسية (ومن بينهم تيسير عاروري، وحنان عشراوي، وريتا جقمان، وليزا تراكي ولاحقاً هيو هاركورت، وبيني جونسون وآن سكوت) بتشكيل لجة الأسرى من أجل دعم الطلاب والموظفين السجناء. وقامت اللجنة بتوفير التمثيل القانوني للموقوفين وحضور جلسات المحكمات العسكرية، ورافقت الذين كان يتم استدعاؤهم إلى مقر الحاكم العسكري. ثم اتسع نطاق عمل اللجنة ليشمل مقاومة وتوثيق أثر الأمر العسكري رقم ٨٥٤، والذي منحت إسرائيل لنفسها بموجبه السلطة على المناهج التعليمية الفلسطينية، وقبول الطلاب وتعيين وصرف الهيئة التدريسية.

وانبثق عن هذا العمل "مشروع العمل من أجل حقوق الإنسان"، والذي وثق القيود التي فرضت على طلبة وموظفي الجامعة خلال الثمانينات والتسعينات، مثل أوامر الإقامة الجبرية، واقتحام البيوت والحرم الجامعي، وإبعاد الطلاب، وإغلاق الجامعة وتقييد الحركة. وفي عام ١٩٩٨، قامت الجامعة بتعيين محامٍ من أجل توفير المساعدة القانونية للطلاب والموظفين المعتقلين.

تدريب طلبة الإعلام في ستوديو التلفزة. تصوير: ياسر درويش.

في عام ٢٠٠٢، تطور "مشروع العمل من أجل حقوق الإنسان" إلى حملة الحق في التعليم، ولديها الآن فرعان في كل من المملكة المتحدة وإيطاليا وأكثر من خمسة عشر اتحاداً طلابياً منتسباً في شتى أنحاء العالم.

عنان قزمار، منسق حملة الحق في التعليم.

الفصل الرابع عشر

أن لا نكون هامشيين!

نبيل قسيس

في عام ١٩٩٤، وعشية قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، كانت المؤسسات المدنية الفلسطينية في حال يرثى لها من الدمار والضعف بفعل سبع وعشرين سنة من الاحتلال العسكري الإسرائيلي. ووسط هذا الدمار، واصلت الجامعات عملها، مبرهنة عن قدرة الفلسطينيين على مواجهة أحلك الظروف. لعبت الجامعات الفلسطينية، وخصوصاً جامعة بيرزيت دوراً بالغ الأهمية في تعزيز الصمود والإعداد لبناء الدولة. ولأنها أول جامعة فلسطينية، فقد مهدت الطريق نحو مساحات غير مستكشفة، وحددت المعايير وأنارت الدرب في الأزمنة الصعبة. لقد جعلت بيرزيت التعليم العالي في فلسطين حقيقة قائمة. باختصار، ارتقت جامعة بيرزيت إلى مستوى تحديات المراحل المختلفة وكانت دائماً طرفاً رئيسياً في الحياة التربوية، والاجتماعية والثقافية والسياسية الفلسطينية.

ينبغي النظر إلى دور جامعة بيرزيت، ومنذ تأسيسها ضمن سياق واقع شعب يحاول الخلاص من الاحتلال العسكري الإسرائيلي المطوّل وسياساته التي تهدف في النهاية إلى سلب حقوق سكان البلاد الأصليين. وفي ظل هذه الظروف، تزداد أهمية دور المؤسسة الأكاديمية في توفير التعليم للشباب الذين يشكلون بدورهم عنصراً حاسماً في عملية التحرير. إلا أن أثر جامعة بيرزيت على المجتمع يتعدى التعليم، حيث شكلت الجامعات الفلسطينية بشكل عام، ومنذ أواسط السبعينات، وسيطاً فعالاً للترقي الاجتماعي عن طريق استيعابها للشبان والشابات من مختلف الأصول الاجتماعية. فالكثيرون من قادة السياسة والمجتمع الحاليين

قادوا بيرزيت في الزمن الصعب وجعلوها تتصدر وطنياً. من اليسار: حنا ناصر (رئيس الجامعة ١٩٧٢-٢٠٠٤)؛ جابي برامكي (الرئيس بالوكالة ١٩٧٤-١٩٩٣)؛ نبيل قسيس (رئيس الجامعة منذ ٢٠٠٤). تصوير: ياسر درويش.

الصفحة المقابلة: تصوير: إياد جاد الله.

... إن كان هناك من أمل في المستقبل فهو يكمن في مؤسسات وطنية مثل بيرزيت، والتي ما تزال رغم الضغوط الهائلة والصعوبات الكبيرة، تعمل بشكل متألق في كثير من الأحيان، ويتسم بالحساسية والوعي دوماً...

... وما يثير الإعجاب الشديد هو ذلك التبادل الحر للأفكار والآراء في حرم بيرزيت، والغائب ببساطة عن أي مكان آخر في العالم العربي، إذ يزدهر نقد الأفراد والسياسات، كما يستعر الجدل الصاخب بين أنصار الأحزاب السياسية المختلفة. ومن الطبيعي أن يفخر حنا ناصر وزملاؤه بهذا، وأن يحرصوا على المحافظة عليه حرصاً شديداً.

... يسمع المرء الكثير من الشكوى في الجامعة، غير أن الرائع من وجهة نظري هو أنها كمؤسسة تزدهر رغم الكثير من الظروف المناوئة والعقبات التي لا تحصى ولا تعد.

وأحد أسباب ذلك هو، كما أعتقد ... أن بيرزيت ليست مؤسسة عائلية، بل أنها في أذهان جميع من لهم علاقة بها، من طلاب، وإداريين وأساتذة، مؤسسة عامة، مؤسسة وطنية...

(من دون جامعة بيرزيت والمؤسسات المشابهة لها)، لن يكون لنا فعلياً حياة أو بقاء سياسيان.

إدوارد سعيد، أستاذ الأدب المقارن الفلسطيني الأميركي، جامعة بيرزيت، واشنطن ريبورت أون ميدل إيست افيرز ٢٠٠٣ Washington Report on Middle East Affairs

هم من خريجي جامعة بيرزيت. ولا يكتفي الباحثون والمفكرون الجامعيون بالمشاركة في مشروع بناء الدولة، وإن في ظل الاحتلال، بل إن لديهم أيضاً إسهامات كبرى في الحوار الوطني القائم حول الديمقراطية، والمساءلة، والحكم الصالح، والعدالة الاجتماعية والمسؤولية الاجتماعية.

لدى تصفّح الفصول المختلفة والشهادات الشخصية الواردة في هذا الكتاب، لا يسعُ المرء سوى أن يلاحظ الفرق الذي أحدثته جامعة بيرزيت في حياة الفلسطينيين كأفراد على مدى السنين. ولا عجب، ذلك أن غالبية الناس يقيّمون التعليم العالي من منظور الترقي الاجتماعي أو المكانة الاجتماعية الفردية فقط. من ناحية أخرى، وعلى أهمية التعليم في دفع عجلة الاقتصاد أو بناء الدول لدى الكثير من شعوب العالم الثالث، إلا أن المؤسسة الأكاديمية ليست محركاً للنمو الاقتصادي فحسب، بل هي في الأساس عامل تنمية ثقافية وفكرية، وهذا هو السياق العام الذي حققت ضمنه جامعة بيرزيت فارقاً حقيقياً في الحياة الفلسطينية وخصوصاً منذ عام ١٩٧٢، وهي المرحلة التي أعتبرها خاصة وفريدة في تاريخ الجامعة، والتي أود التركيز عليها في هذا الفصل.

عالجت بيرزيت المعضلة التي كان خريجو المرحلة الثانوية يواجهونها، والمتمثلة في رغبتهم بمواصلة التعليم، وخشيتهم في نفس الوقت من التعرض للإبعاد الدائم عن البلاد. فعندما سقطت الضفة الغربية (بما فيها القدس الشرقية) وقطاع غزة تحت الاحتلال الإسرائيلي في عام ١٩٦٧، لم تكن هناك جامعات في ما أصبح يدعى الأراضي الفلسطينية المحتلة. وكان الطلاب الذين يغادرون البلاد لمواصلة التعليم يواجهون خطر عدم التمكن من العودة، حيث كان الاحتلال الإسرائيلي يعتبر كافة الفلسطينيين مقيمين ولكن لا يتمتعون بحق المواطنة. فكان من الممكن سحب حق الإقامة لأي سبب كان، من بينها عدم العودة خلال المهلة المحددة على التصريح الإسرائيلي. أما أولئك الذين كانوا يجازفون بالعودة إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، فكانوا يواجهون احتمال المضايقة أو الاعتقال بتهمة الاتصال ب (م. ت. ف)، وهي تهمة كانت عقوبتها شديدة حسب الأوامر العسكرية الإسرائيلية. وبسبب صعوبة تعريف ماهية الاتصال، فقد فضل الكثيرون البقاء في الخارج وعدم العودة والمجازفة، بانتظار حل للمشكلة الأكبر. هذا الوضع، بالإضافة إلى الصعوبات الاقتصادية، أدى إلى هجرة الأدمغة والشباب من البلاد.

وعندما بدأت كلية بيرزيت العملية الانتقالية التي جعلتها الجامعة الأولى في الأراضي الفلسطينية المحتلة، اجتذبت الكثير من الأساتذة والعاملين المؤهلين، والمعنيين بالتميز الأكاديمي والملتزمين بالقيم المهنية الرفيعة. وسرعان ما أصبحت الجامعة الناشئة مركزاً محلياً للتميز، بفضل التقاليد التعليمية التي أرستها والسمعة التي اكتسبتها من ناحية مستواها العلمي، من خلال عملها لأكثر من عقدين ككلية متوسطة.

وتدفق الطلاب إلى بيرزيت من كافة المناطق، مما جعلها بوتقة ينصهر فيها الفلسطينيون من كافة الأصول الاجتماعية والانتماءات بما ينسجم ورسالة الجامعة المتمثلة بالوصول إلى أوسع دائرة ممكنة من الشباب الفلسطيني، ومنحهم تعليماً جيداً وإرساء قيم المواطنة الصالحة، والديمقراطية والتميز. وقد لاقى خريجات وخريجو بيرزيت طلباً واسعاً عليهم محلياً وفي الخارج، حيث إنهم يتمتعون بتدريب جيد وبشخصيات متوازنة، وبنظرة إيجابية نحو المستقبل

وسلوك صحي تجاه المجتمع. كما كان الطلب على العاملين في بيرزيت كبيراً أيضاً لدى المؤسسات الباحثة عن موظفين ذوي تدريب جيد.

مهد إنشاء جامعة بيرزيت الطريق أمام تأسيس جامعات أخرى في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ففي أواسط الثمانينات، أصبح هناك ست جامعات والعديد من كليات المجتمع التي تمنح الشهادات والتدريب ما بعد الثانوي. وأصبح عدد الطلاب الملتحقين بمؤسسات التعليم العالي يتنامى باطراد، وتحسن مستوى التعليم لدى فئة الشباب التي تتزايد نسبتها بين السكان باستمرار. فمنذ عام ١٩٧٦، تخرج من بيرزيت وحدها حوالي ٢٠,٠٠٠ طالب. إن الأثر الجماعي لمؤسسات التعليم العالي الفلسطينية على تدريب الموارد البشرية المؤهلة للقيام بالوظائف التي يحتاجها المجتمع يعتبر ظاهرة استثنائية.

التزمت جامعة بيرزيت بالمبادئ التي أسست لتقديم إسهامات للمجتمع الأوسع خارج حدود حرم الجامعة. فقد نص القانون العام للجامعة على سبيل المثال، على حق الطلاب والموظفين في التنظيم في هيئات تمثيلية (مجلس الطلبة ونقابة الموظفين)، فأفرز مجلس الطلبة الكثير من القادة في السياسة، والثقافة والفن، ومجال الأعمال، ومنظمات المجتمع المدني. ولولا تأثير النشاط الطلابي لبيرزيت، لما كان المجتمع المدني الفلسطيني على هذا القدر من الحيوية. كما أصبحت الانتخابات السنوية لمجلس الطلبة مؤسسة قائمة بذاتها، حيث كان المجتمع بأسره يراقب بإعجاب هذا النموذج الديمقراطي الذي وفرته هذه الانتخابات والحوار الساخن والحضاري الذي كان يرافقها.

إن التواصل مع المجتمع هو من بين أهم أركان رسالة بيرزيت. فحتى قبل أن تبدأ بمنح شهادة البكالوريوس، كانت بيرزيت تقدم برامج لتلبية حاجات مجتمعية. فالصحة العامة، ومحو الأمية، وصحة البيئة والسلامة المهنية هي ثلاثة برامج انطلقت مبكراً وكان لها أثر في كل أنحاء الأراضي الفلسطينية المحتلة. كما تفرّد كل من معهد الآثار ومركز الأبحاث في تركيزهما على تدريب المهنيين بحيث يصبحون علماء آثار وباحثين في المستقبل. وفي أواسط التسعينات، قامت بيرزيت بتأسيس المعاهد والمراكز التي لم تكن جزءاً من الكليات الأكاديمية، مثل معهد دراسات المرأة، ومعهد الدراسات البيئية والمائية ومعهد الحقوق، والتي شكلت نماذج للتواصل مع المجتمع وكان لها تأثير كبير في مجالات تخصصها. فبفضل جهود معهد الحقوق، على سبيل المثال، أتيح للمحامين والباحثين

الرئيس نبيل قسيس يخاطب الخريجين، والهيئة التدريسية والحضور في حفل التخرج عام ٢٠٠٨. تصوير: إياد جاد الله.

القانونيين الوصول إلى كافة التشريعات التي طبقت في فلسطين منذ أن كانت فلسطين جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، والتي قام المعهد بجمعها وتوثيقها. أما المعهد الوطني للموسيقى، والذي انطلق في الجامعة ثم تطور إلى أن أصبح معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى، فقد تمكن من تغيير المشهد الموسيقي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، حيث درّب وعلّم المئات من الموهوبين الصغار فن الموسيقى والعزف، وحمل الموسيقى الفلسطينية والعربية إلى العالم كما استحضر الموسيقى العالمية إلى فلسطين. أما مركز التعليم المستمر، فيقدم خدماته إلى أوسع دوائر المستفيدين ويوفر الخدمات التدريبية والاستشارية في شتى المجالات وبشكل متزايد. وتقدم مكتبة الجامعة المساعدة للمكتبات الأخرى التي تفتتح في البلاد، كما يقدم مركز الحاسوب التابع لجامعة بيرزيت خدماته للجامعات والمؤسسات الأخرى في المجالات التي تميز فيها واكتسب فيها خبرة كبيرة.

تمكنت جامعة بيرزيت من تقديم المساعدة في مجال حوكمة مؤسسات التعليم العالي التي تأسست بعدها، إما بشكل مباشر أو من خلال مشاركتها في مجلس

في إحدى الزيارات لمعهد الحقوق. من اليسار إلى اليمين: السيدة ليلى شهيد ممثلة فلسطين في فرنسا؛ د. حنا ناصر؛ هوبيرت فيدرين، وزير الخارجية الفرنسي؛ و د. كميل منصور، مدير معهد الحقوق. يظهر نبيل شعث (وزير الشؤون الخارجية آنذاك) والقنصل العام الفرنسي ستانيسلاس دي لابولاي في الخلف. تصوير: ياسر درويش.

التعليم العالي الذي ساعدت على تأسيسه. فالجامعات تتكون من هياكل مركبة تتضمن الكثير من الوحدات التي عليها أن تعمل بانسجام واتساق حتى تتمكن من توفير الخدمة المطلوبة. لم تبخل بيرزيت يوماً في تقديم المساعدة إلى الجامعات الفلسطينية الأخرى التي تحتاجها في التعامل مع المسائل الأكاديمية، أو المالية أو الإدارية. ومن بين المجالات التي تمرّست فيها بناءً على تجربتها المريرة، القدرة على مواصلة العمل رغم أوامر الإغلاق المتكررة من قبل السلطات العسكرية الإسرائيلية خلال الثمانينات، حيث اضطرت الجامعة إلى ابتداع أساليب بديلة للتدريس والمحافظة على معايير أكاديمية محددة في الوقت نفسه. وخلال الإغلاق المطوّل الذي فرض غداة الانتفاضة الأولى، قامت بيرزيت بتبني أسلوب تدريس قلّل الحاجة إلى التواصل بين الأساتذة والطلاب إلى الحد الأدنى. وقامت الجامعات الأخرى بتبني هذا الأسلوب، الأمر الذي مكّنها من التدريس حتى في أحلك الظروف التي مرت خلال تلك المرحلة.

بيرزيت ليست أكبر جامعة في الأراضي الفلسطينية المحتلة الآن، لكنها ظلت ولوقت طويل قبل نشوء السلطة الوطنية الفلسطينية المشغّل المحلي الأكبر، حيث تم خلق المئات من الوظائف في نطاق عمل الجامعة والخدمات التي توفرها. واستفادت القرى والبلدات المحيطة ببيرزيت من وجود الجامعة بشكل مباشر. وكان الالتزام متبادلاً بين الموظف ورب العمل، مما أدى إلى بناء مجتمع جامعي متماسك يجمعه حس قوي من الولاء تجاه المؤسسة ورسالتها.

رغم أن بيرزيت لم تتمكن يوماً من منافسة المؤسسات التي تدفع أجوراً أعلى منها، إن في دول الخليج، أو محلياً من القطاع الخاص أو المنظمات غير الحكومية ذات التمويل الجيد، إلا أنها تظل مؤسسة قادرة على اجتذاب العاملين، بفضل سياستها الشفافة، والخالية من التمييز، والقائمة على أساس الكفاءة في التعيين وفي قبول الطلاب على حد سواء. بقي الكثيرون من الخريجين الجيدين في الوطن وساهموا في بناء مؤسساته المدنية، ثم انخرطوا لاحقاً في جملة متنوعة من الوظائف في القطاعين الخاص والعام، بالإضافة إلى منظمات المجتمع المدني، حتى إنه لا تكاد توجد أي مؤسسة حكومية، أو مدنية، أو ثقافية، أو تربوية، أو مالية أو صناعية لا يقودها خريجو جامعة بيرزيت. إن بصمات بيرزيت واضحة وجلية في هذا السياق.

ولا تكتمل عملية تقييم أثر بيرزيت على محيطها دون الإشارة إلى أدوارها التي انبثقت مما يشار إليه على أنه "روح بيرزيت"، وهي أدوار قد لا تكون ملموسة كغيرها، إلا أنها دون شك ليست أقل أهمية. طالما غذّى مجتمع بيرزيت الإحساس بالهوية الوطنية وقيَم المواطنة الصالحة، وشجع على الحوار حول القضايا الجدلية في بيئة من الحرية والتسامح. يؤمن الكثير من أساتذة بيرزيت بدورهم في الشأن العام، ويتحملون مسؤولية مزدوجة في تعزيز الهوية والوعي الوطني إلى جانب دورهم كمعلمين وباحثين. وقد أصبحت بيرزيت، من خلال توفير بيئة مشجعة على انطلاق المبادرات التنافسية دون إغفال المسؤولية الاجتماعية، حاضنة للكثير من المشاريع الريادية الناجحة التي تركت بصماتها على المشهد التعليمي، والثقافي والاقتصادي الفلسطيني. علاوة على ذلك، كان مجتمع جامعة بيرزيت دوماً شديد الالتزام والتمسك بالقضايا الوطنية، وكان هذا محل تقدير كبير، حتى إنه عندما عقد مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١، شكل أبناء جامعة بيرزيت النسبة الأكبر بين القيادات، والمفاوضين، والمحللين، وطواقم

الدعم والخبراء الإعلاميين. تلك كانت تحديات كبيرة، وما من مؤسسة قادرة على لعب دور كهذا مثل جامعة تأخذ دورها على محمل الجد.

عندما تسود المجتمع مشاعر وانتماءات متضاربة، على المؤسسة الأكاديمية أن تلعب دوراً قيادياً من خلال إيجاد حيز للخطاب العقلاني. فالحكومات، والشركات الكبرى والأحزاب السياسية كلها لها مصالح في الكثير من الصراعات التي تولّد مثل هذا الجدل، ولا يمكن أن نتوقع منهم العقلانية والحياد. كثيرون من كبار المفكرين المعنيين في الشأن العام على الساحة الفلسطينية هم أساتذة حاليون أو سابقون في جامعة بيرزيت، ويشكلون عاملاً مساعداً في الحوار حول قضايا تصب في المصلحة العامة أو الصالح العام. إنهم يتمتعون بالسلطة المعنوية بفضل مواقعهم داخل المجتمع الأكاديمي وليس داخل القطاع الحكومي أو قطاع الأعمال، وهم بذلك يلعبون دوراً مجتمعياً حيوياً وحرجاً في وجه الكثير من القوى المؤطّرة والتقليدية السائدة داخل المجتمع الفلسطيني. وإدراكاً منها لواجبها الأكاديمي في بحث الانفعالات والمواقف وتحليل الأسباب والنتائج، وتوعية المجتمع تجاه المخاطر، فقد ظلت الهيئة التدريسية في جامعة بيرزيت وفية لهذا الدور المحوري.

تصوير: ياسر درويش.

محمود درويش، مقتطفات من الخطاب الذي قام بإلقائه خلال احتفال تسليمه شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة بيرزيت، ٧ تموز ١٩٩٦.

...هل تتيح ظروف هذا الواقع المأساوية بأن يتعايش (الفلسطيني) مع ذاته الإنسانية المتنقلة من صورة الضحية، إلى صورة البطل إلى صورة العادي؟

لا عودة إلى الوراء، ولكن من أين لنا القدرة على جعل العدو الذي حولناه إلى خصم شريكاً لنا في مواصلة السير إلى أمام؟

تلك هي معضلتنا...

...ومهما كانت الحيرة، أمام هذا الواقع، متأرجحة بين النصف الفارغ أو الملآن من الكأس. فليس في وسع الثقافة أن تعيد النظر في طبيعتها ودورها. فبما هي معرفة، هي عامل أساسي في تكوين الوعي. ومن هنا مكانتها في التعامل مع الواقع، لا انسجاماً ولا تكريساً، بل إسهاما في نشر الوعي الجماعي بضرورة تغييره. ولست هنا لأشيد بدور مثقّفينا، وجامعاتنا وبخاصة جامعة بيرزيت، في الدفاع عن ثقافتنا القومية وعن تحصينها ضد أخطار التشكيك بالذات. ولكني أود الإشارة إلى سعة المجال التاريخي الذي ينبغي على مشروعنا الثقافي أن يتحرك فيه، وهو مطالب بالامتداد على رقعة مجالات معرفية شاسعة في مقدمتها: حماية ذاكرتنا الجماعية، وحقنا في سرد روايتنا التاريخية، والدفاع عن وعينا التاريخي، وتطوير آليات التعبير عن انتمائنا القومي والإنساني، وتعميق ثقافة الديمقراطية والحرية والكرامة، ومفاهيم حقوق الإنسان.

إن طبيعة أية ثقافة أصيلة، باعتبارها وطنية وإنسانية في آن واحد، تجعلها قادرة على صيانة خصوصيتها وهويتها في الوقت الذي تتفاعل فيه وتتحاور مع الثقافات الأخرى التي تكون، بمجموعها، الثقافة العالمية.

ومن هنا، فإنها قادرة على التمييز بين ما هو إنساني وما هو عنصري في ثقافة الأخر، وعلى إدراك المشترك الإنساني الذي آن لنا أن نطوّر وسائل حضورنا الحيّ فيه، من موقع خصوصية متحررة من عقدة النقص ومن عقدة الانغلاق معا.

لا نريد أن نكون أبطالا أكـــثر
ولا نريد أن نكون ضحايا أكـــثر،
لا نريد أكثر من أن نكون بشراً عاديـــن.
الشكر لجامعة بيرزيت، إدارة ومدرّسين وطلبة على دورها السابق واللاحق في تنشيط حياتنا الثقافية والوطنية.
والشكر لها، الآن، على هذا التكريم الذي لا أستحق، وان كنت سأبذل الكثير من الجهد لأكون جديراً به.

المصادر والتنويه

لقد أخذت معظم الصور المستخدمة في هذا الكتاب من أرشيف الصور في الجامعة الذي يحتوي على صور من مجموعات شخصية مختلفة. وقد تم التنويه بالمصادر وذكر التواريخ عند توفرها. أما الصور المنشورة في الفصل الحادي عشر فقد زودنا بها كاتب الفصل. تم استخدام بعض الصور التي التقطها طلاب التصوير الفوتوغرافي في جامعة بيرزيت بعد أخذ الإذن بذلك. هناك إشارة إلى المادة التي قدمها كتابها أصلاً باللغة العربية في الفصول حيث ينطبق ذلك.

أهم الأحداث وفق التسلسل الزمني: تمت الاستعانة بالمصادر التالية في كتابة هذا الجزء:
الفصل الخاص بالتسلسل التاريخي في الموقع الإلكتروني للجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية (باسيا) www.passia.org كما في ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٩، وكتيّب
Four Decades of a Divided Land: 1948-1989; *Palestine Aid Society* (Washington, DC, 1990)

وكتاب

A History of the Middle East (New York, Viking, 1991)

لبيتر مانسفيلد Peter Mansfield، وقسمي تاريخ الجامعة والحق في التعليم في الموقع الإلكتروني لجامعة بيرزيت في ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٩ www.birzeit.edu.

الفصل الأول: تشير آن موسلي ليش Ann Mosley Lesch إلى الدور المهم الذي لعبته ست مدارس ثانوية وطنية (ومن بينها بيرزيت) "في تعزيز المشاعر القومية العربية والوطنية لدى طلابها"، وذلك في
Arab politics in Palestine, 1917-1939 (Ithaca,NY: Cornell University Press, 1979).
ص. ٦٦، الحاشية ٣٢. فيما يتعلق بالميول السياسية للهيئة التدريسية، تقول الكاتبة ترزي إن وديع ترزي كان عضواً في الهيئة العربية العليا. وسقط حسن الصباح في المعركة عام ١٩٤٨، وكان كل من سعيد العيسى، وكمال ناصر ووديع ديب شعراء وطنيين بارزين، وكان إيليا خوري عضواً في اللجنة التنفيذية ل م.ت.ف. وقد ساعدت نشرات الإعلان عن المسرحيات، والموجودة لدى ريما ترزي على وضع قائمة بالعروض المسرحية. وتم أخذ عدد المدارس والتلاميذ خلال حقبة الانتداب البريطاني من كتاب أ.ل. طيباوي
Arab Education in Mandatory Palestine (London: Luzac&Co. 1956).
ص. ٢٠، و٤٩، و٥٧ و٦٦. وأخذت الأرقام الخاصة بعدد الملتحقين ببيرزيت في الأربعينات من سجلات المدرسة الموجودة لدى ريما ترزي. أما أسماء أعضاء الهيئة التدريسية فقد أخذت من سجل الرواتب للأعوام ١٩٤٥–١٩٤٨ ومن ذاكرة المساهمين والآخرين الذين درسوا أو عملوا في بيرزيت خلال الثلاثينات، والأربعينات والخمسينات. كما أن ريما ترزي هي التي قدمت نص كلمة نبيهة ناصر ورسالة هدى شعرواي اللتين كانت تحتفظ بهما، وهي وفرت المعلومات حول موسى ناصر، والتي يظهر بعضها على الموقع الإلكتروني www.webgaza.net. وقد تم تلخيص النص من مقالة ريما ترزي
"The Palestinian National Song: A Personal Testimony"،
والتي تم نشرها في *This Week in Palestine* (نيسان ٢٠٠٧)، العدد ١٠٨، وقد تم الاطلاع عليها في ٢٢ أيلول ٢٠٠٩ من
thisweekinpalestine.com\details.php?id=2099&ed=139&edid=139.

وقد تم الحصول على المعلومات حول التخرج في نيسان ١٩٤٨ من أرشالوز أدوريان، وهو أحد الخريجين المقيمين في عمان. ذكريات من السنوات الأولى: قامت ريما ترزي بجمع ذكريات الخريجين خلال صيف ٢٠٠٩ وتم نشر مقتطفات منها. وقد سلم كل من حفيظ موسى غنام، وهدى فراج وسميرة غندور حداد كتاباتهم بالعربية. أما إدوارد كركر وإيمي عرنكي فقد أجرت معهما مقابلات عايدة عودة في ١٢ حزيران ٢٠٠٩ و٢٥ آب ٢٠٠٩ على التوالي.

الفصل الثاني: المعلومات الواردة في هذا الفصل متوفرة في كتاب جابي برامكي
Peaceful Resistance: Building a Palestinian University under Occupation (London: Pluto Press, 2010).
كما يتطرق أنتوني ثرال سوليفان Antony Thrall Sullivan في مقالته
Palestinian Universities under Occupation. Cairo Papers in Social Science،
المجلد ١١، الرسالة٢، القاهرة، مطبعة الجامعة الأميركية في القاهرة، ١٩٨٨. وقدمت جودي بارسالو Judy Barsalou من مؤسسة فورد معلومات مفيدة عن حجم المساعدات التي قدمتها مؤسسة فورد خلال فترة الخمسينات وما بعدها. أما "طالب في أواخر الستينات" فهي فقرة تم تحريرها من مقابلة أجرتها عايدة عودة مع ألبرت أغازريان في ٢٢ آب ٢٠٠٩ في رام الله.

الفصل الثالث: قدم مكتب رئيس الجامعة المعلومات حول كل من تاريخ تسجيل مجلس الأمناء، وتاريخي العضوية في اتحاد الجامعات العربية والاتحاد العالمي للجامعات وأسماء نواب الرئيس.

الفصل الرابع: تم تسليم هذا الفصل باللغة العربية. وقد أخذت بعض المعلومات الواردة في هذا الفصل من كتيبات جامعة بيرزيت، بينما أخذت الحقائق والأرقام وقائمة البرامج الأكاديمية للبكالوريوس من الموقع الإلكتروني للجامعة. أما المقتطف المستخدم لألبرت جلوك فقد أخذ من كتاب حامد سالم:
"Late Bronze and Iron Cooking Pots in Canaan: A Typological, Technological, and Functional Study" in *Archaeology, History, and Culture in Palestine and the Near East: Essays in Memory of Albert E. Glock*, edited by Tomis Kapitan, (Atlanta, GA: Scholars Press,1999).
ص. ٦٦

الفصل الخامس: تم أخذ قائمة برامج الماجستير في جامعة بيرزيت من الموقع الإلكتروني للجامعة. أما وصف البرامج فوفره مدراء البرامج والعاملون في المعاهد المختلفة.

الفصل السادس: يمكن الاطلاع على المزيد من المعلومات في كتاب جابي برامكي،
Peaceful Resistance: Building a Palestinian University under Occupation (London: Pluto Press, 2010).
كما تقدم الورقة الصادرة عن مكتب العلاقات العامة بالانجليزية بعنوان:
"Against the Closure of Palestinian Universities: The Case of Birzeit University."
عرضاً لتبعات عشرة شهور من الإغلاق: خسارة عام دراسي كامل، وقيود على الأبحاث، وصعوبات في تنفيذ اتفاقيات التعاون الدولية بسبب عدم توفر المرافق والمختبرات، وخسارة ملايين الدولارات من الإيرادات، عدا التكلفة الإنسانية والأكاديمية الباهظة. كذلك قام مكتب العلاقات العامة بنشر أوراق توفر قدراً أكبر من المعلومات حول اعتداءات محددة على الجسم الطلابي:
"No Mercy: A Report on Army Actions at Birzeit on November 21, 1984" (December 1984)

حول استشهاد شرف الطيبي، و
"Students Under Fire: A Report of Army Actions at Birzeit University on December 4, 1986"
حول استشهاد جواد أبو سلمية وصائب ذهب، و
"Battlefield Tactics at BZU: A Report of Army Actions at Birzeit University on April 13, 1987."
ويمكن الحصول على مزيد من المعلومات من التقارير الربعية بعنوان
"Palestinian Universities under Occupation" التي نشرها
The Journal of Palestine Studies خلال النصف الثاني من الثمانينات. وتم الحصول على الأرقام الخاصة بالسكان في الأراضي الفلسطينية المحتلة من الموقع الإلكتروني لمنظمة الأمم المتحدة،
Department of Economic and Social Affairs (DESA), Population Division, Population Estimates and Projections Section; World Population Prospects, the 2008 Revision, Population Database,
وقد تمت زيارة الموقع http://esa.un.org/unpd/wpp2008/index.htm في ٧ نيسان ٢٠١٠.
أعداد الفلسطينيين تحت سن التسعة عشر عاماً لعامي ١٩٧٠ و٢٠١٠ أخذت من جدول
DB3_F1 (Quinquennial Population by Five-Year Age Groups-Both Sexes)، في ٧ نيسان٢٠١٠ من موقع: UNDP http://esa.un.org/unpd/wpp2008/peps_population-by-age-and-sex_5x5.htm
وتم أخذ البيانات الخاصة بالاعتقال والسجن والتعذيب من منظمة بتسيلم وهي متوفرة في الموقع الإلكتروني للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان
www.pchrgaza.org/arrests_torture_stat.html
والذي تم الدخول إليه في ٨ تموز ٢٠٠٩.
وتم الحصول على أعداد طلاب وموظفي جامعة بيرزيت الذين جرى اعتقالهم من "حملة الحق في التعليم." وتتوفر المعلومات حول عمليات الإبعاد على الموقع الإلكتروني لبتسيلم، والذي تم الدخول إليه في ٨ تموز ٢٠٠٩ على
www.btselem.org/English/Deportation/Statistics.asp
إن البيانات الخاصة بهدم المنازل هي من "اللجنة الإسرائيلية ضد هدم البيوت" والتي تستند تقديراتها إلى معلومات من كل من وزارة الداخلية الإسرائيلية، وبلدية القدس، والإدارة المدنية، ومكتب تنسيق المساعدات الإنسانية OCHA وغيرها من مصادر منظمة الأمم المتحدة، ومجموعات حقوق الإنسان الإسرائيلية، ومنظمة العفو الدولية، ومنظمة هيومان

رايتس واتش، والعمل الميداني ومصادر أخرى. وقد تمت زيارة الموقع www.icahd.org في ٨ تموز ٢٠٠٩.

تم الحصول على عدد الشهداء الفلسطينيين في الانتفاضة الأولى من الموقع الإلكتروني لبتسيلم
www.btselem.org/english/statistics/first_Intifada_Tables.asp في ١٨تموز ٢٠٠٩.

عدد الذين سقطوا بين ٢٨ أيلول ٢٠٠٠ و٢٨ أيلول ٢٠٠٤ أخذ من مقالة بعنوان:
"Resource File: The al-Aqsa Intifada: Military Operations, Suicide Attacks, Assassinations, and Losses in the First Four Years,"
والتي نشرت في *Journal for Palestine Studies*، المجلد ٣٤، العدد ٢، ص. ٨٥. هذا الملف يشير إلى أن عددهم يتراوح بين ٢,٨٥٠ (بتسيلم) و ٣,٦٥٩ (مفتاح)، أما الرقم المتوسط (والمستخدم هنا) فهو من جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني.

أما رد الوزير الأميركي شولتز على قسم الولاء فمصدره كتاب نعوم تشومسكي *The Fateful Triangle: The United States, Israel, and the Palestinians* (Cambridge: South End Press, 1999)
(ص. ١٣٤). وقام مكتب العلاقات العامة بتوفير المعلومات حول تواريخ الإغلاقات، وأسماء الطلاب وتواريخ الاستشهاد. وقام كل من تيسير عاروري وخالد فراج بتسليم مادتيهما باللغة العربية.

الفصل الثامن: أخذت قائمة أعضاء المؤتمر والمشاركين ا لدوليين من نسخة من برنامج المؤتمر الذي انعقد في عام ١٩٨٨. أما "الرعيل الأول من المساندين"، فهي فقرة تم تحريرها من المقابلة التي أجرتها عايدة عودة مع ألبرت أغازريان في ١٤ آب ٢٠٠٩ في القدس. وقد أخذ التعليق تحت صورة إبراهيم أبو لغد من مقالة بقلم إدوارد سعيد بعنوان "My Guru"، نشرت في London Review of Books، في ١٣ كانون الأول ٢٠٠١.

الفصل التاسع: قام جميع الكتّاب بتسليم المواد باللغة العربية.

الفصل العاشر: تم أخذ المعلومات الخاصة بالورشات السابقة حول التخطيط الإستراتيجي من تقرير داخلي حول الورشات قام مكتب التخطيط والتطوير والجودة بتزويده في كانون الثاني ٢٠١٠.

الفصل الحادي عشر: قام معهد الصحة العامة والمجتمعية بتقديم الصور المستخدمة في هذا الفصل. مقالات لانسيت Lancet حول الأوضاع الصحية الفلسطينية متوفرة على الموقع الإلكتروني للانسيت، وهو www.lancet.com

الفصل الثاني عشر: تم نشر أوراق "المؤتمر الدولي حول المشهد الفلسطيني" الذي انعقد سنة ١٩٩٨ في
The Landscape of Palestine: Equivocal Poetry (Birzeit: Birzeit University Press, 1999)
تحرير إبراهيم أبو لغد، وروجر هيكوك وخالد الناشف.أما الفنانة إميلي جاسر، فهناك صفحة عنها في الموقع الإلكتروني
http://www.imeu.net/news/article003424.shtml الخاص بمؤسسة Middle East Understanding، وتمت زيارته في ١٦ تشرين الثاني ٢٠٠٩.

الفصل الثالث عشر: هذا الفصل هو عبارة عن مجموعة من المقالات القصيرة التي قام بكتابتها أفراد ممن قاموا بتأسيس برامج وإطلاق مبادرات أو العمل فيها، وذلك بهدف تحقيق أثر اجتماعي واسع. وقد استخدمت الرسالة الخاصة بكل من المعاهد والمراكز كمصدر للمعلومات عنها، وقام مكتب رئيس الجامعة بتوفيرها. أما نسبة الإعلاميين المحترفين الذين قام بتدريبهم برنامج الإعلام في جامعة بيرزيت، فقد تم أخذها من أحد التقارير الصادرة عن الوكالة السويدية للتنمية الدولية SIDA في عام ٢٠٠٥ وتم إرسالها إلى الكاتب. كما أن المعلومات حول اتساعٍ دائرة عمل مركز الإعلام في تدريب الصحفيين الفلسطينيين فهي متوفرة أيضاً على الموقع الإلكتروني:
Fragile Contexts (http://www.comminit.com/en/node/312584/3083).

الفصل الرابع عشر: تم اخذ مقتطف من مقالة لإدوارد سعيد كتبها عام ١٩٩٨ بعنوان:
"Birzeit University: A Foundation Stone of a Palestinian Civil Society Under Siege,"
والتي قام بإعادة طباعتها *Washington Report on Middle East Affairs*، كانون الثاني/شباط ١٩٩٩، وتمت أخذها في ١٦ تشرين الثاني ٢٠٠٩ من الموقع الإلكتروني:
.http://www.wrmea.com/backissues/0199/9901011.html
أما نص كلمة محمود درويش فقد أُخذ من ملفات مكتب رئيس الجامعة.

المشاركون في تأليف الكتاب

جابي برامكي، تخرج من كلية بيرزيت سنة ١٩٤٦ وتبوأ العديد من المناصب الرفيعة في المؤسسة على مدى السنوات – من مدرس رئيسي إلى مدير المدرسة الثانوية، ثم عميد الكلية المتوسطة، ثم رئيس جامعة بيرزيت بالوكالة. وهو الآن مستشار تربوي وعضو في مجلس الأمناء في جامعة بيرزيت، وشريك في الشركة الاستشارية Alternative Ways في رام الله.

جورج جقمان، عمل رئيساً لدائرة الفلسفة والدراسات الثقافية، وعميداً لكلية الآداب، كما كان العميد المؤسس لكلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت. وهو يدرّس في برنامج الماجستير في الديمقراطية وحقوق الإنسان وفي دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية.

حنا ناصر، درّس مادة الفيزياء والرياضيات في كلية بيرزيت من عام ١٩٥٥ إلى ١٩٥٩، وكان رئيس الكلية (ولاحقاً الجامعة) من عام ١٩٧٢ إلى ٢٠٠٤. قامت إسرائيل بإبعاده إلى لبنان في تشرين الثاني ١٩٧٤ بتهمة تأييد م.ت.ف، وبقي في المنفى لغاية نيسان ١٩٩٣. كان عضواً في اللجنة التنفيذية ل م.ت.ف بين عام ١٩٧٨ و١٩٨٢، ورئيس مجلس أمناء بيرزيت منذ عام ٢٠٠٦، ورئيس لجنة الانتخابات المركزية في فلسطين منذ عام ٢٠٠٢.

رمزي ريحان، يعمل في بيرزيت منذ عام ١٩٧٠ كعضو في الهيئة التدريسية لدائرة الفيزياء. وقد شارك في المراحل الأولى من تطور جامعة بيرزيت، وكان أول من شغل كلاً من منصب عميد شؤون الطلبة، وعميد كلية العلوم، ونائب الرئيس للتخطيط والتطوير والجودة، ونائب الرئيس للشؤون المجتمعية. كان عضواً مؤسساً في المجلس الفلسطيني للتعليم العالي في عام ١٩٧٧ وعمل في العديد من المشاريع مع وزارة التربية والتعليم العالي.

روجر هيكوك، عمل أستاذاً في التاريخ في جامعة بيرزيت منذ عام ١٩٨٥. وهو عضو في معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية وكان مسؤولاً عن مكتب التطوير الأكاديمي. حرر بالاشتراك مع جمال نصار كتاب
Intifada: Palestine at the Crossroads، ١٩٩٠، كما حرر كتاب
Of Times and Spaces in Palestine: The Flows and Resistances of Identity, 2008، بالإضافة إلى أعمال أخرى.

ريتا جقمان، أستاذة في الصحة العامة في معهد الصحة العامة والمجتمعية في جامعة بيرزيت.

ريما ترزي، هي عازفة بيانو، ومؤلفة موسيقى وأغاني وناشطة اجتماعية. بالإضافة إلى مشاركتها في بيرزيت كعضو في الهيئة التدريسية خلال الخمسينات ولاحقاً كعضو في مجلس الأمناء، فقد تبوأت مناصب قيادية في كل من الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، وجمعية الشابات المسيحية وجمعية إنعاش الأسرة. وهي عضو مؤسس في المعهد الوطني للموسيقى (معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى) ورئيسة مجلسه الاستشاري.

سامي الصيرفي، هو نائب الرئيس للشؤون الإدارية والمالية. ترأس دائرة الكيمياء في جامعة بيرزيت، وعمل عميداً لكلية العلوم وعميداً لكلية الدراسات العليا.

سامية خوري، عضو مجلس الأمناء في جامعة بيرزيت، وقد تبوأت العديد من المناصب في كلية بيرزيت من عام ١٩٥٤ إلى ١٩٦٠، وعملت كإدارية متطوعة من عام ١٩٧٤ إلى ١٩٧٩ خلال فترة تطوير الكلية إلى جامعة. كما كانت لاحقاً رئيسة إقليمية لجمعية الشابات المسيحية ورئيسة لجمعية روضة الزهور التي تدير مدرسة ابتدائية، وهي عضو مؤسس في مركز السبيل المسكوني للاهوت التحرر.

غسان الخطيب، اقتصادي متخصص في التنمية ومحلل سياسي يدرس في دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية وعمل نائباً للرئيس للشؤون المجتمعية خلال الأعوام بين عام ٢٠٠٧ و٢٠٠٩. وقد تقلد عدة مناصب وزارية بين عام ٢٠٠٢ و ٢٠٠٦، ويعمل حالياً مديراً للمركز الإعلامي الحكومي.

فيرا تماري، اختصاصية في الفنون البصرية والفن الإسلامي ومدرّسة للفنون. هي محاضرة في الفنون والعمارة الإسلامية في جامعة بيرزيت، ومؤسسة ومديرة متحف المقتنيات التراثية والفنية والمتحف الافتراضي. وهي متخصصة في النحت الخزفي والفن المفاهيمي، وتركز في أعمالها على الذاكرة والهوية.

نبيل قسيس، أستاذ في الفيزياء ورئيس جامعة بيرزيت منذ عام ٢٠٠٤. انضم إلى الجامعة في عام ١٩٨٠ وعمل رئيساً لدائرة الفيزياء (١٩٨٢–١٩٨٤)، ونائباً للرئيس للشؤون الأكاديمية (١٩٨٤–١٩٨٩). في عام ١٩٩٤، غادر بيرزيت وأسس معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس) وتقلّد عدة مناصب وزارية في السلطة الوطنية الفلسطينية بين عام ١٩٩٨ و٢٠٠٤.